الجزء الثالث من كتاب

أمالي السيد المرتضى

الشريف أبي القاسم علي بن الطاهر أبي أحمد الحسين المتوفى سنة ٤٣٦ رضي الله عنه

في التفسير والحديث والأدب

الطبعة الأولى

(سنة ١٣٢٥ هـ و ١٩٠٧ م)

(على نفقة أحمد ناجي الجمالي ومحمد أمين الخانجي وأخيه)

« حقوق الطبع محفوظة »

(صححه وضبط ألفاظه وعلق حواشيه)

حضرة الشيخ أحمد بن الامين الشنقيطي نزيل القاهرة حالا

(مطبعة السعادة بجوار محافظة مصر لصاحبها محمد اسميل)

بسم الله الرحمن الرحيم

مجلس آخر ٤١

[تأويل آية] .. إن سأل سائل عن قوله تعالى (فأين تذهبون إن هو إلاّ ذكر للعالمين) الى آخر الآية .. فقال ما تأويل هذه الآية أوليس ظاهرها يقتضى أنّا لا نشاء شيئاً إلاّ والله تعالى شاءه ولم يخص إيماناً من كفر ولا طاعة من معصية .. الجواب قلنا الوجه المذكور فى هذه الآية ان الكلام متعلق بما تقدمه من ذكر الاستقامة لانه تعالى قال (لمن شاء منكم أن يستقيم) ثم قال (وما تشاؤن إلاّ أن يشاء الله رب العالمين) أي ما تشاؤن الاستقامة إلاّ والله تعالى مريد لها ونحن لا ننكر أن يريد الله تعالى الطاعات وانما أنكرنا ارادته المعاصى وليس لهم أن يقولوا تقدم ذكر الاستقامة لا يوجب قصر الكلام عليها ولا يمنع من عمومه كما ان السبب يوجب قصر ما يخرج من الكلام عليه حتى لا يتعدّاه وذلك ان الذى ذكروه انما يجب فيما يستقل بنفسه من الكلام دون ما لا يستقل .. وقوله تعالى (وما تشاؤن إلاّ أن يشاء الله) لا ذكر للمراد فيه فهو غير مستقل بنفسه واذا علق بما تقدم من ذكر الاستقامة استقل على انه لو كان للآية ظاهر يقتضى ما ظنوه وليس لها ذلك لوجب الانصراف عنه بالأدلة الثابتة على انه تعالى لا يريد المعاصى ولا القبائح على ان مخالفينا فى هذه المسئلة لا يمكنهم حمل الآية على العموم لأن العباد قد يشاؤن عندهم ما لا يشاءه الله تعالى بان يريدوا الشيء ويعزموا عليه فلا يقع مانع ممتنعاً كان أو غيره وكذلك قد يريد النبي عليه الصلاة والسلام من الكفار الايمان وقد تعبدنا بان يريد من المقدم على القبيح تركه وان كان تعالى عندهم لا يريد ذلك اذا كان المعلوم انه لا يقع فلا بد لهم من تخصيص الآية فاذا جاز لهم ذلك بالشبهة

جاز لنا مثله بالحجة ونجرى هذه الآية مجرى قوله تعالى (ان هـذه تذكرة فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا وما تشاؤن إلاّ أن يشاء الله) وقوله تعالى (وما يذكرون إلاّ أن يشاء الله) في تعلق الكلام بما قبله .. فان قالوا فالآية تدل على مذهبنا وبطلان مذهبكم من وجه آخر وهو انه عز وجل قال (وما تشاؤن إلاّ أن يشاء الله) وذلك يقتضى انه يشاء الاستقامة فى حال مشيئتنا لها لأن أن الخفيفة اذا دخلت على الفعل المضارع اقتضت الاستقبال وهـذا يوجب انه يشاء أفعال العباد فى كل حال ويبطل ما تذهبون اليه من انه انما يريد الطاعات فى حال الأمر .. قلنا ليس في ظاهر الآية إنّا لا نشاء إلاّ ما شاءه الله تعالى فى حال مشيئتنا كما ظننتم وانما يقتضي حصول مشيئته لما نشاءه من الاستقامة من غير ذكر التقدم ولا تأخر ويجرى ذلك مجرى قول القائل مايدخل زيد هذه الدار إلاّ أن يدخلها عمرو ونحن نعلم انه غير واجب بهذا الكلام أن يكون دخولهما في حالة واحدة بل لا يمتنع أن يتقدم دخول عمرو يتلوه دخول زيد وان الخفيفة وان كانت للاستقبال على ماذكر فلم يبطل على تأويلنا معنى الاستقبال فيها لأن تقدير الكلام وما تشاؤن الطاعات إلاّ بعد أن يشاء الله تعالى ومشيئته تعالى قد كانت لها حال الاستقبال وقد ذهب أبو علىّ الجبائي الى انه لا يمتنع أن يريد تعالى الطاعات حالا بعد حال وان كان قد أرادها في حال الأمر كما يصح أن يأمر بها أمراً بعد أمر قال لانه قد يصح أن يتعلق بارادته ذلك منّا بعد الأمر وفي حال الفعل مصلحة ويعلم تعالى أنّا نكون متى علمنا ذلك كنا الى فعل الطاعات أقرب وعلى هـذا المذهب لا يعترض بما ذكروه .. والجواب الأول واضح اذا لم نذهب الى مذهب أبي علىّ فى هـذا الباب على ان اقتضاء الآية الاستقبال من أوضح دليل على فساد قولهم لأن الكلام اذا اقتضى حدوث المشيئة وأبطل استقبالها بطل قول من قال منهـم انه مريد لنفسه أو مريد بارادة قديمة وصح ما نقوله من ان ارادته محـدثة مجددة .. ويمكن في تأويل الآية وجه آخر مع حملنا إياها على العموم من غير أن نخصها بما تقدم ذكره من الاستقامة ويكون المعنى وما تشاؤن شيئاً من فعلكم إلاّ أن يشاء الله تمكينكم من مشيئتكم واقداركم عليها والتخلية بينكم وبينها وتكون الفائدة فى ذلك الإخبار عن الافتقار الى الله تعالى وانه لا قدرة

للعبد على ما لم يقدره الله تعالى عز وجل وليس يجب عليه أن يستبعد هذا الوجه لأن ما تتعلق به المشيئة في الآية محذوف غير مذكور وليس لهم أن يعلقوا قوله تعالى (إلاّ أن يشاء الله) بالأفعال دون تعلقه بالقدرة لأن كل واحد من الأمرين غير مذكور وكل هذا واضح بحمد الله .. ونعود الى ما كنا وعدنا به من الكلام على شعر مروان فمما يختار قوله من قصيدة أولها

طرقتك زائرة فحيّ خيالها ... بيضاء تخلط بالحياء دلالها

يقول فيها

مالت بقلبك فاستقاد ومثلها ... قاد القلوب إلى الصبا فأمالها

فكأنما طرقت بنفحة روضة ... سحت بها ديم الربيع طلالها

باتت تسائل في المنام معرّساً ... بالبيد أشعث لا يملّ سؤالها

في فتية هجموا غراراً بعدما ... سئموا مراعشة السُّرى ومطالها

[قال المرتضى] رضي الله عنه ـ المراعشة ـ هي تحريك الرأس في السير من النوم

فكأنّ حشو ثيابهم هندية ... خلعت وأغفلت العيون صقالها

أما ذكره في أول القصيدة طروق الطيف فانه لم يأت فيه بمعنى غريب ولا لفظ مستغرب [1] وقد قال الناس في طيف الخيال ما أكثروه .. وقد سبق في ذلك قيس بن الخطيم الى معنى كل الناس فيه عيال عليه وهو قوله

---

(١) قوله فانه لم يأت فيه بمعنى غريب ولا لفظ مستغرب الخ .. قلت أما العلماء المتقدمون فانهم استحسنوها روى ان مروان بن أبي حفصة جاء الى حافة يونس فسلم ثم قال أيكم يونس فأومؤا له اليه فقال له أصلحك الله إني أري قوماً يقولون الشعر لأن يكشف أحدهم سوأته ثم يمشي كذلك في الطريق أحسن له من أن يظهر مثل ذلك الشعر وقد قلت شعراً أعرضه عليك فان كان جيداً أظهرته وان كان رديئاً ستره

أنّي سريتِ وكُنتِ غيرَ سَروبِ وتقرّبُ الأحلامُ غيرَ قريبِ (١)
ماتمنعي يقظي فقد تؤتينهُ في النوم غيرَ مصرّدٍ مَحسوبِ
كانَ المُنى بلقائها فلقيتها فلهوتُ من لهوٍ امرىء مكذوبِ

وقد أحسن جرير في قوله

اتنسى اذ تودّعنا سُلَيمى بفرعِ بَشامةٍ سُقيَ البشامُ
بنفسي من تجنّبهُ عزيزٌ عليّ ومَن زيارتهُ لمامُ
ومن أمسى وأصبحَ لا أراهُ ويطرُقني اذا هجعَ النيامُ

وهذه الابيات وان خلت من معنى فى ذكر الطيف غريب فلم تخل من لفظ مستعذب .. ولأبي عبادة البحتري فى وصف الخيال الفضل على كل متقدم ومتأخر فانه تفاعل

فأنشده * طرقتك زائرة فحي خيالها * الخ فقال له يونس ياهذا اذهب فاظهر هذا الشعر فأنت والله فيه أشعر من الأعشى فى قوله * رحلت سمية غدوة أجمالها * فقال له مروان سررتني وسؤتني فأما الذي سررتني به فارتضاؤك الشعر وأما الذي ساءني فتقديمك إياى على الأعشى وأنت تعرف محله فقال انما قدمتك عليه فى تلك القصيدة لا في شعره كله لانه قال فيها * فأصاب حبة قلبه وطحالها * والطحال لايدخل في شيء إلاّ أفسده وقصيدتك سليمة من هذا وشبهه .. وقصيدة مروان هذه مدح بها المهدي ولما أنشده إياها زحف من صدر مصلاه حتى صار على البساط إعجاباً بما سمع ثم قال كم هي قال مائة بيت فأمر له بمائة ألف درهم فكانت أول مائة ألف درهم أعطيها شاعر في أيام بني العباس وهذا دليل على حسنها

(١) قوله سريت ــ السارب ــ الذاهب على وجهه فى الأرض ورواه ابن دريد سريت بياء موحدة لقوله وكنت غير سروب ومن رواه سريت بالياء بالنقطتين فمعناه كيف سريت ليلا وأنت لا تسرين نهاراً

في أوصافه واهتدي من معانيه الى ما لا يوجد لغيره وكان مشغوفاً بتكرار القول فيه لهجاً بابدائه وإعادته وان لأبي تمام في ذلك مواضع لا يجهل فضلها ومحاسن لا يبلغ شأوها فمما لأبي تمام قوله

زَارَ الخَيَالُ لها لاَ بلْ أزَارَكهُ ... فكرٌ إذَا نامَ فكرُ الخلقِ لمْ ينَمِ
ظَبْيٌ تَقَنَّصْتُهُ لمَّا نَصبتُ لهُ ... فِي آخرِ اللَّيْلِ أشرَاكاً منَ الحُلُمِ
ثمَّ اغتدَى وبنَا منْ ذِكرِهِ سقمٌ ... باقٍ وإنْ كانَ مَعْسُولاً منَ السَّقَمِ

وقوله

عادكَ الزَّورُ ليلةَ الرَّمْلِ منْ ... رملةَ بينَ الحِمَى وبينَ المِطالِ
ثمَّ مازارَكَ الخيالُ ولكنْ ... لكَ بالفكرِ زُرتَ طيفَ الخيالِ

وقوله

اللَّيلُ لي أخفَى بقلبي إذَا ما ... جرَّحتْهُ النَّوَى منَ الأيامِ
يالَهَا ليلةً تنزَّهتُ الأرْ ... واحُ فيها سِرًّا منَ الأجسامِ
مجلسٌ لمْ يكُنْ لنا فيهِ عَيْبٌ ... غيرَ أنَّا فِي دعوةِ الأحلامِ

فأما البحتري فقوله في هذا المعنى أكثر من أن يذكر جميعه ههنا غير أنّا نشير الى نادره في ذلك قوله

فلا وصلَ إلاَّ أنْ يُطيفَ خيالُها ... بنا تحتَ جُوْشوشٍ منَ اللَّيلِ أسفعِ
ألمَّتْ بنا بعدَ الهُدُوِّ فساعتْ ... بوصلٍ متى نَطلُبْهُ في الجدِّ تمنعِ
وما برحتْ حتَّى مضَى اللَّيلُ وانقضَى ... وأعجلَها داعِي الصَّباحِ المُلَمَّعِ
فولَّتْ كأنَّ البينَ يُخلِجُ شخصَها ... أوانَ تولَّتْ منْ حشَايَ واضلُعِي
ورُبَّ لِقاءٍ لمْ يُؤمَّلْ وفُرْقةٍ ... لأسماءَ لمْ تحذَرْ ولمْ تتوقَّعِ

أَرَانِي لاَ أَنْفَكُّ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ تُعَاوِدُ فِيهَا ٱلْمَالِكِيَّةُ مَضْجَعِي
أَسَرُّ بِقُرْبٍ مِنْ مُلِمٍّ مُسَلِّمٍ وَأَشْجَى بِبَيْنٍ مِنْ حَبِيبٍ مُوَدِّعِ
فَكَانَ لَنَا بَعْدَ النَّوَى مِنْ تَفَرُّقٍ تَرَجِّيهِ أَحْلاَمُ الْكَرَى بِالتَّجَمُّعِ

وكقوله

وَإِنِّي وَإِنْ ضَنَّتْ عَلَيَّ بِوُدِّهَا لَأَرْتَاحُ مِنْهَا لِلْخَيَالِ الْمُؤَرِّقِ
يَعِزُّ عَلَى الْوَاشِينَ لَوْ يَعْلَمُونَهَا لِيَالٍ لَنَا نَزْدَارُ فِيهَا وَنَلْتَقِي
فَكَمْ غُلَّةٍ لِلشَّوْقِ أَطْفَأْتُ حَرَّهَا بِطَيْفٍ مَتَى مَا يَطْرُقِ اللَّيْلُ يَطْرُقِ
أَضُمُّ عَلَيْهِ جَفْنَ عَيْنِي تَعَلُّقًا بِهِ عِنْدَ إِجْلاَءِ النُّعَاسِ الْمُرَنِّقِ

وقوله

بَلَى وَخَيَالٍ مِنْ أُثَيْلَةَ كُلَّمَا تَأَوَّهْتُ مِنْ وَجْدٍ تَعَرَّضَ يَطْمَعُ
إِذَا زَوْرَةٌ مِنْهُ تَقَضَّتْ مَعَ الْكَرَى تَنَبَّهْتُ مِنْ وَجْدٍ لَهُ أَتَفَزَّعُ
تَرَى مُقْلَتِي مَالاَ تَرَى فِي لِقَائِهِ وَتَسْمَعُ إِذْنِي رَجْعَ مَا لَيْسَ تَسْمَعُ
وَيَكْفِيكَ مِنْ حَقِّ تَخَيُّلُ بَاطِلٍ تَرُدُّ بِهِ نَفْسُ اللَّهِيفِ فَتَرْجِعُ

وقوله

إِذَا مَا الْكَرَى أَهْدَى إِلَيَّ خَيَالَهُ شَفَى قُرْبُهُ التَّبْرِيحَ أَوْ نَقَعَ الصَّدَا
إِذَا انْتَزَعَتْهُ مِنْ يَدَيَّ أَنَابَهُ عَدَدْتُ حَبِيبًا رَاحَ مِنِّي وَاعْتَدَا
وَلَمْ أَرَ مِثْلَيْنَا وَلاَ مِثْلَ شَأْنِنَا تُعَذِّبُ أَيْقَاظًا وَتُنْعِمُ هُجَّدَا

وقوله

فَمَا نَلْتَقِي إِلاَّ عَلَى حِلْمِ جَاهِدٍ تَحِلُّ لَنَا جَذْوَاكِ وَهِيَ حَرَامُ

إذا ماتباذلنا النفائس خلتنا من الجدّ أيقاظاً ونحنُ نيامُ

وقوله

وليلةَ هوّمنا على الميس أزسلت بطيفِ خيال يُشبهُ الحقّ باطلهْ
فلولا بياضُ الصُّبح طال تشبثي بعطفي غزال بتُّ وهناً أغازلهْ

وقوله

أمنك تأوّب الطيفُ الطروبُ حبيبٌ جاء يُهدى من حبيب
تخطّى رقبةَ الواشين كُزها وبُعدَ مسافةِ الخرق المجوب
يُكاذبني وأصدقهُ رداه ومن كلف مُصادقةُ الكذُوب

وقوله

ماتقضّى لبانةً عند لُبنى والمُنى بالغانيات مُنيّ
هجرتنا يقظى وكادت على مذ هبها في الصُّدود تهجرُ وسني
بعدَ لأي وقد تعرّض منها طائفٌ عرّجت على الركب وهنا

[قال الشريف المرتضى] رضي الله عنه ... ووجدت أبا القاسم الحسن بن بشر الآمدي مع ميله الى البحتري وانحطاطه في شعبه واجتهاده في تأويل ما أخذ عليه من خطأ وزلل يزعم ان البحتري أخطأ في قوله

هجرتنا يقظى وكادت على مذ هبها في الصُّدود تهجرُ وسنى

قال لأن خيالها يمتنل له في كل أحوالها يقظى كانت أو وسنى قال ولكن الجيد في هذا المعنى قوله

اردُدْ دونكِ يقظانا ويأذنُ لي عليكِ سكرُ الهوى إنْ جئتُ وسنانا

قال والذي أوقع البحتري في هذا الغلط قول قيس بن الخطيم

ماتمنّى يقظي فقد توْتينهُ في النّوم غيرَ مُصرَّدٍ محسُوبِ

وكان الأجود أن يقول ماتمنى في اليقظة فقد توْتينه في النوم أي ماتمنيه في يقظتي فقد توْتينه في حال نومي حتى يكون النوم واليقظة ملسوبين اليه لأن خيال المحبوب يتمثل في حال نومه ويقظته جميعاً قال إلاّ أنه يتسع في التأويل في هذا لقيس مالا يتسع للبحتري لأن قيساً قال فقد توْتينه في النوم ولم يقل نائمة وقد يجوز أن يحمل على انه أراد ماتمنى يقظي وأنا يقظان فقد توْتينه في النوم أي في نومي ولا يسوغ مثل هذا في بيت البحتري لأنه قال وسنى ولم يقل في الوسن .. [قال الشريف] رضى الله عنه وقد يمكن في التأويل للبحتري ما أمكن مثله لقيس لكن الآمدي قد ذهب عن ذلك لأن البحتري لما قال وَسنيْ دل على حال الوسن والحال المعهودة للوسن حال يشترك الناس فيها في النوم بالعادة كما ان الحال المعهودة لليقظة حال مشتركة بالعادة فقوله وسنى ينبي عن كونه هو أيضاً نائماً وانما أراد المقابلة في زنة اللفظ بين يقظي ووسنى .. وقوله يقظي متى لم نحمله أيضاً على هذا المعنى لم يصح لأنه لا بد أن يريد بذلك هجرتنا في أحوال اليقظة ويكون معنى يقظي يتعدى اليه ألا ترى ان الآمدي حمل قول قيس يقظيْ على معنى وأنا يقظان وان لم يبين الوجه فيه فكيف ذهب عليه مثل ذلك في قول البحتري .. وقوله وسنى ويقظي مثل قول قيس يقظي ولو أمكن قيساً وزن الشعر من أن يقول وسني في مقابلة يقظي لقاله وما عدل عنه الى النوم لانه لم يكن عليه في وسنى إلاّ ماعليه في يقظي وما يتأوّل له في أحد الأمرين يتأوّل له في الآخر .. [قال الشريف المرتضي] رضى الله عنه ولي في الخيال وطروقه معنى ماعلمت انه سبق اليه من جملة قصيدة

وَزَوْرٍ تَخَطَّى جُنُوبَ الملاَ فَنادَيْتُ أهْلاً بِذَا الزَّائِرِ

أتاني هُدُوّاً وعَيْنُ الرَّقيبِ مَطْرُوفَةٌ بالكَرَى العامِرِي

فأعْجَبَ بِهِ يُسْعِفُ الهَاجِعِينَ وتُحْرَمُهُ مُقْلَةُ السَّاهِرِ

وَعَهْدِي بِتَمْوِيهِ عَيْنِ المُحِبِّ يَنِمُّ على قَلْبِهِ الطَّائِرِ

فلمّا التقينا برَغْمِ الرُّقادِ موَّهَ قلبي على ناظري

ومعنى البيت الآخر ان الأحلام انما هي اعتقادات تخيل فى القلب لاحقيقة لأكثرها لأن الانسان يعتقد انه رأى لما لا يراه على الحقيقة ويدرك لما ليس مدركه على الحقيقة فالقلب يخيل في النوم للعين ما لا حقيقة له كما ان العين تخيل فى كثير من الأحوال للقلب ما لاحقيقة له .. فأما قول مروان * فكأنما طرقت بنفحة روضة * البيت فيشبه أن يكون مأخوذاً من قول نهشل بن حري قال

طرَقَتْ أسيماء الرّحالَ ودُونَها بيتان من ليلِ التّمامِ الأسْوَدِ
ومَفاوِزٌ وصلَ الفلاةَ جنُوبُها بجَنُوبِ أخرَى غيرَ أنْ لم تُعْقِدِ
رَمْلٌ إذا أيْدِي الرّكابِ قَطَعْنَهُ قُرِعَتْ مَناسِمُها بقُفِّ قَرْدَدِ
فكأنَّ ريحَ لَطِيمَةٍ هِنْدِيَّةٍ وذَكِيَّ جادِيٍّ بنَضْعٍ مُجْسِدِ
ونَدَى خُزَامَى الجَوِّ جَوِّ سُوَيْقَةٍ طَرَقَ الخَيالُ به بُعَيْدَ المَرْقَدِ

أو من قول الآخر

طرَقَتْكَ زَيْنَبُ والمَزَارُ بَعِيدُ بِمِنًى وَنَحْنُ مُعَرَّسُونَ هُجُودُ
وكأنَّما طَرَقَتْ بِرَيَّا رَوْضَةٍ أُنُفٍ يُسَجْسِجُ مُزْنُها وتَجُودُ

وهذا المعنى كثير في الشعر المتقدم والمتأخر جداً .. فأما قوله بانت تسائل فى المنام معرساً البيت والبيتان اللذان بعده فقد قال الناس فى وصف قلة النوم ومواصلة السرّي والادلاج وشعث السارين فأكثروا .. فمن أحسن ما قيل فى ذلك قول لبيد

وَمجُودٍ منْ صَبابَاتِ الكَرَى عاطِفِ النَّمْرِقِ صَدْقِ المُبْتَذَلْ (١)

(١) قوله ــ ومجود من صبابات الكرى ــ الخ الواو واو رب والمجود الذى جاده التعاس وألح عليه حتى أخذ فنام من الجود بالفتح وهو المطر الغزير يقال أرض مجودة أي مغيثة وجيدت الأرض اذا أمطرت جوداً .. وقال اعرابي المجود الذى قد جاده العطش أى

قالَ هَجِّدْنا فَقَدْ طالَ السُّرَى ... وَقَدَرْنا إنْ خَنَى الدَّهْرُ غَفَلْ (١)

قَلَّما عَرَّسَ حَتَّى هِجْتُه ... بالتَّباشِيرِ منَ الصُّبْحِ الأوَّلْ (٢)

غلبه كذا فى شرح أبي الحسن الطوسي وهذا لايناسب لقوله صبابات الكرى فازالكرى النوم وصبابته بقيته كذا فى شرح الشواهد للبغدادى ٠٠ وقال في اللسان ويقال للذي غلبه النوم مجود كأن النوم جاده أى مطره قال والمجود الذي يجهد من النعاس وغيره عن اللحيانى وبه فسر قول لبيد وأنشد البيت قال أي هو صابر على الفراش الممهد وعن الوطء يعني انه عطف نمرقة ووضعها تحت رأسه وقيل معنى قوله ومجود من صبابات الكرى قيل معناه شبق وقال الأصمعي معناه صب عليه من جود المطر وهو الكثير منه والجود النعاس وجاده النعاس غلبه ٠٠ وقوله ـ عاطف النمرق ـ صفة مجود والاضافة لفظية والنمرقة مثلثة الذون الوسادة والطنفسة فوق الرحل وهي المراد هنا ٠٠ وقوله ـ صدق المتبذل ـ بفتح الصاد أى جلد قوي لا يغير عنه ابتذاله نفسه ولا يسقط ولايجوز أن يقال صدق المبتذل الا اذا امتهن ووجد صادق المهنة يوجد عنده مايحب ويراد

(١) قوله ـ هجدنا ـ الخ هو متعلق رب والتهجيد من الاضداد يقال هجده اذا نومه أى دعنا ننام وهو المراد هنا وهجده اذا أيقظه والفاء للتعليل ـ والسرى ـ بالضم سيرعامة الليل ٠٠ وقوله ـ وقدرنا ـ أي قدرنا على ورود الماء وذلك اذا قربوا منه وفى القاموس وبتنا ليلة قادرة هينة السير لاتعب فيها ـ والخنى ـ بفتح المعجمة والقصر الآفة والفساد أى ان غفل عنا فساد الدهر فلم يعقنا وقيل قدرنا أي على التهجيد وقيل على السير

(٢) قوله ـ قلما عرس ـ الخ ما المتصلة بقل كافة لها عن طلب الفاعل وجاعلة إياها بمنزلة ما النافية في الأغلب وهنا لاثبات القلة وما تتصل بأفعال ثلاثة فتكفها عن طلب الفاعل وهي قلما وطالما وكثر ماوينبغي ان تتصل بالأولين كتابة والتعريس النزول فى آخر الليل للاستراحة والنوم ومثله الاعراس ـ وهجته ـ أيقظته من النوم وهاج يهيج يجيء لازماً ومتعدياً يقال هاج اذا ثار وهجته اذا أثرته ـ وحتى ـ هنا حرف جر بمعنى الا الاستثنائية أي ماعرس إلاّ أيقظته أي نام قليلا ثم أيقظته وأكثر دخولها على

يَلْمَسُ الأَحْلاَسَ فِي مَنْزِلِهِ بِيَدَيْهِ كَالْيَهُودِيِّ المُصِلْ (١)
يَتَمَارَى فِي الَّذِي قُلْتُ لَهُ وَلَقَدْ يَسْمَعُ قَوْلَى حَيْهَلْ (٢)

أو من قول ذي الرمة

المضارع كقوله

لبس العطاء من الفضول سماحة حتى تجود وما لديك قليل

وقوله ـ بالتباشير ـ أي بظهورها والتباشير أوائل الصبح وهو جمع تبشير ولا يستعمل الا جمعا كذا عبر البغدادي ولفظ شارح القاموس لا واحد له ـ والأول ـ صفة التباشير وهو بضم الهمزة وفتح الواو جمع أولى مؤنث الأول كالكبر جمع كبري وقد جاء هذا المصراع الثاني في شعر النابغة الجعدي وهو

وشمول قهوة باكرتها في التباشير من الصبح الأول

(١) قوله ـ يلمس الأحلاس ـ فاعل يلمس ضمير المجود واللمس الطلب وفعله من باب قتل وضرب والأحلاس جمع حلس بالكسر وهو كساء رقيق يكون على ظاهر البعير تحت رحله أي يطلبها بيديه وهو لا يعقل من غلبة النعاس .. وقوله ـ كاليهودي المصل ـ أي كأنه يهودي يصلي في جانب يسجد على جبينه واليهودي يسجد على شق وجهه وأصل ذلك انهم لما نتق الجبل فوقهم قيل لهم إما أن تسجدوا وإما أن يلقى عليكم فسجدوا على شق واحد مخافة أن يسقط عليهم الجبل فصار عندهم سنة الى اليوم

(٢) قوله ـ يتمارى في الذي قلت له ـ الخ التمارى في الشيء والامتراء فيه المجادلة والشك فيه يقال ماريت الرجل أماريه مراء ومماراة اذا جادلته والمرية الشك .. قال الطوسي يقول قال له الصبح النجاء النجاء أصبحت ونحو هذا من الكلام ـ وحيهل ـ أي أسرع وأعجل وحيهل اسم فعل قال زكريا الأحمر في حيهل ثلاث لغات يقال حيهل بفلان بجزم اللام وحيهل بفلان بحركة اللام وحيهلا بفلان بالتنوين وقد يقولون من غير هل من ذلك حي على الصلاة وقال ابن عصفور ان حيهلا مركبة من حي وهلا الا ان ألف هلا تحذف في بعض اللغات تخفيفاً

وَلَيلٍ كأثناء الزويزيّ جُبْتُهُ بأزبَةٍ والشَّخصُ في العَينِ واحدُ

ـ والزويزي ـ هو الطيلسان .. وقد روى أيضاً كجلباب العروس أدرعته وكل ذلك وصفه بالسواد لان الطيلسان أسود .. وجلباب العروس أخضر والعرب تجمع بين الخضرة والسواد

أَحَمُّ عِلاقِيٌّ وَأَبْيَضُ صارِمٌ واعْبَسُ مُهْرِيٌّ وَاشْعَثُ ماجِدُ

أَخُو شُقَّهِ جابَ الفَلاةَ بِنَفْسِهِ على الهَوْلِ حتّى طَوَّحَتْهُ المَطارِدُ

واشْعَثَ مِثْلَ السَّيْفِ قَذَّلاحَ جِسْمُهُ وَجِيفُ المَهارِي والهُمُومُ الأَباعِدُ

سَقاهُ الكَرَى كأْسَ النُّعاسِ فَرَأْسُهُ لِدِينِ الكَرَى مِنْ آخِرِ اللَّيلِ ساجِدُ

أَقَمْتُ لهُ صَدْرَ المَطِيِّ فَمادَرَى أَجائِزَةٌ أَعْناقُها أَمْ قَوَاصِدُ

تَرَى النَّاشِئَ الغِرَّ يَرِيضُحِي كأَنهُ على الرَّحْلِ مِمَّا مِنْهُ السَّيْرُ عاصِدُ

ومن ذلك قول أبي حية النميري

وأَغْيَدَ مِنْ طُولِ السُّرَى بَرَحَتْ بِهِ أَفانِينُ نَهْاضٍ على الأَيْنِ مُزْجِمِ

سَرَيْتُ بِهِ حتّى إذا ما تَمَزَّقَتْ تَوالِي الدُّجَى عَنْ وَاضِحِ اللَّوْنِ مُعْلَمِ

أَنَخْنا فلمّا أَنْ جَرَتْ في دِماغِهِ وَعَيْنَيْهِ كأْسُ النَّوْمِ قلتُ لهُ قُمِ

فَما قامَ الاّ بَيْنَ أَيْدٍ تُقِيمُهُ كما عَطَفَتْ رِيحُ الصَّبا خُوطَ أَسْأَمِ

خَطَا الكُرْهَ مَغْلُوباً كأَنَّ لِسانَهُ لِما رَدَّ مِنْ رَجْعِ لِسانُ المُبَلْسِمِ

وَوَدَّ بِوُسْطَى الخَمْسِ مِنْهُ لَوَ انَّنا رَحَلْنا وقُلْنا في المَناخِ لهُ نَمِ

مجلس آخر ٤٢

[تأويل آية] .. إن سأل سائل عن قوله تعالى (أولئك لم يكونوا معجزين في الأرض) الى آخر الآية .. فقال ما معنى اختصاص الأرض بالذكر وهم لا يفوتون الله ولا يعجزونه ولا يخرجون عن قبضته على كل حال وفي كل مكان ولم نفى الأولياء عنهم وقد نجد أهل الكفر يتولى بعضهم بعضاً وينصرونهم ويحمونهم من المكاره وكيف نفى استطاعتهم للسمع والإبصار وأكثرهم قد كان يسمع بأذنه ويرى بعينه .. الجواب قلنا أما الوجه في اختصاص الأرض بالذكر فلأن عادة العرب جارية بقولهم للمتوعد لا مهرب لك مني ولا وزر ولا نفق والوزر الجبل والنفق السرب وكل ذلك مما يلجأ اليه الخائف المطلوب فكأنه تعالى نفى أن يكون لهؤلاء الكفار عاصم منه ومانع من عذابه وان جبال الأرض وسهولها لا تحجز بينهم وبين ما يريد إيقاعه بهم كما انها تحجز عن كثير من أحوال البشر من المكاره لأن معاقل الأرض هي التي يهرب اليها البشر من المكاره ويلجؤن بها الى الاعتصام بها عند المخاوف فاذا نفى تعالى أن يكون لهم في الأرض معقل فقد نفى المعقل من كل وجه .. وأما قوله تعالى (وما كان لهم من دون الله من أولياء) فمعناه انه لا ولي لهم ولا ناصر من عذاب الله وعقابه لهم في الآخرة ولا مما يريد أيضاً إيقاعه بهم في الدنيا وان كان لهم من يحميهم من مكروه البشر وينصرهم ممن أرادهم بسوء وقد يجوز أن يكون ذلك أيضاً بمعنى الأمر وان كان مخرجه مخرج الخبر ويكون التقدير وليس لهم أن يتخذوا أولياء من دون الله بل الواجب أن يرجعوا اليه في معونتهم ونصرهم ولا يعولوا على غيره .. فأما قوله عزوجل (ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون) ففيه وجوه .. أحدها أن يكون المعنى يضاعف لهم العذاب بما كانوا يستطيعون السمع فلا يسمعون وبما كانوا يستطيعون الإبصار فلا يبصرون عناداً للحق وذهاباً عن سبيله فأسقط الباء من كلامه وذلك جائز كما جاز في قولهم لأجزينك بما عملت ولأجزينك ما عملت ولأحدثنك بما عملت ولأحدثنك ما عملت وكما قال الشاعر

نُغالي اللَّحْمَ للأضْيافِ نِيا وَنَبْذُلُهُ إذا نَضِجَ القُدُورُ

أراد نغالي باللحم .. والوجه الثاني انهم لاستثقالهم استماع آيات الله تعالى وكراهيتهم تذكرها وتفهمها جرى مجرى من لا يستطيع السمع كما يقول القائل ما يستطيع فلان أن ينظر لشدة عداوته الى فلان وما يقدر على أن يكلمه وكما نقول لمن عهدنا منه العناد والاستثقال لاستماع الحجج والبينات ما يستطيع أن يسمع الحق وما يطيق أن يذكر له ذلك وكما قال الأعشى

وَدِّعْ هُرَيْرَةَ إنَّ الرَّكْبَ مُرْتَحِلُ وَهَلْ تُطِيقُ وَدَاعاً أيُّها الرَّجُلُ

ونحن نعلم انه قادرٌ على الوداع وانما نفى قدرته عليه من حيث الكراهية والاستثقال .. ومعنى وما كانوا يبصرون أي ان إبصارهم لم يكن نافعاً لهم ولا مجدياً عليهم مع الاعراض عن تأمل آيات الله تعالى وتدبرها فلما انتفت عنهم منفعة الإبصار جاز أن ينفي عنهم الإبصار نفسه كما يقال للمعرض عن الحق العادل عن تأمله مالك لا تسمع ولا تبصر ولا تعقل وما أشبه ذلك .. والوجه الثالث أن يكون معنى نفي السمع والبصر راجعاً الى آلهتهم لا اليهم وتقدير الكلام أولئك وآلهتهم لم يكونوا معجزين في الارض يضاعف لهم العذاب ثم قال مخبراً عن الآلهة ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون وهذا الوجه مروي عن ابن عباس رضي الله عنه وفيه أدنى بعد .. ويمكن في الآية وجه رابع وهو أن يكون ما في قوله (ما كانوا يستطيعون السمع) ليست للنفي بل تجري مجرى قولهم لأواصلنك ما لاح نجم ولأقيمن على مودتك ما طلعت شمس ويكون المعنى ان العذاب يضاعف لهم في الآخرة ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون أي انهم معذبون ما كانوا أحياء .. فان قيل كيف يعبر عن كونهم أحياء باستطاعة السمع والإبصار وقد يكون حياً من لا يكون كذلك .. قلنا للعرب في مثل هذا عادة لأنهم يقولون والله لا كلمت فلاناً ما نظرت عيني ومشت قدمي وهم يريدون ما بقيت وحييت لان الأغلب في أحوال الحي أن تنظر عينه وتمشي قدمه فجعلوا الأغلب كالواجب ومن ذلك قول الشاعر

وَما أَنْسَ مِنْ شَيءٍ تَقادَمَ عَهْدُهُ ... فَلَسْتُ بِناسٍ ما هَدَتْ قَدَمِي نَعْلِي
عَشِيَّةَ قالَتْ وَالدُّمُوعُ بِعَيْنِها ... هَنِيئاً لِقَلْبٍ عَنْكَ لَمْ يُسْلِهِ مُسْلِي

وانما أراد إني لا أنسى ذلك ما حييت وكذلك لا يمتنع أن يعلّق على هذا المذهب دوام العذاب بكونهم مستطيعين للسمع والابصار ويعود المعنى الى تعلقه ببقائهم وكونهم أحياء والمرجع فى ذلك الى التأبيد لانه اذا علّق العذاب ببقائهم واحيائهم علمنا ان الآخرة لا موت فيها ولا خروج من الحياة وعلمنا تأبيد العذاب .. ونعود الى ما كنا شرعنا فيه من الكلام على شعر مروان فما يختار له قوله من القصيدة التى قد مضى أوّلها وتكلمنا عليها

وَضَعُوا الخُدُودَ لَدَى سَوَاهِمَ جُنَّحٍ ... تَشْكُوا كُلُومَ صِفَاحِها وَكَلالَها
طَلَبَتْ أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ فَوَاصَلَتْ ... بَعْدَ السُّرَى بِغُدُوِّها آصَالَها
نَزَعَتْ إِلَيْكَ صَوَادِياً فَتَقاذَفَتْ ... تَطْوِى الفَلاةَ حُزُونَها وَرِمالَها
يَتْبَعْنَ نَاجِيَةً نَبِيٌّ مِرَاحُها ... بَعْدَ النُّحُولِ تَلِيلُها وَقَذالُها
هَوْجَاءُ تَدْرَعُ الرُّبا وَتَشُقُّها ... شَقَّ الشُّمُوسِ إِذَا يُرَاعُ جِلالَها
تَنْجُو إِذَا دَفَعَ القَطِيعُ كَما نَجَتْ ... خَرْجَاءُ بادِرَتِ الظَّلامَ رِئالَها
كَالقَوْسِ سَاهِمَةً أَتَتْكَ وَقَدْ تُرَى ... كَالبُرْجِ تَمْلأُ رَحْلَها وَحِبالَها

وهذه الأبيات فى وصف الرواحل بالسرعة والنحول جيدة الألفاظ مطرّدة النسج وقد سبق الناس فى هذا المعنى الى ضروب من الاحسان فمن ذلك قول الأخطل

بِخُوصٍ كَإِعْطالِ القَسِيِّ تَقَلْقَلَتْ ... أَجِنَّتُها مِنْ شُقَّةٍ وَدَؤُبِ (١)

(١) ـ اعطال القسى ـ التي لا أوتار عليها ـ وتقلقلت ـ تحركت في بطونها من الدأب والسير ـ وأجنتها ـ جمع جنين

إذَا مُعْجَلٌ غادَرْنَهُ عِنْدَ مَنْزِلٍ ... أُتِيحَ لِجَوَّابِ الفَلاةِ كَسُوبِ (١)

وَهُنَّ بِنا عُوجٌ كأَنَّ عُيُونَها ... بَقايا فِلاتٍ قَلَّصَتْ لِنُضُوبِ (٢)

مَسانِيفُ يَطْوِيهامعَ القَيْظِ والسُّرَى ... تَكالِيفُ طلاَّعِ النِّجادِ رَكُوبِ

قَدِيمٍ تَرَى الأَصْواءَ فِيهِ كأَنَّها ... رِجالٌ قِيامٌ عُصِّبُوا بِسُبُوبِ (٣)

يَعُمْنَ بِنا عَوْمَ السَّفِينِ إِذَا اغْتَلَتْ ... سَحابَةُ وَضّاحِ السَّرابِ خَبُوبِ

وقال مسلم بن الوليد الأنصارى

إلى الإمامِ تَهادَيْنا بأَرْحُلِنا ... خَلْقٌ مِنَ الرِّيحِ فِي أَشْباحِ ظُلْمانِ

كأَنَّ إِفْلاتَها والفَجْرُ يأْخُذُها ... إِفْلاتُ صادِرَةٍ عَنْ قَوْسِ حَسّانِ

.. وقال بشار

وإذا المَطِيُّ سَبَحْنَ فِي أَعْطافِهِ ... فاتَ المَطِيُّ بِكاهِلٍ وَتَلِيلِ

فَكأَنَّهُ وَالنّاعِجاتُ يَرِدْنَهُ ... قِدْحٌ يُطَلِّعُ مِنْ قِداحِ مُجِيلِ

ولبعض الحارثيين

نَهِشَ الهَجائِرُ والظَّهائِرُ لَحْمَها ... حتى تَحَدَّدَ لَحْمُها المُتَظاهِرُ

---

(١) ــ المعجل ــ الجنين الذي يولد لغير تمام ــ وأتيح ــ قدر ــ وجوّاب الفلاة ــ الذئب .. يقول ذا رمت بالمعجل صادفه الذئب

(٢) ــ الفلاة ــ جمع فلت وهى النقرة في الجبل تمسك الماء ــ وقلصت ــ أي غارت ــ والنضوب ــ ذهاب الماء .. شبه عظم العين بالصخرة فى الصلابة وبقية العين بما بقى من الماء فى القلت

(٣) ــ الأصواء ــ جمع صُوى وصوى جمع صوة وهي حجارة تنصب ليهتدي بها .. شبه الصوى وقد جللها السراب برجال قيام عصبوا بالسبوب جمع سب وهي شقة كتان رقيقة

حَرْفٌ تَنَاهبَهَا النَّجَاءُ فَلَا يَصُلّ ... مِمَّا تَنَجَّلَ شَدْقُمٌ أَوْ ذَاعِرُ
صُبُرٌ إِذَا عَطَفَتْ سَوَالِفُهَا البُرَى ... سُمِعَتْ لَهُنَّ كَشَاكِشٌ وَجَرَاجِرُ
وَيُخَلْنَ مِنْ عِزِّ النُّفُوسِ وَجِدِّهَا ... جِنًّا وَهُنَّ إِذَا اخْتُبِرْنَ أَبَاعِرُ
إِمَّا إِذَا مَا أَقْبَلَتْ فَكَأَنَّهَا ... ذُعْرٌ تَهَادَتْهَا الفَلَاةُ نَوَافِرُ
إِمَّا إِذَا مَا أَعْرَضَتْ فَكَأَنَّهَا ... كُدْرٌ تَوَرَّدْنَ النِّطَافَ صَوَادِرُ
إِمَّا إِذَا مَا أُبْرِكَتْ فَكَأَنَّهَا ... صُرُحٌ مُشَيَّدَةٌ وَهُنَّ ضَوَامِرُ

[قال الشريف] رضي الله عنه .. وإلى لاستحسن قول بشامة بن الغدير في وصف الناقة بالسرعة

كَأَنَّ يَدَيْهَا إِذَا أَزْقَلَتْ ... وَقَدْ جَزَنَ ثَمَّ اهْتَدَيْنَ السَّبِيلَا
يَدَا سَابِحٍ حُرٍّ فِي غَمْرَةٍ ... وَقَدْ شَارَفَ المَوْتَ إِلَّا قَلِيلَا[1]
إِذَا أَقْبَلَتْ قُلْتَ مَشْحُونَةٌ ... أَطَاعَتْ لَهَا الرِّيحُ قُلْعًا جُفُولَا[2]
وَإِنْ أَدْبَرَتْ قُلْتَ مَذْعُورَةٌ ... مِنَ الرِّئْدِ تَتْبَعُ هَيْقًا ذَمُولَا[3]

(١) قوله ـ يدا سابح ـ الخ يروى

يدا عائم حر فى غمرة ... قد ادركه الموت إلا قليلا

يقول كأن يدي هذه الناقة وقت كلال غيرها من الابل ولزومهن المحجة يدا سابح فهو أشد لتحريكه يديه محافة على نفسه

(٢) المشحونة ـ المملوأة ـ .. شبهها بسفينة ملوأة لانه أقوم لسيرها وأعدل ـ والقلع ـ الشراع ـ والجفول ـ التي تجفل أي تسرع

(٣) قوله وان أدبرت الخ يروي

اذا أقبلت قلت مذعورة ... من الرمد تلحق هيقا ذمولا

ومعنى قوله ــ وقد جرن ثم اهتدين السبيلا ــ يعني المطايا يقول كن نشيطات يمرحن فلا يلزمن لقم الطريق بل يأخذن يميناً وشمالا فلما عضهن الكلال استقمن على المحجة فكأنه وصف ناقته ببقاء النشاط مع كلال المطي وكفى عن الكلال بلزوم جادة الطريق حتى تنكبها .. وهذه كناية فصيحة مليحة ومثله قول الآخر

كأنَّ يديها حينَ جدَّ نجاؤها ... يدا سابحٍ في غمرةٍ يتذرَّعُ

ومما يشاكل هذا المعنى ويقاربه قول النمّاخ

كأنَّ ذِراعيها ذِراعا مُدِلَّةٍ ... بُعيدَ السَّبابِ حاولتْ أنْ تَعذَّرا

مُمجَّدةُ الأعراقِ قالَ ابنُ ضرَّةٍ ... عليها كلاماً جارَ فيهِ وأهجرَا

ويروي من الربد كما في الأصل وهو جمع ربداء وجعلها مذعورة لانه أشد لسيرها ــ والرمد ــ النعام وهي الربد أيضاً ــ والهيق ــ ذكر النعام وهي المتكسفة اللون تعلو سوادها كدرة والربدة سواد يكتنف الوجه ويغيره يقال لأربد وجهه والهيق الطويل والأنثى هيقة وهذه الرواية التي في الأصل متكسة فقدم آخرها على أولها وحذف من بينها أربعة أبيات وهي من قصيدة مشهورة أولها

هجرت أمامة هجراً طويلا ... وحملت النأي عبأ ثقيلا

الى ان قال

اذا أقبلت قلت مذعورة ... من الرمد تلحق هيقا ذمولا

وان أدبرت قلت مشحونة ... أطاع لها الريح قلعاً جفولا

وان أعرضت حار فيها البصير ... ما لا يكلفه أن يقيلا

يداً تُرزِماً ماثراً ضبعها ... تسوم وتقدم رجلا زجولا

وهوجاً تناطحن نحت المطا ... وتهدي بهن مشاشاً كهولا

تعز المطي جماع الطريق ... اذا أدلج القوم ليلا طويلا

كأن يديها اذا أرقلت ... وقد جرن ثم اهتدين السبيلا

يدا عائم خر في غمرة ... الى آخر القصيدة

شبه ذراعيها وهي تتذرع في سيرها بذراعي امرأة مدلة على أهلها ببراعة ساحتها وقد حكى عنها ابن ضرتها كلاماً أهجر فيه أي أفحش فهي ترفع يديها وتضعهما تعتذر وتحالف وتنصح عن نفسها .. وقد قيل ان معنى مدلة انها تدل بحسن ذراعيها فهي تدمن اظهارهما ليرى حسنهما .. وقوله ـ بعيد الشباب ـ أي في عقب الصبابة قامت تعتذر الى الناس وقوم يروونه بعيد الشباب ومعنى هذه الرواية انها نصف من النساء فهي أقوم بحجتها من الحدثة الغرة ويشهد لهذه الرواية قول الآخر

كأنَّ يديها حين يفتقُ ضفرَها ... يدا نصف غيرى تعذرُ من جرْم

وفي قوله ـ حين يفتق ضفرها ـ سرٌّ وفائدة لأن الضفر هو الاتساع وانما تفتق اذا جهدها السير فضمرت فكأنه وصفها بالتذرع والنشاط مع الجهد والكلال .. ومثله

كأنَّ ذِراعَيْها ذِراعا بَدِيَّةٍ ... مُفَجَّمَةٍ لاقَتْ ضَرائِرَ عن عُفْرِ

تَمَعَّنَ لها واستَعْجلَتْ بكلامِها ... فلا شيء يفرى باليدين كما تَفْرى

ويقاربه قول الآخر

ألا هل لبلغنيهم ... على اللأواء والظنة

وآة الحصى المعزا ... في أخفافها رنة

إذا ماعسفت قلت ... حماة فاضحة كنة

ومن شبه سرعة أيدي الابل بأيدي النواعج كعب بن زهير فقال

كأنَّ أوْبَ ذِراعَيْها إذا عرقتْ ... وقد تلفع بالقور العساقيلُ

وقال للقوم حاديهم وقد جعلتْ ... وزقُ الجنادبِ يزكضن الحصى قيلوا

شدَّ النَّهارِ ذِراعا عَيْطلٍ نَصَفٍ ... قامتْ فجاوبها نُكْدٌ مثاكيلُ

نَوَّاحةٌ رَخْوَةُ الضَّبْعَيْنِ ليسَ لها ... لمأنمى بكرِها النَّاعُونَ معقولُ

العساقيل ـ أول السراب ولا واحد لها من لفظها .. أخبر ان ناقته في شدة الحر وانقاد

الظهيرة تمرح فى سيرها وتذرع بيديها وشبه ذراعيها بذراعي امرأة نصف تنوح على ابنها وقد نعي اليها فهي تشير بيديها وتوالي تحريكهما ـ والعيطل ـ الطويلة العنق وجملها نصفاً لانها قد كادت تيأس من الولد فهي أشد لحزنها على ابنها وتفجعها عليه ـ والقور ـ جمع قارة وهي ما ارتفع واستدار من الرمل وأراد أن يقول كما تلفعت القور بالعساقيل فلم يمكنه فقلب ٠٠ ومثله

وكأنما رفعت يداً نوّاحة ... شمطاء قامت غيرذات خمار

وانما خص الشمطاء لما ذكرناه من اليأس من الولد كما قال عمرو بن كلثوم

ولا شمطاء لم يترك شقاها ... لها من تسعة إلا جنينا

وقد قيل في بيت عمرو بانه شبه الناقة بشمطاء لما على رأسها من اللثام ٠٠ ومثل ما تقدم من المعانى قول الشاعر

ياليت شعري والمنى لا تنفع ... هل أغدون يوماً وأمري مجمع

وتحت رحلي زفيان ميلع ... كأنها نائحة تفجع

تبكي لميت وسواها الوجع

ـ الزفيان ـ الناقة الخفيفة ـ والميلع ـ السريعة ٠٠ وشبه رجع يديها فى السير ونشاطها بيدي نائحة تنوح لقوم على ميتهم بأجرة فهي تزيد فى الاشارة بيديها ايري مكانها ٠٠ ومثله بعينه قول ذي الرمة

مجانيق تضحي وهي عوج كأنها ... بجوب الفلا مستأجرات نوائح

ـ المجانيق ـ اللواتى ضمرن بعد سمن وخص المستأجرات من النوائح للمعنى الذي ذكرناه ٠٠ وقال الشماخ فيما يقارب هذا المعنى

كأن أوب يديها حين اعجلها ... أوب المراح وقد نادوا بترحال

مقط الكرين على منكوسة زلق ... في ظهر حنانة النيرين مغوال

معنى ـ أوب ذراعيها ـ أي رجعهما ـ وأوب المراح ـ اذا راح القوم عازب أموالهم ابرحلوا ٠٠ وقد روى أوب المراح بالكسر ومعناه رجع المراح ـ والنشاط ٠ والمقط ـ اللعب بالكرة ـ والكرين ـ جمع كرة ـ والمكوسة ـ الأرض البراح التي لاشئ فيها ـ والزلق ـ المستوية من الأرض ـ والحنانة ـ الريح ـ والنيران ـ جانباهذه الأرض ـ وغول ـ قيل انه من صفات الريح وقيل انه من صفات الأرض وان كان من صفات الريح فمعناها ان الريح تغول الأرض بأسرها أى يملأها واذا كان للأرض فالمعنى انها تغول من سلكها أي تهلكه ٠٠ وتلخيص معني البيت انه شبه يدى ناقته بيدي ضارب بكرة في الأرض الواسعة في يوم ريح عاصف وهذا من دقيق المعاني وحسن التشبيه والمبالغة ٠٠ ومثل بيتي الشماخ قول المسيب بن علس

مرحت يداها للنجاء كأنما تكرو بكفي مأقط في قاع[1]

---

(١) قوله ـ تكرو بكفي مأقط ـ الخ ٠٠ رواية المفضل

مرحت يداها للنجاء كأنما تكروا بكفي لاعب في صاع

قال ابن الانباري ـ النجاء ـ السرعة يمد ويقصر ـ وتكرو ـ كأنما تلعب بالكرة يقال قد كري يكرو اذا ضرب بالكرة ـ والصاع ـ منهبط من الأرض له مايحفه كهيئة الجفنة ٠٠ ويروى ـ بكفي مأقط في صاع ـ الصاع موضع تكنسه وتلعب فيه بالكرة ـ والمأقط ـ الذي يكرو بالكرة يضرب بها الأرض ترتفع اليه ٠٠ قال أحمد قوله في صاع أراد بصاع وهو الصولجان الذى يلعب به الغلمان أراد بصاع صالح لانه يعطف للضرب به لتصاع الكرة به فكان الصولجان هو يصوعها ٠٠ وهذان البيتان من قصيدة مفضلية روى ان أبا جعفر المنصور رثى بالمهدى ابنه وهو يتشد المفضل هذه القصيدة فلم يزل واقفاً من حيث لا يشعر به حتى استوفى سماعها ثم صار وأمر باحضارها فحدث المفضل بوقوفه واستماعه لقصيدة المسيب واستحسانه إياها وقال له لو عمدت الى أشعار الشعراء المقلين واخترت لفتاك لكل شاعر أجود ماقال لكان ذلك صواباً ففعل المفضل وعدد القصيدة ٣٦ بيتاً وأولها

أرحلت من أسلمى بغير متاع قبل العطاس ورعتها بوداع
عن غير مقلية وإنّ حبالها ليست بأرمام ولا أقطاع

فِعْلَ السَّرِيعَةِ بادَرَتْ جُدَّادَها قَبْلَ المَسَاءِ تَهُمُّ بالإِسْرَاعِ

معنى ـ تكرو ـ أى كأنها لاعب بكرة ـ والسريعة ـ يعنى ناقة ـ والجداد ـ الغزل الضعيف [1] فأراد انها تسرع الضرب بالخف والنسج قبل المساء وما دامت تبصر فشبه يدى ناقته في تذرعها بيدى هذه النساجة .. وقال الأصمعي الجداد هدب الثوب فيعنى ان هذه النساجة قد قاربت الفراغ من الثوب وبلغت الي هدبه فهي تبادر لتفرغ منه قبل المساء .. وقريب منه قول الآخر

كأَنَّ أَيْدِيهِنَّ بالقَاعِ الفَرِقْ أَيْدِي جَوَارٍ يَتَعاطَيْنَ الوَرِقْ

فالفرق الخشن الذى فيه الحصى وشبه حذف مناسبها له بحذف جوار يلعبن بدراهم وخص الجواري لانهن أخف يدىً من النساء .. وقال آخرون الفرق ههنا المستوى من الأرض الواسع وانما خص بالوصف لان أيدى الابل اذا أسرعت فى المستوى فهو أجد لها واذا أبطأت فى غيره فهو أجهد لها .. ومن أحسن ما قيل في الاسراع قول المرار بن سعيد

فتناوَلُوا شُعَبَ الرِّحالِ فقلَّصَتْ سُودُ البُطُونِ كَفضلة المُتَنَمِّسِ

اذ تستبيك باصلتيّ ناعم قامت لتفتله بغير قناع
ومعيّ يرف كأنه إذ ذقته عانيّةٌ شجت بماء يراع
أو صوب سارية أدرّته الصبا ببزيل أزهر مدبج بسباع
فرأيت ان الحلم مجتنب الصبا فصحوت بعد تشوق ورواع
فتسلّ حاجتها اذا هي أعرضت بخميصة سُرح اليدين وساع
سكاء ذعلبة اذا استدبرتها حرج اذا استقبلتها هلواع
وكأن قنطرة بموضع كورها ملساء بين غوامض الانساع
واذا تعاورت الحصى أخفافها دوّت نواديه بظهر القاع

(١) وقيل الجداد ما بقى من خيوط الثوب وقيل هي خيوط الثوب اذا قطعه

ذكر قوماً سفراً هبوا من رقدتهم الى رحالهم ليسروا .. ويعنى بسود البطون الابل ـ والمتمس ـ الصائد الذى أخذ ناموساً وهو ما يستتر به ليختل الصيد فشبه المطايا فى سرعتها بقطا قد صاد الصائد بعضها وأفلت بعضها فهن يطرن طيراناً شديداً .. ومثل هذا وان كان في وصف الخيل قول النابغة

كالطَّيْرِ تَنجُو من الشُّؤْبُوبِ ذِي الرَّدِ (١)

فأما قول مروان

يَبُزُّ مِراحُها بَعْدَ النُّحُولِ تليلها وَقَذَالُها

فقد مضى من وصف المطايا بالنشاط بعد السآمة والجهد ما مضى .. وأحسن من قول مروان وأشد فصاحة بالمعنى وإعراباً عنه قول الهذلي

وَمَنْ سَيْرُها العَنَقُ المَسْبَطِرُّ والعَجْرَفِيَّةُ بَعْدَ الكَلَالِ

وانما كان أحسن لانه صرح بنشاطها بعد كلالها وقول مروان بعد النحول لا يجرى هذا المجرى لأن النحول قد يكون عن جهد السفر والتعب ويكون عن غيره .. وأما قوله ـ كالفوس ساهمة أتتك ـ البيت فقد أكثرت العرب في وصف المطايا بالنحول وتشبيهها بالقسى .. وغيرها وقد أحسن كثير في قوله

نَفَى السَّيْرُ عنها كُلَّ داءٍ إقامةٍ فهُنَّ رَدَايا بالطَّرِيقِ تَرَائكُ
وخَيْلَتِ الحَاجاتُ خوصاً كأنَّها وقد ضَمَّرتْ صُفْرُ القِسِيِّ العَوَاتِكُ

وقال سلم بن عمرو الخاسر

وكأنَّهُنَّ من الكَلالِ أهلَّةٌ أو مِثْلُهُنَّ عطائفُ الأقْوَاسِ
قُودٌ طَوَاها ماطَوَتْ من مَتْنِهِ نأيُ الصُّوَى ومَنَاهِجٍ أدْرَاسِ

---

(١) وصدر البيت * والخيل تمزع غرباً في أعنتها * وهو من قصيدته التى أولها

يا دار ميـة بالعلياء فالسـند أقوت وطال عليها سالف الأبد

وقال أبو تمام يصف ناقة

أتينا القادسيةَ وهيَ تزنُو ... إليَّ بعينِ شيطانٍ رجيمِ
فما بلغتْ بنا عُسفانَ حتَّى ... رَنَتْ بلحاظِ لقمانَ الحكيمِ
وبدَّلها السُّرَى بالجهلِ حلماً ... وقدَّ أديمَها قدُّ الاديمِ
أذابَ سنامَها قطعُ الفيافي ... فقلَّقَ جلدَها نضحُ المصيمِ
بدتْ كالبدرِ وافا ليلَ سعدٍ ... وآبتْ مثلَ عرجونٍ قديمِ

وقال البحتري

وخدانُ القلاصِ حولاً إذا ما ... بلنَ حولاً من أنجمِ الأسحارِ
يترقرقنَ كالسرابِ وقد خضـ ... ـنَ غماراً من السرابِ الجاري
كالقسيِّ المعطفاتِ بل الأسـ ... ـهمِ مبريَّةً بلِ الأوتارِ

وله أيضاً

وهيَ العيسُ دهرُها في ارتحالٍ ... من حلولٍ أو فرقةٍ من جميعِ
ربَّ مرتٍ مرَّتْ تجاذبُ قُطراً ... بهِ سراباً كالمنهلِ المشروعِ
وسُرىً تنتحيهِ بالوخدِ حتَّى ... يصدعُ الليلُ عن بياضِ الصديعِ
كالبُرَى في البُرَى ويحسبنَ أحيـ ... ـاناً نسوعاً مجدولةً في نسوعِ

مجلس آخر ٤٣

[تأويل آية] ٠٠ إن سائل سائل عن قوله تعالى (ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي) الآية ٠٠ فقال كيف أضاف الى نفسه اليد وهو ممن يتعالى عن الجوارح ٠٠ الجواب قلنا

فى هذه الآية وجوه ٠٠ أوّلها أن يكون قوله تعالى (لما خلقت بيدى) جارياً مجرى لما خلقت أنا وذلك مشهور فى لغة العرب يقول أحدهم هذا ما كسبت يداك وما جرّت عليك يداك فاذا أرادوا نفى الفعل عن الفاعل استعملوا فيه هـذا الضرب من الكلام فيقولون فلان لا تمشى قدمه ولا ينطق لسانه ولا تكتب يده وكذلك فى الاثبات ولا يكون للفعل رجوع الى الجوارح فى الحقيقة بل الفائدة فيه النفى عن الفاعل ٠٠ وثانيها أن يكون معنى اليد ههنا النعمة ولا إشكال فى ان أحد محتملات لفظة اليد النعمة ٠٠ فأما الوجه فى تثنيتهما فقد قيل فيه ان المراد نعمة الدنيا ونعمة الآخرة فكأنه تعالى قال ما منعك أن تسجد لما خلقت لنعمتى وأراد بالباء اللام ٠٠ وثالثها أن يكون معنى اليد ههنا القدرة وذلك أيضاً معروف من محتملات هذه اللفظة يقول القائل مالى بهذا الأمر من يد ولا يدان وما يجرى مجرى ذلك والمعنى إنى لاأقدر عليه ولا أطيقه وليس المراد بذلك اثبات قدرة على الحقيقة بل اثبات كون القادر قادراً ونفى كونه قادراً فكأنه تعالى قال ما منعك أن تسجد لماخلقت وأنا قادرٌ على خلقه فعبر عن كونه قادراً بلفظ اليد الذى هو عبارة عن القـدرة وكل ذلك واضح فى تأويل الآية ونعود الى ما كنا ابتدأنا به من الكلام على شعر مروان ٠٠ فمن قصيدته التى تقدم بعضها ووقع الكلام عليه مما يختار قوله

أحيا أميرُ المؤمنينَ محمّدٌ ... سُنَنَ النَّبى حرامَها وحلالَها
ملكٌ تفرّعَ نبعةً من هاشمٍ ... مدَّ الإلهُ على الأنام ظلالَها
جبلٌ لأمّتِهِ تلوذُ بركنِهِ ... زادى جبالَ عدُوّها فازالَها
لم يفشها مما يخافُ عظيمةٌ ... الاّ أجالَ لها الامورَ مجالَها
حتّى يُفرّجَها أغرُّ مهذّبٌ ... ألفى أباهُ مفرّجاً أمثالَها
ثبتٌ على زلَلِ الحوادثِ راكبٌ ... من صرفهنّ لكلِّ حالٍ حالَها
كلتا يديكَ جعلتَ فضلَ نوالها ... للمسلمينَ وللعدوّ وبالَها
وقمتَ موا قمها بعفوكَ أنفسٌ ... أذهبتَ بعدَ مخافةٍ أوجالَها

أَمِنْتَ غِيَرَ مُعاقِبٍ طُرُّادَها وفَكَكْتَ عن أُسَرائِها أَغْلالَها
ونَصَبْتَ نَفْسَكَ خَيْرَ نَفْسٍ دُونَها وجَعَلْتَ مالَكَ واقِياً أَمْوالَها

أما قوله

أحيا أمير المؤمنين محمد سنن النبي حرامها وحلالها

فقد طعن عليه وعابه من لا معرفة له بنقد الشعر فقال كيف يكون في سنن النبي عليه الصلاة والسلام حرام وما ذلك بعيب وانما أراد بقوله حرامها وحلالها التحريم والتحليل ومن سنن النبي عليه الصلاة والسلام تحريم الحرام وتحليل الحلال .. وانما المعيب من هذا المعنى قول ابن الرقاع العاملي

ولقَدْ أَرادَ اللهُ إذْ ولاَّكَها منْ أُمَّةٍ إصلاحَها وفَسادَها[1]

ومثل قول مروان قول لم الحاسر * ولما وليت ذكرت الذ بي تحليله وتحريمه * فأما قوله حق يفرحها أغر مهذب البيت فكثير جداً للمتقدمين والمحدثين والأصل فيه قول زهير

وما كانَ من خيرٍ أَتَوْه فإنَّما تَوارَثَهُ آباءُ آبائِهِمْ قبلُ
وهلْ يُنْبِتُ الخَطِّيَّ الاَّ وشيجُهُ وتُغْرَسُ إلاَّ في منابتِها النَّخلُ

ومثله قول الآخر

وحَمْزَةُ والعبَّاسُ مِنْهُمْ ومِنْهُمُ عَقِيلٌ وماءُ العُودِ منْ حيثُ يُعْصَرُ

ومثله للربيع بن أبي الحقيق اليهودي

إذَا ماتَ مِنَّا سَيِّدٌ قامَ بَعْدَهُ لهُ خَلَفٌ يكْفِي السِّيادَةَ بارِعُ

---

(١) البيت من قصيدة يمدح بها الوليد بن عبد الملك .. ومطلعها

عرف الديار توهماً فاعتادها من بعد ماشمل البلى أبلادها
إلاَّ رواسيَ كالهِنِّ قد اصطلى حرباء أشمل أهلها إبقادها
كانت رواحل للقدور فعريت منهنَّ واستلب الزمان رمادها

مِنْ أَبْنائِهِ والْعِرْقُ يَنْظُرُ فَرْعُهُ على أَصْلِهِ والعِرْقُ للعِرْقِ نازِعُ

ومثله له

تَزْجُو الفُلامَ وقدْ أَعْياكَ والِدُهُ وَفي أُرُومَتِهِ ما يَنْبُتُ العُودُ

وأخذ هذا المعنى وبعض هذا اللفظ الكميت فقال

تجرِي أَصاغِرُهُمْ مَجْرَى أَكابِرِهِمْ وَفي أُرُومَتِهِ ما يَنْبُتُ الشَّجَرُ

ومن هذا المعنى قول عبيد الله بن قيس الرقيات

يَخْلِفُكَ البِيضُ مِنْ بَنِيكَ كَما يُخْلَفُ عُودُ النُّضارِ في شُعَبِهْ

ومثله قول نهشل بن حرى

أَرَى كُلَّ عُودٍ نابِتاً في أُرُومَةٍ أَبَى مَنْبِتُ العِيدانِ أَنْ يَتَغَيَّرَا

بَنُوا الصَّالِحِينَ الصَّالِحُونَ ومَنْ يَكُنْ لِوالِدِ سُوءٍ يَلْقَهُ حَيْثُ سَيَّرَا (١)

ومثله لمسلم بن الوليد الأنصارى

أَلَحَّ على الأَيَّامِ يَفْرِي خُطُوبَها على مَنْهَجٍ أَفْنَى أَباهُ بِهِ قَبْلُ

ولبشار

على أَعْرَافِها تَجْرِي الجِيادُ

وللبحترى

---

(١) هذا البيت الثانى من جملة ثلاثة أبيات في الحماسة منسوبة الى جميل بن عبد الله بن معمر وقبله

أبوك حُباب سارق الضيف برده وجدّي ياحجاج فارس شَمّرا

بنو الصالحين الصالحون ومن يكن لوالدسوء يلقه حيث سيرا

فان تغضبوا من قسمة الله حظكم فلله إذ لم يرضكم كان أبصرا

وَمابِيَ من خيرٍ وشرٍّ فإنّها ... سَجِيَّةُ آبائي وفِعلُ جُدُودِي
هُمُ القومُ فرعي منهمُ متفرّعٌ ... وعُودُهمُ عندَ الحوادثِ عُودِي

وللبحتري أيضا

واذا أبو الفضلِ استعارَ سَجِيّةً ... للمكرُماتِ فمَنْ أبي يَعقُوبِ
شَرَفٌ تتابعَ كابرًا عن كابرٍ ... كالرُّمحِ أنبُوبٌ على أنبُوبِ
وأرى النَّجابةَ لا يكُونُ تمامُها ... لنَجيبِ قومٍ ليسَ بابنِ نجيبِ

وله أيضاً

ماسمَوا يخلُفُونَ غيرَ أبيهمْ ... كلُّ ساعٍ منا يُريدُ نِصابَهْ

.. وله

وماتابعٌ في المجدِ نهجَ عدُوِّهِ ... كمتّبعٍ في المجدِ نهجَ أبيهِ

وفى هذه القصيدة يقول مروان

هلْ تعلمونَ خليفةً من قبلهِ ... أجرَى لغايتِهِ التي أجرَى لها
طلعَ الدُّرُوبَ مُشمِّرًا عن ساقهِ ... بالخيلِ منصلتًا يجُدُّ نِعالَها
قُودٌ تريعُ إلى أغرَّ لوَجههِ ... نُورٌ يضيءُ أمامَها وخلالَها
قصُرَتْ حمائلُهُ عليهِ فقلّصتْ ... ولقدْ تحفّظَ قينُها فأطالَها
حتّى اذا وردَتْ أوائلُ خيلِهِ ... جيحانَ بثَّ على العدُوِّ رعالَها
أحمَى بلادَ المسلمينَ عليهمُ ... وأباحَ سهلَ بلادِهمْ وجبالَها
أدمَتْ دوابرَ خيلِهِ وشكيمَها ... غاراتُهنَّ والحقَتْ آطالَها
لمْ يبقَ بعدَ مقادِها وطرادِها ... الاَّ نحائزَها وإلاّ آلَها

رَفَعَ الخَلِيفَةُ ناظِرِي وأَرَاشَنِي ... بِيَدٍ مُبارَكَةٍ شَكَرْتُ نَوالَها
وَحُسِدْتُ حتى قِيلَ أَصْبَحَ باغِيًا ... في المَشْيِ مُتْرَفَ شِيَةٍ مُخْتالَها
ولقد حَذَوْتُ لِمَنْ أَطاعَ ومَنْ عَصَى ... نَعْلًا ورِثْتَ عَنِ النَّبِي مِثالَها

أما قوله — قصرت حمائله — البيت .. فالأصل فيه قول عنترة

بَطَلٌ كأَنَّ ثِيابَهُ في سَرْحَةٍ ... يُحْذَى نِعالَ السِّبْتِ لَيْسَ بِتَوْأَمِ

أو قول الأعشى

إلى ماجِدٍ كهِلَالِ السَّمَا ... ءِ أَزْكَى وفاءً ومَجْدًا وخَيْرَا
طَوِيلِ النِّجادِ رَفِيعِ العِمَا ... دِ يَحْمِي المُضافَ وَيُغْنِي الفَقِيرَا

ومثله

طَوِيلُ نِجَادِ السَّيْفِ عارٍ جَبِينُهُ ... كَنَصْلِ اليَمانِي أَخْلَصَتْهُ صَيَاقِلُهْ
إِذَا هُمَّ بالمَعْرُوفِ لَمْ تَجْرِ طَيْرُهُ ... نُحُوسًا وَلَمْ تَسْبِقْ نَدَاهُ عَوَاذِلُهْ

ومثله قول طريح بن اسمعيل الثقفي

وأَشْمَتَ طَلَّاعَ الثَّنايا مبارَكٌ ... يَطُولُ نِجَادَ السَّيْفِ وهو طَوِيلُ

ولأبي جويرية العبدي

يَمُدُّ نِجَادَ السيفِ حتَّى كأَنَّهُ ... بأَعلى سَنَامَيْ فالِجٍ يَتَطَوَّحُ
إِذَا اعْتَمَّ في البُرْدِ اليَمانِيِّ خِلْتَهُ ... هِلَالًا بَدَا في جانِبِ الأُفْقِ يَلْمَحُ

ولأبي عطاء السندي

وأَزْهَرَ من بَنِي عَمْرِو بنِ عَمْرٍو ... حَمائِلُهُ وإِنْ طالَتْ قِصارُ

ولبعضهم في آل المهلب

رَأَيْتُكُمُ أَعَزَّ النَّاسِ جارًا ... وأَمْنَعَهُمْ إِذَا عُدُّوا ذِمارَا

حَمائلُكُمْ وإنْ كانَتْ طِوالاً ... تَراها عنْ شَمائلِكُمْ قِصارا

ولبعض بني العنبر في معنى الطول

فَجاءَتْ بهِ عَبْلَ العِظامِ كأنَّما ... عِمامَتُهُ بينَ الرِّجالِ لِواءُ (١)

ولآخر

أشَمُّ طَويلُ السَّاعِدَينِ كأنَّما ... تُناطُ الى جِذْعٍ طَويلٍ حَمائلُهْ

ولابن هرمة

تُناطُ حَمائلُ الهِنْدِيِّ منهُ ... بِعاتِقِ لاَ ألَفٍّ وَلاَ ضَئِيلِ

وَلَكِنْ يَسْتَقِلُّ بِهِ قُوَاهُ ... على ماضٍ بِقَائِمِهِ ثَقِيلِ

ولسلم الخاسر

يَقُومُ مَعَ الرُّمْحِ الرُّدَينِيِّ قائِما ... وَيَقْصُرُ عَنْهُ طُولُ كُلِّ نِجادِ

وللخثعمي

يُوازِي الرُّدَينِيَّ في طُولِهِ ... وَيَقْصُرُ عنْهُ نِجادُ الحُسامِ

وللوالبي

طَوِيلُ وَطُولٌ فتَرَى كَفَّهُ ... يَنَالُ بالطَّوْلِ أنْهِلالَ القَمامِ

وطُولُهُ يَغْتالُ يومَ الوَغَى ... وغيْرِهِ فَضْلَ نِجادِ الحُسامِ

فأما قوله ــ ولقد حذوت لمن أطاع ــ البيت.. فقد ردد معناه مروان في مواضع من شعره فقال

---

(١) وقبله

فلا تعذلي في خندج ان خندجاً ... وليث عفـرّين لـي سـواء

حميت عن العُهّار أطهار أمـه ... وبعض الرجال المدعين جفاء

شبيهُ أبيهِ منظراً وخليقةً كما حُذِيَتْ يوماً على أختِها النَّعلُ

وقال فى موضع آخر

احيا لنا سُنَنَ النَّبي مُحَمَّدٍ قدَّ الشِّراكُ بهِ قَرَنْتَ شِراكا

وقال أيضاً

صحيحُ الضَّميرِ سِرُّهُ مثلُ جهرِهِ قياسُ الشِّراكِ بالشِّراكِ تقابلُهْ

وقال أيضاً

تَشابَهْتُما حِلْماً وعَدْلاً ونائلاً وحَزْماً إذا أمرٌ أقامَ وأقعدا

تَنازَعَتُما نَفْسَيْنِ هذى كهذهِ على أصلِ عِرْقٍ كانَ أفخرَ مَتْلَدا

كما قاسَ نَعْلاً حضرَمِيٌّ فقدَّها على أختِها لمْ يألُ أنْ يتجرَّدا

وأخذ هذا المعنى أبو نواس فقال

تَنازَعَ الأحمدانِ الشِّبْهَ فاتَّفقا خَلْقاً وخَلْقاً كما قُدَّ الشِّراكانِ

والأصل فى هذا قول ابن أبى ربيعة

فلما تواقفنا اعترفتُ الَّذى بها كمثلِ الذي بي حذوكَ النَّعلَ بالنَّعلِ (١)

---

(١) البيت من قصيدة مطلعها

جرى ناصح بالود بيني وبينها فقربني يوم الحصاب الى قتلي

فاأنس ملأشياء لا أنس موقفي وموقفها يوماً بقارعة النخل

فلما تواقفنا اعترفت الذى بها كمثل الذي بي حذوك النعل بالنعل

روي ان ابن أبي ربيعة اجتمع هو وجميل بالأبطح فأنشده جميل لاميته التي أولها

لقد فرح الواشون أن صرمت حبلي بثينة أو أبدت لنا جانب البخل

فأنشده عمر لاميته فقال جميل هيهات يا أبا الخطاب لا أقول والله مثل هذا سجيس الليالي وما خاطب النساء مخاطبتك أحد وقام مشمراً

ومثله للسيد الحميري رحمه الله تعالى

يَتْلُونَ أَخْلاَقَ النَّبِيِّ وَفِعْلَهُ فالنَّعْلُ تُشْبِهُ فِي المِثَالِ طِرَاقَهَا

وقد تقدم الى هذا المعنى يزيد بن الكسر بن ثعلبة بن سيّار العجلي بقوله في يوم ذي قار يحرض قومه على القتال

مَنْ فَرَّ مِنكُمْ فَرَّ عَنْ حَرِيمِهِ وَجَارِهِ وَفَرَّ عَنْ نَدِيمِهِ

أَنَا ابْنُ سَيَّارٍ عَلَى شَكِيمِهِ مِثْلَ الشِّرَاكِ قُدَّ مِنْ أَدِيمِهِ

* وَكُلُّهُمْ يَجْرِي عَلَى قَدِيمِهِ *

فأما قوله * وحسدت حتى قيل أصبح باغياً * البيت فهو معناه قول البحتري

أَلِنْتَ لِي الأَيَّامَ مِنْ بَعْدِ قَسْوَةٍ وَعَاتَبْتَ لِي دَهْرِي المُسِيءَ فَاعْتَبَا

وَأَنْسَتْنِيَ النُّعْمَى الَّتِي غَيَّرَتْ أَخِي عَلَيَّ فَأَمْسَى نَازِحَ الوُدِّ أَجْنَبَا

ومما يختار لمروان قوله

مُوَفَّقٌ لِسَبِيلِ الرُّشْدِ مُتَّبِعٌ يَزِينُهُ كُلُّ مَا يَأْتِي وَيَجْتَنِبُ

تَسْمُو العُيُونُ إِلَيْهِ كُلَّمَا نَفَرَجَتْ لِلنَّاسِ عَنْ وَجْهِهِ الأَبْوَابُ وَالحُجُبُ

لَهُ خَلاَئِقُ بِيضٌ لاَ يُغَيِّرُهَا صَرْفُ الزَّمَانِ كَمَا لاَ يَصْدَأُ الذَّهَبُ

ووجدت بعض من ينقد الشعر يقول ليس في شعر مروان بيت يمثل به غير هذا البيت الأخير من الثلاثة .. وكأن ابن مناذر إياه أراد بقوله وقد سأل وهو مجاور بمكة عمن ببغداد من الشعراء فقيل له العباس بن الأحنف فقال أنشدوني له فأنشدوه

لَوْ كُنْتِ عَاتِبَةً لَسَكَّنَ عَبْرَتِي أَمَلِي رِضَاكِ وَزُرْتُ غَيْرَ مُرَاقِبِ

لَكِنْ صَدَدْتِ فَلَمْ تَكُنْ لِي حِيلَةٌ صَدُّ المَلُولِ خِلاَفُ صَدِّ العَاتِبِ

فقال ابن مناذر أخلق بمن أدام بحث التراب أن يصيب خرزة .. [قال الشريف

المرتضي] رضى الله عنه ولا شك فى قلة الأمثال فى شعر مروان ولكن ليس الى هذا الحد وهذا المعنى الذى قد تضمنه البيت قد سبق اليه أيضاً .. قال طريح بن اسماعيل

جَوَادٌ اذا جِئْتَهُ رَاجِياً ... كَفاكَ السُّؤالَ وانْ عُدْتَ عادَا
خلاَئِقُهُ كَسَبِيكِ النُّضا ... رِلاَ يَعْمَلُ الدَّهْرُ فِيهِ فَسَادا

ومثله قول الخزيمي

رأيْتُكَ يازَيْدُ زَيْدَ النَّدى ... وَزَيْدَ الفَخَارِ وَزَيْدَ الكَرَمْ
تَزِيدُ على نَابِغاتِ الخُطُو ... بِ بَذْلاً وفي سَابِغاتِ النِّعَمْ
كَذَا الخَمْرُ والذَّهَبُ المَعْدِنِيُّ ... يُجَوِّدُ هذا وذَاكَ القِدَمْ

وفى قوله ــ الذهب المعدني ــ فائدة لانه اذا خلص الذهب وصفا لم يفسد واذا امتزج بغيره لم يكن هذا حكمه .. وللأموي

تأوى إلى خُلُقٍ لَمْ يَصْدِهِ طَمَعٌ ... كأنَّ جوهرَهُ من جَوْهرِ الذَّهبِ

ولبعضهم

ملكٌ لهُ خُلُقٌ خَلِيقٌ بالعُلى ... كَسَبِيكَةِ الذَّهَبِ التي لاَ تُكْلَفُ

وقد أخذ الخبازرزى هذا المعنى فى قوله

فلاَ تَعِنْ لِتَحْرِيفٍ تُكَلِّمُهُ ... لِصُورَةٍ حُسْنُهَا الأَصْلِيُّ يَكْفِيهَا
إنَّ الدَّنانِيرَ لاَ تُجْلَى وإنْ عَتُقَتْ ... وَلا تَزَادُ على الحُسْنِ الَّذِي فِيهَا

ولبعضهم

صَدِيقٌ لِي لهُ أَدَبٌ ... صَدَاقَتُهُ مِثْلُهِ حَسَبُ
رَعَى لِيَ فَوْقَ مَا يُرْعَى ... وأَوْجَبَ فَوْقَ مَا يَجِبُ
وَلَوْ نُقِدَتْ خَلاَئِقُهُ ... لَبَهْرَجَ عِنْدَهَا الذَّهَبُ

مجلس آخر ٤٤

[تأويل آية] ٠٠ إن سأل سائل عن قوله تعالى (نحن أعلم بما يستمعون به إذ يستمعون اليك وإذ هم نجوى) الآية ٠٠ فقال لم وحّد نجوى وهو خبر عن جمع وما معنى مسحوراً وما جرت عادة مشركي العرب بوصف رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك بل عادتهم جارية بقرفه بانه ساحر ٠٠ الجواب أما قوله تعالى (وإذ هم نجوى) فان نجوى مصدر يوصف به الواحد والاثنان والجمع والمذكر والمؤنث وهو مقر على لفظه ويجري ذلك مجرى قولهم الرجال صوم والمناهل حمد يعني يصوم صائمون ويحمد محمودون ٠٠ وقد قال قوم ان معناه وإذ هم أصحاب نجوى فحذف المضاف وأقام المضاف اليه مقامه ويقال القوم نجي والقوم أنجية فمن وحّد بني على مذهب المصدر ومن جمع جعله منقولا عن المصادر ملحقاً برغيف وأرغفة وما أشبه ذلك ٠٠ قال الشاعر في التوحيد

أتاني نَجِيّي بعدَ هَدْءٍ ورَقْدَةٍ ... ولم أكُ فيما قد بلَوتُ بكاذِبِ[1]

---

(١) قوله ـ أتاني نجيي ـ الخ ٠٠ هو لسواد بن قارب الدوسي رضي الله عنه وقيل انه سدوسي وهو صحابي وبعده

ثلاث ليال قوله كل ليلة ... أتاك رسول من لؤي بن غالب
فرقّصت أذيال الازار وشمرت ... بي العرمس الوجناء هول السباسب
فأشهد أن الله لا رب غيره ... وانك مأمون على كل غائب
وانك أدنى المرسلين وسيلة ... الى الله يابن الأكرمين الأطايب
فمرنا بما يأتيك من وحي ربنا ... وان كان فيما جئت شيب الذوائب
وكن لي شفيعاً يوم لاذو قرابة ... بمغن فتيلا عن سواد بن قارب

روى ان سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال له وهو خليفة كيف كهانتك اليوم فغضب سواد وقال يا أمير المؤمنين ما قالها لي أحد قبلك فاستحيي عمر ثم قال له يا سواد ما كنا عليه من الشرك أعظم من كهانتك ثم سأله عن حديثه في بدء الاسلام وما أتاه

وأنشد الفرّاء في الجمع

ظلّتْ نِساؤهُمُ والقَوْمُ انجيةٌ يُعْدَى عليها كما يُعْدَى على الغَنَمِ

فأما قوله تعالى (إن تتبعون إلاّ رجلا مسحوراً) ففيه وجوه .. أوّلها أن يكون المراد ان تتبعون إلاّ رجلا متغير العقل لأن المشركين كان من مذهبهم عيب النبي صلى الله عليه وسلم وتضعيف أمره وتوهين رأيه وكانوا في وقت ينسبونه الى أنه ساحر وفي آخر يرمونه بالجنون وانه مسحور متغير العقل وربما قذفوه بانه شاعر حوشى من ذلك كله وقد جرت عادة الناس بان يصفوا من يضيفونه الى البله والغفلة وقلة التحصيل بانه مسحور .. وثانيها أن يريدوا بالمسحور المخدوع والمحال لان ذلك أحد ما يستعمل فيه هذه اللفظة .. قال امرؤ القيس

أرانا مُوضِعينَ لِحتْمِ غَيْبٍ ونُسْحَرُ بالطعامِ وبالشَّرابِ[1]

به رئيه من ظهور رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره انه أتاه رئيه ثلاث ليال متواليات وهو فيها كلها بين النائم واليقظان فقال له قم ياسواد فاسمع مقالتي واعقل ان كنت تعقل قد بعث رسول من لؤي بن غالب يدعو الى الله والى عبادته وأنشد في كل ليلة من الثلاث ليال ثلاثة أبيات معناها واحد وقافيتها مختلفة أولها

عجبت للجن وتطلابها وشدها العيس بأقتابها
تهوي الى مكة تبغي الهدى ما صادقُ الجن ككذابها
فارحل الى الصفوة من هاشم ليس قُدَاماها كأذنابها

وذكر تمام الخبر وانه قدم على النبي صلى الله عليه وسلم وأنشده الأبيات السابقة

(١) وبعده

عصافيرٌ وذبانٌ ودود وأجرأ من مجلحة الذئاب

ويروى وأجر .. وبعده

وكل مكارم الأخلاق صارت اليه همتي وبه اكتسابي
فبعض اللوم عاذلتي فإني ستكفيني التجارب والتسابي

وقال أمية بن أبي الصلت

فإنْ تَسألينا فيمَ نَحْنُ فإنّنا عَصافيرُ من هذا الأنامِ المُسَحَّرِ

.. وثالثها ان السحر في اللغة العربية الرئة وما تعلق بها وفيه ثلاث لغات سَحَرٌ وسِحْر وسُحْرٌ .. وقيل ان السحر ما لصق بالحلقوم والمرئ من أعلا الجوف وقيل انه الكبد فكان المعنى على هذا إن يتبعون إلاّ رجلا مسحوراً ذا سحر خلقه الله بشراً كخلقتكم .. ورابعها أن يكون معنى مسحوراً أي ساحراً وقد جاء لفظ مفعول بمعنى فاعل قال الله تعالى (واذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجاباً مستوراً) أي ساتراً والعرب تقول للمصدر ملقح[1] ومعناه ملقح لان ماضيه ألقح فجاؤا بلفظ المفعول وهو للفاعل ومن ذلك قولهم فلان مشؤم على فلان وميمون ويريدون شائم ويامن لانه من شامهم ويمنهم .. [قال الشريف المرتضي] رضي الله عنه ورأيت بعض العلماء يطعن على هذا الاستشهاد الأخير ويقول العرب لاتعرف فلان مشؤم على فلان وانما هذا من كلام أهل الأمصار وانما تسمي العرب من لحقه الشؤم مشؤماً .. قال علقمة بن عبدة

ومَنْ تَعَرَّضَ للغِرْبانِ يَزْجُرُها على سَلامَتِهِ لا بُدَّ مَشْؤُمُ[2]

الى عرق الثرى وشجت عروقي وهذا الموت يسلبني شبابي

الى آخر الأبيات

(١) قوله ملقح هكذا في الاصل ووردت كذلك في بعض الكتب .. والصحيح ملفج بالفاء والجيم وهو من الأوصاف التي وردت على أفعل فهو مفعل أي استغنى بصيغة اسم المفعول فيها عن اسم الفاعل وهي الفج الرجل فهو ملفج أي ذهب ماله وأسهب فهو مسهب أي كثر كلامه وأحصن فهو محصن وأهتر فهو مهتر وزاد بعضهم اجرأشت الابل فهي مجرأشة

(٢) قال الضبي هذا لايمانه بالطيرة يقول من يزجر الطير وان سلم فلا بد أن يصيبه شؤم وألم

والوجوه الثلاثة الأول أوضح وأشبه .. ومما يختار لمروان بن أبي حفصة قوله من قصيدة يمدح بها معن بن زائدة الشيباني أولها

أرى القلب أمسى بالأوانس مولعا ... وإن كان من عهد الصبى قد تمتعا

يقول فيها

ولما سرى الهم الغريب قريته ... قرى من أزال الشك عنه وأزمعا
عزمت فعجلت الرحيل ولم أكن ... كذي لوثة لا يطلع الهم مطلعا
فأمت ركابي أرض معن ولم تزل ... إلى أرض معن حيث ما كان نزّعا
نجائب لولا أنها سخرت لنا ... أبت عزة من جهلها أن تورعا
كسونار حال البيس منها غوارب ... تدارك فيها النيّ صيفا ومربعا
فما بلغت صنعاء حتى تواضعت ... ذراها وزال الجهل عنها وأقلعا

يقول فيها

وما الغيث إذ عم البلاد بصوبه ... على الناس من معروف معن باوسعا
تدارك معنا قبة الدين بعدما ... خشينا على أوتادها أن تنزعا
أقام على الثغر المخوف وهاشم ... تساقى سماما بالأسنة منقعا

إمام كان لقمان بن عاد ... أشار له بحكمته مشير
تعلم انه لا طير إلا ... على متطير وهو الثبور
بلى شيء يوافق بعض شيء ... أحايينا وباطله كثير

قال الرستمي يقول الغربان يتشاءم بها فمن تعرض لها يزجرها ويطردها خوفاً أن يصيبه الشؤم فلا بد أن يقع بما خاف ويحذر وبيت علقمة من قصيدته المشهورة التي مطلعها

هل ما علمت وما استودعت مكتوم ... أم حبلها إذ نأتك اليوم مصروم

مُقامَ امرِئٍ يأبَى سِوَى الخُطَّةِ التى ... تكُونُ لدَى غِبِّ الأحادِيثِ أنفَعا

وَما أحجَمَ الأعداءُ عنكَ بَقيَّةً ... عليكَ ولكنْ لم يرَوا فيكَ مَطمَعا

رأوا مُخدِرًا قد جرَّبُوهُ وعايَنُوا ... لدَى غِيلِهِ مِنهُمْ مجرًّا وَمَصرَعا

وليسَ بثانيهِ إذَا شدَّ أنْ يرَى ... لدَى نَحرِهِ زُرقَ الأسِنَّةِ شُرَّعا

لهُ راحتَانِ الحَتفُ والغَيثُ فيهما ... أبَى اللهُ إلاَّ إنْ تَضُرَّ وتَنفَعا

لقَدْ وَّخَ الأعداءَ مَنٌّ فأصبَحُوا ... وامتَنُّهُمْ لاَ يَدفَعُ الذلَّ مَدْفَعا

نَجيبُ مَناجِيبٍ وَسَيِّدُ سادَةٍ ... ذُرَى المَجدِ من فَرعَيْ نِزارٍ تفرَّعا

لَبانَتْ خِصالُ الخَيرِ فيهِ وأُكمِلَتْ ... وما كمُلَتْ خمسٌ سِنُوهُ وأربَعا

لقدْ أصبحتْ في كلِّ شرقٍ ومغرِبٍ ... بسَيفِكَ أعناقُ المَرِيبِينَ خُضَّعا

وطِئتَ خُدُودَ الحَضرَمِيِّينَ وطأةً ... لها هدَّ رُكنٌ منهُمُ فتَضَعضَعا

فأقعَوا على الأذنابِ إفناءَ مَعشَرٍ ... يرَوْنَ لُزُومَ السِّلمِ أبقَى وأودَعا

فلَوْ مُدَّتِ الأيدِي إلى الحَربِ كلُّها ... لكَفُّوا وما مَدُّوا إلى الحَربِ إصبَعا

أما قوله ـ فما بلغت صنعاء حتى تواضعت ـ البيت .. فقد رددده في موضع آخر فقال

فَما بلَغَتْ حتَّى حَماها كَلالُها ... إذَا عَرِيَتْ أصلابُها أنْ تُقيَّدَا

وهذا كثير في الشعر القديم والمحدث .. فمنه قول جرير

إذَا بلَغُوا المَنازِلَ لمْ تُقيَّدْ ... وفِي طُولِ الكَلالِ لها قُيُودُ

وروى انه قيل لنصيب لك بيت نازعك فيه جرير أيكما فيه أشعر فقال ماهو فقيل قولك

أضَرَّ بِها التَّهجِيرُ حتَّى كأنَّها ... بقايَا سِلالٍ لم يَدَعْها سِلالُها

وأنشد بيت جرير الذي تقدم فقال قاتل الله ابن الخطفي فقيل له قد فضلته عليك فقال

هو ذاك .. وأخذ هذا المعنى بعينه المؤمل بن أميل المحاربي فقال

كانَتْ تُقَيَّدُ حينَ تَنزِلُ منزِلاً فاليَومَ صارَلَها الكَلالُ قُيُودَا

ولأبي نخيلة

قَيَّدَها الجَهْدُ ولم يُقَيِّدِ فهي سَوامٌ كالقَنا المُسَنَّدِ

ومالَها مُعَلَّلٌ من مَزْوَدِ مِنْها ولا مِنْ شاحِطٍ مُسْتَبْعَدِ

ومعنى قوله ـ سوام ـ أي هي رافعة رؤسها وشبهها بالقنا لأن القنا اذا ركز مال قليلا مع الريح فيقول في أعناقها ميل من الضعف كما قال الشماخ

فأَضْحَتْ تَفالى بالسِّتارِ كأَنَّها رِماحٌ نَحاها وِجْهَةُ الرِّيحِ رَاكِزُ

وكما قال حميد بن ثور الهلالي

بِمَثْوَى حَرامٍ والمَطِيُّ كأَنَّها قَنا مُسْنَدٌ هَبَّتْ لهُنَّ خَرِيقُ

ـ الخريق ـ ريح شديدة تخرق من كل جهة .. ومعنى قول أبي نخيلة ـ من مزود ـ أي من نميلة تجزها من الاجترار وانه لا شيء في أجوافها تعلل به ـ والمستبعد ـ ما بعد من المرعى .. وأنشد أبو العباس ثعلب

إذا بَلَغُوا المَنازِلَ لم تُقَيَّدْ ولَم تُشْدَدْ رَكائبُهُمْ بِعِقْلِ

فَهُنَّ مُقَيِّداتٌ مُطْلَقاتٌ تُقَضِّمُ ما تَشَذَّبُ في المَحَلِّ

والأصل في هذا قول امرئ القيس

مَطَوْتُ بِهِمْ حَتَّى تَكِلَّ مَطِيُّهُم وَحَتَّى الجِيادُ ما يُقَدْنَ بِأَرْسانِ

ولعباد بن أنف الكلبي الصيداوي

فتُمْسِي لا أُقَيِّدُها بِحَبْلٍ بِها طُولُ الضَّرارَةِ وَالكَلالِ

ومن جيد هذا المعنى قول الفرزدق يصف الابل

بَدَأْنا بِها مِنْ سِيفِ رَمْلِ كُهَيْلَةٍ وَفِيها نَشاطٌ مِنْ مَرَاحٍ وَمَجْرَفُ

فَما بَلَغَتْ حتّي تَقَارَبَ خَطْوُها وَبادَتْ ذُرَاها وَالمَنَاسِمُ رُهَّفُ

وحتّي قَتَلْنا الجَهْلَ عنها وَغُودِرَتْ إذَا ما أَنِيخَتْ والمَدَامِعُ ذُرَّفُ

وحتّي مَشَى الحَادِي البَطِيءُ يَسُوقُها لَها بَخَصٌ دَامٍ ودِبْيٌ مُجَلَّفُ

ـ البخص ـ لحم الخف الذي [1] يطأ عليه ـ والدبى ـ فقار الظهر ـ والمجلف ـ الملشور

وَحتّي تَغَشاها وَما فِي يَدِ لَها اذَا حُلَّ عَنْها رِمَّةٌ وَهِيَ رُشَّفُ

ـ الرمة ـ الحبل .. وأراد انها يزيف كما تزيف المقيد وان لم يكن فى يدها قيد

إذَا ما نَزَلْنا قاتَلَتْ عَنْ ظُهُورِها حَرَاجِيجُ أَمْثالُ الأَهِلَّةِ شُسَّفُ

ـ الحراجيج ـ الطوال من الابل ـ والشسف ـ اليابسة من الجهد والكلال .. ومعنى قتالها للغربان انها اذا عريت ظهورها فتقع الغربان عليها لتأكل دبرها فالابل تدفع الغربان بأفواهها عن ظهورها فذلك قتالها

اذَا ما أَرَيْناها الأَزِمَّةَ أَقْبَلَتْ الينا بجرَّاتِ الخُدُودِ تَصَدَّفُ

فأَفْنِي مِرَاحُ الدَّاهِرِيَّةِ خَوْضُها بِنَا اللَّيْلَ إِذْ نامَ الدَّثُورُ المُلَفَّفُ

ويروي أرقلت .. ومن أحسن ما قيل فى وصف الابل بالنحول من الكلال والجهد بعد السمن قول الشاعر

وَذَاتِ مائِنٍ قد غَيَّضَتْ جِمَّتَها بحيثُ يُستَمسَكُ الأَرْوَاحُ بالحَجَرِ

رَدَّتْ عَوَارِيَ غَيطَانِ الفَلاوَنَحَتْ بِمِثْلِ إِبالَةِ مِنْ حائِلِ العُشَرِ

قوله ـ ذات مائين ـ يعنى سمناً على سمن وقيل بل عنى أنها رعت كلأ عامين .. وقوله

---

(١) وقيل البخص ماولى الأرض من تحت أصابع الرجلين وتحت منسم البعير والنعام وقيل هو لحم يخالطه بياض من فساد يحل فيه والدبى بكسر الدال والهمزة جمع دأية وهى فقر الكاهل والظهر أو غراضيف الصدر أو ضلوعه فى ملتقاه وملتقى الجنب

ـقد غيضت جنباتـ يعني انه أتعبها بالسير حتى ردها هزلى بعد سمن فكأنه غيض بذلك ماءها ٠٠ ومعنى ـ بحيث يستمسك الأرواح بالحجرـ يعني الفلاة حيث لايكون فيها الماء فيقتسم الركب المـاء الذى يكون معهـم بالحجر الذي يقال له المقلة فتمسك أرماقهـم ٠٠ وقولهـ ردت عواري غيطان الفلاـ أى مارعت من كلأ هذه الأماكن وسمنت عنـه كان كعارية عندها فردتـه حيث جهدها السير وأهزلها ـ والإيبالةـ الحزمة من الحطب اليابس ٠٠ وأخذ هذا المعنى بعينه أبو تمام فقال

رَعَتْهُ الفَيَافِي بَعْدَ أَنْ كَانَ حِقْبَةً ... رَعَاهَا وَمَاءُ المُزْنِ يَنْهَلُّ سَاكِبُهْ[1]

فَكَمْ جَزْعِ وَادٍ جُبْتُ ذِرْوَةَ غَارِبٍ ... وَمِنْ قَبْلُ كَانَتْ أَنْهَكَتْهُ مَذَاهِبُهْ

فأما قوله ـ فما أحجم الأعداء عنك بغية ـ البيت فأخوذ من قول الأول

فَمَا بُقْيَا عَلَيَّ تَرَكْتُمَانِي ... وَلَكِنْ خِفْتُمَا صَرَدَ النِّبَالِ[2]

---

(١) هذان البيتان من قصيدته المشهورة التي مدح بها عبد الله بن طاهر لما قدم خراسان حكى انه لما أنشده إياها وبلغ الى قوله

وقلقل نأي من خراسان جأشها ... فقلت اطمأني انضر الروض عازبه

وركب كأطراف الأسنة هرجوا ... على مثلها والليل تسطو غياهبه

لأمر عليهم أن تم صـدوره ... وليس عليهـم أن تتم عواقبه

صاح الشعراء بالأمير ما يستحق هذا الشعر غير الأمير أعزه الله ٠٠ وقال شاعر منهم يعرف بالرياحى لي عند الأمير أعزه الله جائزة وعدني بها وقد جعلتها لهذا الرجـل جزاء عن قوله للأمير فقال له بل نضعفها لك ونقوم له بما يجب له علينا فلما فرغ من القصيدة نثر عليـه ألف دينار فلقطها الغلمان ولم يمس منها شيئاً فوجد عليـه عبد الله وقال يترفع عن يرى ويتهاون بما أكرمته به فلم يبلغ ما أراده منه بعد ذلك

(٢) قوله ـ فما بقيا عليّ ـ الخ ٠٠ البُقيا بالضم الرحمة والشفقة ـ وصردـ السهم من باب فرح من الاضداد اذا نفذ واذا نكل فيكون المعنى على النفوذ انكما خفتما نفوذ سهامي فيكما أي هجائى وعلى معنى النكول أى خفتما أن لا تنفذ سهامكما فيّ فعجزتما عني وهو

وقريب منه قول الآخر

لَعَمْرُكَ ماالنَّاسُ اثنَوا عليكَ ... وَلاَ قَرَّظُوكَ وَلاَ عَظَّمُوا
ولوْ أَنَّهُمْ وَجدُوا مَطْعَنًا ... إلى أنْ يَعيبُوكَ ماأحْجَمُوا
فانْتَ بِفَضلِكَ الْجأتَهُمْ ... إلى أنْ يُجِلُّوا وَأَنْ يُعظِّمُوا

ومثله

أما لوْرَأَى فِيكَ العَدُوُّ نَقيصَةً ... لخَبَّ بتَصْرِيفِ العُيُوبِ وَأَوضَعَا
وَلـكنهُ لما رَءاكَ مبرّءا ... مِنَ العَيْبِ غَطَّى رَأْسَهُ وَتَقَنَّعَا

ومثله

قدْ طَلَبَ العَاذِلُ عَيْبًا فَمَا ... أَصَابَ عَيْبًا فاثْنَنِي عاذِرَا

وللبحترى فى معنى قول مروان * فما أحجم الأعداء عنك بقية *
من قصيدة يمدح بها الفتح بن خاقان ويصف لقاءه الأسد

غَدَاةَ لقيتَ اللَّيْثَ وَاللَّيْثُ خَادِرٌ ... يُحَـدِّدُنا باللِّقَـاءِ وَمخْلِبَا
شَهِدتُ لَقَدْ أَنْصَفْتَهُ يومَ تَبْرِى ... لهُ مُصْلِتًا عَضْبًا مِنَ البِيضِ مُغْضَبَا

أول أبيات للعين المنقري يهجو بهما جريراً والفرزدق وبعده

فدونكما الظرا أهجوت أم لا ... فذوقا فى المواطن من نبالي
وما كان الفرزدق غير قين ... لئيم خاله للؤم تالي
ويترك جده الخطفى جرير ... ويندب حاجباً وبني عقال

وكان اللعين تعرض لجرير والفرزدق فقال

سأقضى بين كلب بني كليب ... وبين القين قين بني عقال
بأن الكلب مرتعه وخيم ... وأن القين يعمل فى سفال

فلم يجبه أحد منهما فقال الأبيات المتقدمة

فلم أرَ ضرغامين أصدقَ منكما ... عرا كإذا الهيابةُ النكسُ كذّبا
هزبرٌ مشى ينفي هزبرًا واغلبٌ ... من القوم يغشى باسلَ الوجهِ أغلبا
أدلّ بشغبٍ ثمّ هالتهُ صولةٌ ... رأكَ لها امضى جنانًا وأشغبا
فاحجمَ لمّا لم يجد فيكَ مطمعًا ... واقدمَ لمّا لم يجد عنكَ مهربا
فلم يغنهِ أن كرّ نحوكَ مقبلا ... ولم ينجهِ أن حاد عنكَ منكبا
حملتَ عليهِ السيفَ لاعزمكَ أنثنى ... ولا يدكَ ارتدّت ولا حدّهُ نبا
وكنتَ متى تجمعْ يمينكَ تهنكِ الـ ... ـضريبةَ أو لا تبقِ للسيفِ مضربا

ومن سافق كلام مروان ورائقه وما اجتمع له فيه جودة المعنى واللفظ واطراد النسج قوله

بنو مطرٍ يومَ اللقاء كأنّهمْ ... أسودٌ لها في غيلِ خفّانَ أشبلُ
همُ يمنعونَ الجارَ حتى كأنّما ... لجارهمُ بينَ السماكينِ منزلُ
لهامٌ في الإسلامِ سادوا ولم يكنْ ... كأوّلهمْ في الجاهليّةِ أوّلُ
همُ القومُ إن قالوا اصابوا وإن دعوا ... اجابوا وإن اعطوا اطابوا وأجزلوا
وما يستطيعُ الفاعلونَ فعالهمْ ... وإن احسنوا في النّاسِ واجملوا
تلاثُ بأمثالِ الجبالِ حباهمُ ... وأحلامهمْ منها المدى الوزنِ اثقلُ

ومن جيد قوله في قصيدة يمدح بها معنّا

ما منْ عدوٍّ يرى معنًا بساحتهِ ... إلاّ يظنُّ المنايا تسبقُ القدرا
يلقى اذا الخيلُ لم تقدمْ فوارسها ... كالليثِ يزدادُ إقدامًا إذا زُجرا
أغرُّ يحسبُ يومَ الرّوعِ ذا لبدٍ ... وزدا ويحسبُ فوقَ المنبرِ القمرا

وله من قصيدة يصف يوماً حاراً

وَيَوْمٍ عَسُولِ الآلِ حامٍ كأنّما ... لَظَى شَمْسِهِ مَشْبُوبُ نارٍ تَلَهَّبُ

نَصَبْنَا لهُ منّا الوُجُوهَ وَكَنَّها ... عَصَائِبُ أَشْمَالٍ بِها يُتَعَصَّبُ

ويشبه أن يكون أخذ ذلك من قول الشنفري

وَيَوْمٍ منَ الشِّعْرَى يَذُوبُ لُعابُهُ ... أُفاعِيهِ فِي رَمْضائِهِ تَتَمَلْمَلُ (١)

نَصَبْتُ لهُ وجهي ولـكنّ دُونَهُ ... وَلاَسِتْرَ الاَّ الأَتْحَمِيُّ المُرَعْبَلُ (٢)

ولمروان من أبيات يصف فيها حـديقة وهبها له المهدي ويذكر فيهـا نخلها وشجرها أجاد فيها

نَوَاضِرُ عَلْيَاقَدْ تَدَانَتْ رُؤُسُها ... منَ النَّبْتِ حتّى ما يَطِيرُ غُرَابُها

تَرَى البَاسِقَاتِ العُمَّ فِيها كأنّها ... ظَعائِنُ مَضْرُوبٌ عليها قِبَابُها

تَرَى بابَها سَهْلاً لِكُلِّ مُدَفَّعٍ ... اذَا أَيْنَعَتْ نَخْلٌ فأُغْلِقَ بابُها

يَكُونُ لَنا مانِجْتَنِي منْ ثِمارِها ... رَبِيعاً إِذَا الآفاقُ قَلَّ سَحَابُها

---

(١) البيتان من قصيدته المشهورة المسماة الشنفرية ولامية العرب ــ الشعرى ــ هي الكوكب الذي يطلع بعد الجوزاء وطلوعه في شدة الحر ــ وذاب ــ الشئ نقيض جمد ــ ولعابه ــ ولوابه واحد ٠٠ ولعابه هنا ما تراه من شدة الحر مثل نسج العنكبوت ــ والأفاعي ــ جمع أفعى وهي الحية ــ والرمض ــ شدة وقع الشمس على الرمل وغيره والأرض رمضاء أي أصابها الرمض ــ والتململ ــ التحرك على الفراش اذا لم تستقر عليه من الوجع كأنه على ملة والملة الرماد الحار ٠٠ والواو في ويوم واو رب ومن لبيان الجنس والتقدير ويوم من الأيام التي تطلع فيها الشعرى ومن الشعرى صفة يوم ويذوب نعت ليوم أيضاً أي ذائب لعابه وأفاعيه مبتدا وتتململ خبره وفي رمضائه متعلق بتتململ

(٢) ــ النصب ــ الاقامة تقول نصبت وجهي للحر أنفته ــ والكن ــ الستر والجمع أكنان ــ والأتحمي ــ برد معروف ــ والمرعبل ــ المزق فقوله نصبت هو جواب رب

حَظَائِرُ لَمْ يُخْلَطْ بِأَثْمَانِهَا الرِّبِي ... وَلَمْ يَكُ مِنْ أَخْذِ الدِّيَاتِ اكْتِسَابُهَا

وَلَكِنْ عَطَاءُ اللهِ مِنْ كُلِّ مَدْحَةٍ ... جَزِيلٍ مِنَ الْمُسْتَخْلِفِينَ ثَوَابُهَا

وَمِنْ رَكْضِنَا لِلْخَيْلِ فِي كُلِّ غَارَةٍ ... حَلَالٌ بِأَرْضِ الْمُشْرِكِينَ نِهَابُهَا

حَوَتْ غُنْمَهَا آبَاؤُنَا وَجُدُودُنَا ... بِصُمِّ الْعَوَالِي وَالدِّمَاءِ خِضَابُهَا

فأما قوله

حَظَائِرُ لم يُخْلَطْ بِأَثْمَانِهَا الرِّبِي ... وَلَم يَكُ مِنْ أَخْذِ الدِّيَاتِ اكْتِسَابُهَا

فكأن ابن المعتز نظر اليه فى قوله

لَنَا إِبِلٌ مَا وَفَّرَتْهَا دِيَاتُنَا ... وَلَا ذَعَرَتْهَا فِي الصَّبَاحِ الصَّوَائِحُ

وفى ضد هذا قول أبي تمام

كَثُرَتْ فِيهِمُ الْمَسَارِحُ إِلَّا ... أَنَّهَا مِنْ مَنَاكِحٍ وَدِيَاتِ

ومثل الأول قول حسان يهجو قوماً من قريش

وَمَالُكُمُ لَا مِنْ طِرَادِ فَوَارِسٍ ... وَلَكِنْ مِنَ التَّرْقِيحِ يَا شَرَّ مَالِكِ

مجلس آخر ٤٥

[تأويل آية] .. إن سأل سائل عن معنى قوله تعالى (كل شيء هالك إلا وجهه) .. وقوله تعالى (إنما نطعمكم لوجه الله) .. وقوله (ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام) وما شاكل ذلك من آي القرآن المتضمنة لذكر الوجه .. الجواب قلنا الوجه ينقسم في اللغة العربية الى أقسام . فالوجه المعروف المركب فيه العينان من كل حيوان . والوجه أيضاً أول الشيء وصدره ومن ذلك قوله تعالى (وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذى أنزل على الذين آمنوا وجه النهار وأكفروا آخره) أي

أوّل النهار .. ومنه قول الربيع بن زياد

مَنْ كانَ مَسْرُورًا بِمَقْتَلِ مالِكٍ فَلْيَأْتِ نِسْوَتَنا بِوَجْهِ نَهارِ

أي غداة كل يوم .. وقال قوم وجه نهار اسم موضع .والوجه القصد بالفعل من ذلك قوله تعالى (ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله) .. وقال الفرزدق

وَأَسْلَمْتُ وَجْهِي حِينَ شُدَّتْ رَكائِبِي إِلَى آلِ مَرْوانٍ بُناتِ المَكارِمِ

أى جعلت قصدي وإرادتي لهم .. وأنشد الفراء

اسْتَغْفِرُ اللهَ ذَنْبًا لَسْتُ مُحْصِيَهُ رَبَّ العِبادِ إِلَيْهِ الوَجْهُ وَالعَمَلُ

أى القصد .. ومنه قولهم في الصلاة وجهت وجهي للذى فطر السموات والأرض أي قصدت قصدى بصلاتى وعملي وكذلك قوله تعالى (فأقم وجهك للدين القيم) .والوجه الاحتيال في الأمرين من قولهم كيف الوجه لهذا الأمر وما الوجه فيه أى ما الحيلة .والوجه الذهاب والجهة والناحية .. قال حمزة بن بيض الحنفى

أَيُّ الوُجُوهِ انْتَجَعْتَ قُلْتُ لَهُمْ لِأَيِّ وَجْهٍ إِلَّا إِلَى الحَكَمِ

مَتَى يَقُلْ صاحِبا سُرادِقِهِ هَذَا ابْنُ بَيْضٍ بِالبابِ يَبْتَسِمِ

.والوجه القدر والمنزلة ومنه قولهم لفلان وجه عريض وفلان أوجه من فلان أى أعظم قدراً وجاهاً ويقال أوجهه السلطان اذا جعل له جاهاً .. قال امرؤ القيس

وَنادَمْتُ قَيْصَرَ فِي مُلْكِهِ فَأَوْجَهَنِي وَرَكِبْتُ البَرِيدَا [1]

---

(١) وقبله

أَأَذْكَرْتَ نَفْسَكَ مالَن يَعُودا فَهاجَ التَّذَكُّرُ قَلْبًا عَمِيدا

تَذَكَّرْتُ هِنْدًا وَأَتْرابَها فَأَصْبَحْتُ أَزْمَعْتُ مِنْها صُدُودا

ونادمت قيصر في ملكه فأوجهني وركبت البريدا

اذا ما ازدحمنا على سكة سبقت الفرانق سبقاً شديدا

يقال حمل فلان فلاناً على البريد اذا هيأ له في كل مرحلة مركوباً ليركبه فاذا وصل الى المرحلة الأخرى نزل عن المعي وركب المرفه وهكذا الى ان يصل الى مقعده . والوجه الرئيس المنظور اليه يقال فلان وجه القوم وهو وجه عشيرته ووجه الشئ نفسه وذاته .. قال أحمد بن جندل

ونحنُ حفزنا الحوفزانَ بطعنةٍ فافلتَ منها وجههُ عُتُدُ بهدُ (١)

(١) هكذا بالاصل وفسرها بهامش النسخة أي ضخم .. وقوله قال أحمد بن جندل الخ المعروف ان البيت لسوار بن حبان المنقري قاله يوم جدود والرواية المشهورة

ونحن حفزنا الحوفزان بطعنة سقته نجيعاً من دم الجوف أشكلا

وروى ونحن حفزنا الحوفزان بطعنة تمج نجيعاً من دم الجوف أشكلا

وبعده وحمران أدته الينا رماحنا ينازع غلا في ذراعيه مقفلا

ونسب ابن قتيبة البيتين لجرير وسمى الحوفزان حوفزاناً لأن قيس بن عاصم التميمي حفزه .. قال الجوهري وأما قول من قال انما حفزه بسطام بن قيس فغلط لانه شيباني فكيف يفتخر به جرير وأما قول الآخر

ونحن حفزنا الحوفزان بطعنة سقته نجيعاً من دم الجوف آنيا

فهو الأهتم بن سمي المنقري وأول الشعر

لما دعتني للسيادة منقر لدى موطن أشجى له النجم باديا

شددت لها أزري وقد كنت قبلها أشد لاحناء الأمور إزاريا

ولنعد الى حديث يوم جدود روى عن أبي عبيدة قال قيس بن عاصم هو الذي حفز الحوفزان بن شريك الشيباني طعنه في استه يوم جدود وكان من حديث ذلك اليوم ان الحارث بن شريك بن عمرو الصاب بن قيس بن شراحيل بن مرة بن همام كانت بينه وبين بني يربوع موادعة ثم هم بالغدر بهم فجمع بني شيبان وبني ذهل والهازم وقيس بن ثعلبة وتيم الله بن ثعلبة وغيرهم ثم غزا بني يربوع فنذر به عتيبة بن الحارث ابن شهاب بن شريك فنادى في قومه بني جعفر بن ثعلبة من بني يربوع فوادعه وأغار الحارث بن شريك على بني مقاعس واخوتهم بني ربيع فلم يجيبوهم فاستصرخوا بني منقر فركبوا حتى لحقوا بالحارث بن شريك وبكر بن وائل وهم قافلون في يوم شديد

أراد أفلته ونجاه ومنه قولهم انما أفعل ذلك لوجهك ويدل أيضاً على ان الوجه يعبر به عن الذات قوله تعالى (وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة ووجوه يومئذ باسرة تظن أن يفعل بها فاقرة) .. وقوله تعالى (وجوه يومئذ ناعمة لسعيها راضية) لان جميع ما أضيف الى الوجوه في ظاهر الآى من النظر والظن والرضا لا يصح اضافته على الحقيقة اليها وانما يضاف الى الجملة فمعنى قوله تعالى (كل شئ هالك إلا وجهه) أي كل شئ هالك إلاّ إياه فكذلك قوله تعالى (كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام) لما كان المراد بالوجه نفسه لم يقل ذى كما قال (تبارك اسم ربك ذى الجلال والإكرام) لما كان اسمه غيره .. ويمكن في قوله تعالى (كل شئ هالك إلاّ وجهه)

الحر فما شعر الحوفزان إلاّ بالأهتم بن سمى بن سنان بن خالد بن منقر واسم الأهتم سنان وهو واقف على رأسه فوثب الحوفزان الى فرسه فركبه وقال للأهتم من أنت فانتسب له وقال هـذه منقر قـد أتتك فقال الحوفزان فأنا الحارث بن شريك فنادى الأهتم يا آل سـعد ونادى الحوفزان يا آل وائل وحمل كل واحد منهما على صاحبه ولحقت بنو منقر فاقتتلوا أشد قتال وأبرحه ونادت نساء بني ربيع يا آل سعد فاشتد قتال بني منقر لصياحهن فهزمت بكر بن وائل وخلوا ما كان في أيديهم من بني مقاعس وما كان في أيديهم من أموالهم وتبعتهم بنو منقر بين قتيل وأسير فأسر الأهتم حمران بن عمرو وقصد قيس بن عاصم الحوفزان ولم يكن له همة غيره والحارث على فرسه قارح يدمى الزبد وقيس على مهر نخاف قيس أن يسبقه الحارث فحفزه بالرمح في استه فتحفز به الفرس فنجا فسمى الحوفزان وأطلق قيس أموال بني مقاعس وبني ربيع وسباياهم وأخذ أموال بكر بن وائل وأساراهم وانتقضت طعنة قيس على الحوفزان بعد سنة فمات وفى هذا اليوم يقول قيس بن عاصم

جزى الله يربوعاً بأسوء فعلها ... اذا ذكرت في الناشئات أمورها
ويوم جدود قد فضحتم ذماركم ... وسالمتموا والخيل تدمى نحورها
ستخطم سعد والرباب أنوفكم ... كما خز في أنف القضيب جريرها

وجه آخر وقد روى عن بعض المتقدمين وهو أن يكون المراد بالوجه ما يقصد به الى الله تعالى ويوجه به اليه نحو القربة اليه جلّت عظمته فيقول لا تشرك بالله ولا تدع إلهاً غيره فان كل فعل يتقرب به الى غيره ويقصد به سواه فهو هالك باطل وكيف يسوغ للمشبهة أن يحملوا هذه الآية والتي قبلها على الظاهر أو ليس ذلك يوجب انه تعالى يفنى ويبقى وجهه وهذا كفر وجهل من قائله .. فأما قوله تعالى (انما نطعمكم لوجه الله) وقوله (إلاّ ابتغاء وجه ربّه الأعلى) وقوله (وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله) فمحمول على ان هذه الأفعال مفعولة له ومقصود بها ثوابه والقربة اليه والزلفة عنده فأما قوله تعالى (فأينما تولوا فثم وجه الله) فيحتمل أن يراد به فثم الله لا على معنى الحلول ولكن على معنى التدبير ..والعلم ويحتمل أيضاً أن يراد به فثم رضى الله وثوابه والقربة اليه ويحتمل أن يكون المراد بالوجه الجهة ويكون الاضافة بمعنى الملك والخلق والانشاء والاحداث لانه عزوجل قال (ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله) أي ان الجهات كلها لله وتحت ملكه وكل هـذا واضح بيّن بحمد الله .. أخبرنا أبو الحسن عليّ بن محمد الكاتب قال حدثنا محمد بن يحيى الصولي قال انحدرنا مع المكتفي بالله في آخر سفرة سافرها للصيد من الموضع المعروف بجبة الى تكريت في خراقة [1] فكانت تجنح كثيراً فيشتد فزع من معه من الجلساء لذلك وكنت أشدهم فزعاً وكان في الخراقة سواي من الجلساء يحيى بن عليّ المنجم ومتوّج بن محمد بن مروان والقاسم المعروف بابن حبابة وكان يضحك لفزعنا ويقول لقد قسم الله لكم حظاً من الشجاعة جزيلا فقلت له ان البحتري يقول شعراً يصف فيه مثل حالنا ويمدح فيه أحمد بن دينار بن عبد الله وقد غزا الروم في مراكب أوله

أَلَمْ تَرَ تَغْلِيسَ الرَّبِيعِ المُبَكِّرِ وَمَا حَاكَ مِنْ وَشْيِ الرِّيَاضِ المُنَشَّرِ

فقال له أنشدني الموضع الذي قال هذا فيه منها وكان جيّد العلم بالأشعار حافظاً للأخبار

---

(١) ـ الخراقة ـ سفينة صغيرة فيها الشموع والنار .. وقيل انها من الخرق لانها تخرق الماء .. كذا بهامش الأصل

فأنشده

غَدَوْتَ على الميمونِ صُبْحاً وإنّما ... غَدَا المَرْكَبُ الميمونُ تحتَ المُظَفَّرِ

إذَا زَجَرَ النوبيُّ فوقَ علاتِهِ ... رَأَيتَ خَطِيباً في ذُؤَابةِ مِنبَرِ

يَغُضُّونَ دُونَ الإشتِيامِ عُيونَهُم ... وَفوقَ السِّماطِ للعَظيمِ المُؤَمَّرِ

إذَا ما عَلَتْ فيهِ الجَنُوبُ اعتَلَى لهُ ... جَنَاحُ عُقَابٍ في السَّماءِ مُهَجِّرِ

إذَا ما انكَفَى في هَبْوَةِ الماءِ خِلتَهُ ... تَلَفَّعَ في أثناءِ بُردٍ مُحَبَّرِ

وَحَولَكَ رَكَّابُونَ لِلهَولِ عاقِرُوا ... كَوَنْسِ الرَّدَى من دَارِعِينَ وَحُسَّرِ

تَمِيلُ المَنَايا حَيثُ مالَتْ أكُفُّهُم ... إذَا اصطَلَتوا حَدَّ الحَدِيدِ المُذَكَّرِ

إذَا أرشَقُوا بالنَّارِ لم يكُ رِشقُهُم ... لِيُقلِعَ إلاَّ عن شِوَاءٍ مُقَتَّرِ

صَدَمْتَ بِهِم صَهْبَ العَثَانِينِ دُونَهُم ... ضِرَابٌ كإيقادِ الأَظَى المُتَسَعِّرِ

يَسُوقُونَ إسطُولاً كأنَّ سَفِينَهُ ... سَحَائِبُ صَيفٍ من جَهَامٍ وَمُمطِرِ

كأنَّ ضَجِيجَ البَحرِ بينَ رِماحِهِم ... إذَا اختَلَفَتْ تَرجِيعُ عُودٍ مُجَرْجِرِ

تَقَارَبُ من زَحفَيهِمُ فكأنَّما ... تألَّفَ من أعنانِ وَحشٍ مُنَفِّرِ

على حِينَ لا تَنفَعْ تُطَوِّحُهُ الصَّبَا ... وَلا أرضَ تُلفِي للصَّرِيعِ المُقَطَّرِ (١)

فَمارَمتَ حتَّى اجلَتِ الحَربُ عن طُلًى ... مُقَصَّصَةٍ فِيهِم وَهامٍ مُطَيَّرِ

وكُنتَ ابنَ كِسرَي قبلَ ذَاكَ وَبَعدَهُ ... مَلِيًّا بأنْ تُوهِي صَفَاةَ ابنِ قَيصَرِ

جَدَحتَ لهُ المَوتَ الذعافَ فَعَافَهُ ... وَطَارَ على أَلوَاحِ شَطبٍ مُسَمَّرِ

---

(١) ـ المقطَّر ـ الملقى على أحد جانبيه .. كذا في هامش الأصل

سَعَى وهوَ مُولِي الرِّيحِ يَشكُرُ فَضلَها عليهِ وَمَن يُولِي الصَّنِيعَةَ يَشكُرِ

قال فاستجاد المكتفي بالله قوله ـ على حين لا تقع نطوحه الصبا ـ فقال له يحيى بن علي أنشدني ابن الرومي شعراً له في هذا المعنى

وَلم أَتعلَّمْ قَطُّ منْ ذِي سَباحَةٍ سِوَى الغَوْصِ وَالمَضْعُوفُ غيرُ مُغالِبِ

وَلِمْ لا وَلَوْ أُلقيتُ فيها وَصخرَةٌ لوَافيتُ منها القَعرَ أَوَّلَ رَاسِبِ

وَأَيْسَرُ إشفَاقِي منَ الماءِ أَنَّني أَمُرُّ بِهِ في الكُوزِ مرَّ الأَجانِبِ

واخشَى الرَّدَى منهُ على كُلِّ شَارِبٍ فكَيفَ بأَمنِيهِ على نَفسِ رَاكِبِ

فقلت له انما أخذ ابن الرومي بيته الثالث من قول أبي نواس فقال المكتفي بالله فما قال قلت حدثني علي بن سراج المصري قال حدثني أبو وائل اللخمي قال حدثني ابراهيم بن الخصيب قال وقف أبو نواس بمصر على النيل فرأى رجلا قد أخذه التمساح فقال

اضمَرْتُ لِلنِّيلِ هِجرَانًا وَمَقلِيَةً مُذْ قِيلَ لي إنَّما التِّمسَاحُ في النِّيلِ

فَمَنْ رَأَى النِّيلَ رَأَى العَيْنَ منْ كَثَبٍ

فَما أَرَى النِّيلَ إلاَّ في البَوَاقِيلِ

قال الصولي ـ والبواقيل ـ سفن صغار .. ثم أجرى المكتفي بعد ذلك ذكر الشيب فقال العرب تقول أظلم من شيب وقد شبت وظلمني المشيب وشبت ياصولي فقلت جواب عبدك في هذا جواب معن بن زائدة الشيباني لجدك المنصور وقد قال له كبرت يامعن فقال في طاعتك يا أمير المؤمنين قال والله لتنجلد قال على أعدائك قال وفيك بحمد الله بقية قال لخدمتك فنزع المكتفي عمامته فاذا شيبتان في مقدم رأسه قال لقد غمني طلوع هاتين الشيبتين فقلت له انما يعيش الناس في الشيب فأما السواد فلا يصحب الناس خالصاً أكثر من أربعين سنة الى الخمسين وقد يعاش في البياض الذي لا سواد فيه ثمانون سنة فأنشده يحيى بن علي في معنى طول العمر مع المشيب قول امرئ القيس

ألا إنَّ بعدَ الهُدْمِ للمرءِ قُنوَةً وبعدَ المَشيبِ طُولَ عُمْرٍ ومَلْبَسا[1]

وأنشدنه أنا أيضاً أبياتاً أنشدها اسحق بن ابراهيم الموصلي لبعض القيسيين

لمْ يَنْقِصِ مِنّي المَشيبُ قُلامَةً الآنَ حينَ ابدأ لَبٌّ وَأَكْيَسُ

وَالشَّيْبُ إنْ يَظْهَرْ فإنَّ وَرَاءَهُ عُمْرًا يكُونُ خِلالَهُ مُتَنَفَّسُ

٠٠ [قال الشريف المرتضي] رضى الله عنه أما قول البحترى — مفى وهو مولى الريح — فقد كرر معناه في قوله من قصيدة يمدح بها أبا سعيد الثغرى

أَشْلِى على منويلَ أطرافَ القَنا فَنَجى عَتيقَ عَتيقَةٍ جَرْدَاء

فلوَ انَّهُ ابطالَهُنَّ هَنيئَةً لَصدَرْنَ عنهُ وَهُنَّ غيرُ ظِماء

وَلئِنْ تَبَقَّاهُ القَضاءُ لوَقْتِه فلقدْ عَمِمْتَ جُنُودَهُ بِفَناء

---

(١) هو من قطعته التى أولها

تأوبني دائى القديم فغلسا أحاذر أن يرتد دائي فأنكسا

٠٠ ومنها

فإما تريني لا أغمض ساعة من الليل إلاّ أن أكب فأنعسا

فيارب مكروب كررت وراءه وطاعنت عنه الخيل حتى تنفسا

وما خفت تبريح الحياة كما أرى تضيق ذراعي أن أقوم فألبسا

فلو أنها نفس تموت جميعة ولكنها نفس تساقط أنفسا

وبدلت قرحاً دامياً بعد صحة لعل منايانا تحولن أبؤسا

لقد طمح الطماح من بعد أرضه ليلبسني من دائه ما تلبسا

وسبب هذه القطعة ان امرأ القيس استنجد قيصر ملك الروم فى حربه ابنى أسد المشهورة فأمده بجيش عظيم فلما انفصل عنه وثب به رجل من بني أسد يقال له الطماح الى قيصر فبعث اليه بحلة وثني مسمومة ملوجة بالذهب فلما وصلت اليه لبسها واشتد سروره بها فأسرع فيه السم وسقط جلده فلذلك سمي ذا القروح فقال هذه القطعة

وأظنه أخذ هذا المعنى من قول أبي تمام في قصيدة يمدح بها المعتصم ويذكر فتح الحرمية

لولاَ الظَّلاَمُ وَقِلَّةٌ عَلِقُوا بِها باتَتْ رِقابُهُم بِغَيْرِ قِلاَلِ

فَلْيَشْكُرُوا جُنَحَ الظَّلاَمِ ودَرْوَزًا فَهُمُ لِدَرْوَزَ والظَّلاَمِ مَوَالِي

وقد أخطأ الصولي في تفسير بيت أبي نواس بان البواقيل سفن صغار لأن البواقيل جمع بوقال وهو آلةٌ على هيئة الكوز معروفة تعمل من الزجاج وغيره .. وهذا مثل قول ابن الرومي

أَمُرُّ بِهِ فِي الكُوزِ مرَّ المُجَانِبِ

وانما أراد انني لا أمر بماء النيل إلاّ اذا أردت شربه في كوز أو بوقال وما أشبه ذلك وأظن انه استمر عليه الوهم من جهة قوله فما أري النيل وصرف ذلك الى انه أراد النيل على الحقيقة وانما أراد ماء النيل وما علمت ان السفن الصغار يقال لها بواقيل إلاّ من قول الصولي هذا ولو كان ما ذكره صحيحاً من ان ذلك اسم لصغار السفن لكان بيت أبي نواس بما ذكرناه أشبه وألبق وأدخل في معنى الشعر وكيف يدخل شبهة في ذلك مع قوله ـ فمن رأي النيل رأى العين من كثب ـ ومن رأى النيل في السفن فقد رآه من كثب ومن رأى ماءه في الآنية على بعد فلا يكون راثياً له من كثب .. فأما مدح الشيب وتفضيله على الشباب فقد قال فيه الناس وأكثروا فما تقدم من ذلك قول رؤبة بن العجاج ويقال ان رؤبة لم يقل من القصيدة إلاّ هذين البيتين

أَيُّها الشَّامِتُ المُعَيِّرُ بالشَّيْـ ـبِ أَقِلَّنْ بالشَّبابِ افتخارا

قدْ لَبِسْتُ الشَّبابَ غَضًّا جَدِيدًا فَوَجَدْتُ الشَّبابَ ثَوْبًا مُعارا

ولعلي بن جبلة

جفى طَرَبَ الفتيانِ وَهوَ طَرُوبُ واعقبَهُ قُرْبَ الشَّبابِ مَشِيبُ

تَجافَتْ عُيُونُ البِيضِ عنه وربَّما مَدَدْنَ اليهِ الوَصْلَ وَهوَ حَبِيبُ

لعَمْرِي لَنِعْمَ الصَّاحِبُ الشَّيْبُ واعِظًا ... وإنْ كانَ منهُ للعُيونِ نُكُوبُ

خَلِيطٌ نُهًى مَنْباةُ حِلْمٍ وإنَّهُ ... على ذَاكَ مكْرُوهُ الخِلاطِ مُرِيبُ

ولآخر

وَتَنَكَّرَتْ شَيْبِي فقُلْتُ لَها ... ليسَ الشَّبابُ بناقِصٍ عُمُرِي

سيَّانِ شَيْبِي والشَّبابُ إذَا ... ما كُنْتُ من عُمُرِي على قَدَرِ

ولآخر

إنْ أَكُنْ قَذَرًا زِئْتُ أَسْوَدَ كالفَحْـ ... ـمِ واعقَبْتُ مِثْلَ لونِ النَّعَامَهْ

فلقَدْ أُسعِفُ الكَرِيمَ وَاحبُو ... أَهلَهُ بالنَّدَى وآبِي الظَّلامَهْ

غيرَ أنَّ الشَّبابَ كانَ رِداءً ... خانَنا فيهِ كَفِّيَ الغَمامَهْ

ولآخر

إنَّ المَشِيبَ رِداءُ الحِلْمِ والأَدَبِ ... كما الشَّبابُ رِداءُ الجَهْلِ واللَّعِبِ

تَعَجَّبَتْ أَنْ رَأَتْ شَيْبِي فقُلْتُ لَها ... لا تَعْجَبِي منْ يَطُلْ عُمْرٌ بِهِ يَشِبِ

ولابن الجهم

حَسَرَتْ عنِّيَ القِنَاعَ ظَلُومُ ... وَتَوَلَّتْ وَدَمْعُها مَسْجُومُ

أَنْكَرَتْ ما رَأَتْ بِرَاسِي فقَالَتْ ... أَمَشِيبٌ أَمْ لُؤْلُؤٌ مَنْظُومُ

قلتُ شَيْبٌ ولَيْسَ عَيْبًا فأَنَّتْ ... أَنَّةً يَسْتَثِيرُها المَهْمُومُ

شَدَّما أَنْكَرَتْ تَصَرُّمَ عَهْدٍ ... لَمْ تَدُمْ لِي وَأَيُّ حالٍ يَدُومُ

ولابي هفان

تَعَجَّبَتْ دُرَّةٌ منْ شَيْبِي فقلتُ لها ... لا تَعْجَبِي فَطُلُوعُ الشَّيْبِ في السُّدَفِ

وَزادَها عَجَبًا لما رَأَتْ سَمَلي ... ومادَرَتْ دُرُّ أَنَّ الدُّرَّ في الصَّدَفِ (١)

وقد أحسن أبو تمام غاية الاحسان فى قوله

أَبْدَتْ أَسيً إِذْ رَأَتْنِي مُخْلِسَ القَصَبِ ... فآلَ ما كانَ مِنْ عُجْبٍ الى عَجَبِ

سِتٌّ وعِشْرُونَ تَدْعُونِي فأَتْبَعُها ... إلى المَشيبِ ولَمْ تَظْلِمْ ولَمْ تَحِبِ

فلا يُؤَرِّقْكِ إِيماضُ القَتيرِ بِهِ ... فإِنَّ ذاكِ ابْتِسامُ الرَّأْيِ والأَدَبِ

وللبحتري

عَيَّرْتَنِي المَشيبَ وَهْيَ بَدَتْهُ ... فِي عِذَارِي بالصَّدِّ والإِجْتِنابِ

لاَ تَرَيْهِ عارًا فَماهُوَ بالشَّيْـ ... ـبِ وَلَكِنَّهُ جَلاءُ الشَّبابِ

وَبَياضُ البازِيِّ اصْدَقُ حُسْنًا ... إِنْ تأَمَّلْتَ مِنْ سَوادِ الغُرابِ (٢)

---

(١) السمل — محركة الثوب الخلق ويقال أيضا ثوب أسمال فمن النحويين من جعل أسمالا مفردا لانه صفة ثوب والصحيح انه على التأويل بالجمع أى أنواع الثوب اسمال ومثل ذلك برمة أعشار لان أفعالا لم يثبت فى المفرد وانما هو جمع

(٢) الابيات من قصيدة يمدح بها اسماعيل بن شهاب مطلعها

ماعلى الركب من وقوف الركاب ... فى مغانى الصبا ورسم التصابى

أين أهل القباب بالاجرع الفر ... د تولوا لا أين أهل القباب

سقم دون أعين ذات سقم ... وعذاب دون الثنايا العذاب

وكمثل الاحباب لو يعلم النعا ... ذل عندي منازل الاحباب

فاذا ما السحاب كان ركاماً ... فسقى بالرباب دار الرباب

واذا هبت الجنوب بسقيا ... فعلى رسم دارها والجناب

هيرتنى المشيب.. الابيات الثلاثة.. وبعده

عذلتنى فى قومها واستزلت ... جيئتى فى سواهم وذهابى

ورأت عند غيرهم من مديحى ... مثل ماكان عندهم من عتابى

وله

هاهُوَ الشَّيْبُ لاَ ثِمَافاً فيقفى ... وَاتْرُكِيهِ إِنْ كانَ غَيْرَ مُفِيقِ
فلقَدْ كَفَّ عنْ عَناءِ المُعَنَّى ... وتَلاَفَى من إشْتِياقِ المَشُوقِ
عَذَلَتْنا في عُشْقِها أُمُّ عَمْرٍو ... هَلْ سَمِعْتُمْ بالعَاذِلِ المَعْشُوقِ
وَرَأَتْ لِمَّةً أَلَمَّ بِها الشَّيْـ ... ـبُ فَرِيعَتْ من ظُلْمَةٍ في شُرُوقِ
وَلَعَمْرِي لَوْلاَ الأَقاحِي لأَبْصَرْ ... تِ أَنِيقَ الرِّياضِ غَيْرَ أَنِيقِ
وَسَوَادُ العُيُونِ لَوْ لَمْ يَكَمَّلْ ... بِبَيَاضٍ ما كانَ بالمَوْمُوقِ
وَمِزَاجُ الصَّهْبَاءِ بالماءِ أَوْلَى ... بِصَبُوحٍ مُسْتَحْسَنٍ وَغَبُوقِ
أَيُّ لَيْلٍ يَبْهَى بِغَيْرِ نُجُومٍ ... أَوْسَمَاءٍ تَنْدَى بِغَيْرِ بُرُوقِ

ويشبه ان يكون أخذ قوله ـ أي ليل يبهى بغير ـ نجوم من قول الشاعر

أَشَيْبٌ وَلَمْ أَقْضِ الشَّبَابَ حُقُوقَهُ ... ولَمْ يَمْضِ مِنْ عَهْدِ الشَّبَابِ قَدِيمُ
رَأَتْ وَضَحاً في مَفْرِقِ الرَّأْسِ رَاعَهَا ... وَشَتَّانَ مُبْيَضٌّ بِهِ وَبَهِيمُ

ليس من غضبة عليهم ولكن ... هو نجم يعلو مع الكتاب
شيعة السؤدد القريب واخوا ... ن التصافي واخوة الآداب
هم أولو المجد إن سألت فان كا ... ثرت كانوا هم أولى الالباب
ومتى كنت صاحبا لذوى السؤد ... د يوما فانهم أصحابي
وكفاني إذ الحوادث أظلمـ ... ـن شهابا بغرة بن شهاب
سبب أول على جود اسما ... عيل أغنى عن سائر الاعقاب
لا تهلت سماؤه فطرنا ... ذهبا في انهلال ذاك الذهاب
لا يزور الوفاء غبا ولا يعـ ... ـشق غدر الفعال عشق الكعاب
مستعيد على اختلاف الليالي ... نسقا من خلائق أنراب

تَفَارِيقُ شَيْبٍ فِي الشَّبَابِ لَوَامِعٌ ... وَمَا حُسْنُ لَيْلٍ لَيْسَ فِيهِ نُجُومُ

ولمحمود الوراق في مثل هذا المعنى قوله

مَا الدُّرُّ مَنْظُومًا بِأَحْسَنَ مِنْ ... شَيْبٍ يَحُلُّ هَامَةَ الْكَهْلِ

فَكَأَنَّهُ فِيهَا النُّجُومُ إِذَا ... جَدَّ الْمَسِيرُ بِهَا عَلَى مَهْلِ

لَا تَبْكِيَنَّ عَلَى الشَّبَابِ إِذَا ... بَكَى الْجَهُولُ عَلَيْهِ لِلْجَهْلِ

وَاشْكُرْ لِشَيْبِكَ حُسْنَ صُحْبَتِهِ ... فَلَقَدْ كَسَاكَ جَلَالَةَ الْفَضْلِ

ولآخر في مدح الشيب

لَا يَرُعْكِ الْمَشِيبُ يَا ابْنَةَ عَبْدِ ... اللهِ فَالشَّيْبُ حُلْيَةٌ وَوَقَارُ

إِنَّمَا تَحْسُنُ الرِّيَاضُ إِذَا مَا ... ضَحِكَتْ فِي خِلَالِهَا الْأَنْوَارُ

•• [قال الشريف رحمه الله] ولي في هذا المعنى من قصيدة

جَزِعْتُ لِخَطَّاتِ الْمَشِيبِ وَإِنَّمَا ... بَلَغَ الشَّبَابُ مَدَى الْكَمَالِ فَنَوَّرَا

وَالشَّيْبُ إِنْ فَكَّرْتَ فِيهِ مَوَارِدٌ ... لَا بُدَّ يُورِدُهُ الْفَتَى إِنْ عُمِّرَا

يَبْيَضُّ بَعْدَ سَوَادِهِ الشَّعْرُ الَّذِي ... إِنْ لَمْ يَزُرْهُ الشَّيْبُ وَارَاهُ الثَّرَى

وممن عدل بين الشباب والشيب ومدح كل واحد منهما طريح بن اسمعيل الثقفي فقال

وَالشَّيْبُ لِلْحُكَمَاءِ مِنْ سَفَهِ الصِّبَا ... بَدَلٌ يَكُونُ لِذِي الْفَضِيلَةِ مَقْنَعُ

وَالشَّيْبُ غَايَةُ مَنْ تَأَخَّرَ حِينُهُ ... لَا يَسْتَطِيعُ دِفَاعَهُ مَنْ يَجْزَعُ

إِنَّ الشَّبَابَ لَهُ لَذَاذَةُ جِدَّةٍ ... وَالشَّيْبُ مِنْهُ فِي الْمَغِبَّةِ أَنْفَعُ

لَا يُبْعِدِ اللهُ الشَّبَابَ فَمَرْحَبًا ... بِالشَّيْبِ حِينَ أَوَى إِلَيْهِ الْمَضْجَعُ

ومثله لآخر

وَكَانَ الشَّبَابُ الْغَضُّ لِي فِيهِ لَذَّةٌ ... فَزَحْزَحَنِي عَنْهُ الْمَشِيبُ وَأَدَّبَا

فَسَقْيًا وَرَعْيًا لِلشَّبَابِ الَّذِي مَضَى وَأَهْلًا وَسَهْلًا بِالْمَشِيبِ وَمَرْحَبَا

مجلس آخر ٤٦

[تأويل آية] .. إن سأل سائل عن قوله تعالى (واذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداعي اذا دعاني) الآية .. فقال كيف ضمن الاجابة وتكفل بها وقد نرى من يدعو فلا يجاب .. الجواب قلنا في ذلك وجوه .. أولها أن يكون المراد بقوله تعالى (أجيب دعوة الداعي) أي أسمع دعوته ولهذا يقال للرجل دعوت من لا يجيب أي من لا يسمع وقد يكون أيضاً يسمع بمعنى يجيب كما كان يجيب بمعنى يسمع يقال سمع الله لمن حمده يراد به أجاب الله من حمده .. وأنشد ابن الاعرابي

دَعَوْتُ اللهَ حَتَّى خِفْتُ أَنْ لَا يَكُونَ اللهُ يَسْمَعُ مَا أَقُولُ

أراد يجيب ما أقول .. وثانيها انه تعالى لم يرد بقوله تعالى قريب من قرب المسافة بل أراد اني قريب باجابتي ومعونتي ونعتي أو لعلمي بما يأتي العبد ويذر وما يسر ويجهر تشبيهاً بقرب المسافة لأن من قرب من غيره عرف أحواله ولم يخف عليه ويكون قوله تعالى أجيب على هذا تأكيداً للقرب فكأنه أراد إني قريب قرباً شديداً وإني بحيث لا يخفى على أحوال العباد كما يقول القائل اذا وصف نفسه بالقرب من صاحبه والعلم بحاله أنا بحيث أسمع كلامك وأجيب نداءك أو ما جرى هذا المجرى .. وقد روى ان قوماً سألوا الرسول صلى الله عليه وسلم فقالوا له ربنا قريب فنناجيه أم بعيد فنناديه فأنزل الله تعالى هذه الآية .. وثالثها أن يكون معنى هذه الآية إني أجيب دعوة الداعي اذا دعاني على الوجه الصحيح وبالشرط الذي يجب أن يقارن الدعاء وهو أن يدعو باشتراط المصلحة ولا يطلب وقوع ما يدعو به على كل حال ومن دعا بهذا الشرط فهو مجاب على كل حال لأنه ان كان صلاحاً فعل ما دعا به وان لم يكن صلاحاً لم يفعل فقد شرط دعاءه فهو أيضاً مجاب الى دعائه .. ورابعها أن يكون معنى دعاني أي عبدني وتكون

الاجابة هي الثواب والجـزاء على ذلك فكأنه تعالى قال إنني أثيب العباد على دعائهم لي وهذا مما لا اختصاص فيه .. وخامسها ما قاله قوم من ان معنى الآية ان العبد اذا سأل الله تعالى شيئاً في إعطائه صلاح فعل به وأجابه اليه وان لم يكن في إعطائه إياه في الدنيا صلاحٌ وخـير لم يعطه ذلك في الدنيا وأعطاه إياه في الآخرة فهو مجيب لدعائه على كل حال .. وسادسها انه تعالى اذا دعاه العبد لم يخل من أحد أمرين إمّا أن يجاب دعاؤه وإمّا أن يجاب له بصرفه عما سأل ودعا لحسن اختيار الله له يقوم مقام الاجابة فكأنه يجاب على كل حالٍ وهذا الجواب يضعف لأن العبد ربما سأل مافيه صلاحٌ ومنفعة له في الدنيا وان كان فيه فساد في الدين لغيره فلا يعطي ذلك لأمر يرجع اليه لكن لما فيه من فساد غيره فكيف يكون مجاباً مع المنع الذي لايرجع اليه منه شيءٌ من الصلاح اللهم إلاّ أن يقال انه دعاء مشروط بأن يكون صلاحاً ولا يكون فساداً وهـذا مما تقدم ومعنى قوله تعالى (فليستجيبوا لي) أي فليجيبوني وليصدقوا رسلي .. قال الشاعر

وَدَاعٍ دَعَا يامَنْ يُجيبُ إلى النَّدى فلمْ يَسْتَجِبْهُ عِندَ ذَاكَ مُجِيبُ
فقلتُ ادْعُ أُخْرَى وارْفَعِ الصَّوْتَ ثانِياً لعلَّ أبي المِغْوارِ مِنْكَ قَرِيبُ[1]

---

(١) قوله ـ لعل أبي المغوار ـ بجرابي على لغة عقيل فان لعل عندهم تجر في أربع لغات من لغاتها أي ثابتـة الأول ومحذوفته مفتوحة الآخر ومكسورته وأما بقية لغات لعل فلا يجر بها عندهم وأبو المغوار بكسر الميم وسكون الغين المعجمة اسـمه شبيب وروى * فقلت ادع أُخرى وارفع الصوت دعوة * بالنصب على التعليـل وروى أبو المغوار بالنصب على أصله وهذان البيتان من قصيدة لكعب بن سعد الغنوي يرثي أخاه شبيباً أولها

تقول سليمي ما لجسمك شاحباً كأنك يحـميك الطعام طبيب
فقلت ولم أعي الجواب لقولها وللدهر في صم السلام نصيب
تتابع احداث نخرّ منَ اخوتي وشيبن رأسي والخطوب تشيب
لعمري لئن كانت أصابت مصيبة أخي والمنايا للرجال شـعوب
لقد كان أما حلمه فروح علينا وأما جهـله فمـزيب

أى لم يجبه .. [قال الشريف المرتضى] رضى الله عنه وإذ كنا قد ذكرنا في المجالس المتقدمة لهذا المجلس طرفاً من الشعر فى تفضيل الشيب وتقديمه والتعزّي عنه والتسلي عن نزوله فنحن متبعوه بطرف مما قيل في ذمّه والتألم به والجزع منه .. فمن ذلك قول أبي حيّة النميرى

نَزَحَلَ بالشَّبابِ الشَّيْبُ عنّا ... فليتَ الشَّيْبَ كانَ بِهِ الرَّحيلُ
وَقَدْ كانَ الشَّبابُ لَنا خَليلاً ... فقَدْ قَضَّى مآرِبَهُ الخَليلُ
لعَمْرُ أبي الشَّبابِ لقَدْ تَوَلَّى ... حَميدًا مايُرَادُ بِهِ بَديلُ
إذِ الأَيَّامُ مُقْبِلَةٌ علينا ... وَظِلُّ أَرَاكَةِ الدُّنْيا ظليلُ

وقال الفرزدق

أَرَى الدَّهْرَ أيامُ المَشيبِ أمَرُّهُ ... علينا وَأيامُ الشَّبابِ أطَايِبُهْ
وَفي الشَّيْبِ لَذَّاتٌ وَقُرَّةُ أعْيُنٍ ... وَمنْ قَبْلِهِ عَيْشٌ تَعَلَّلَ جاذِبُهْ
إذَانازَلَ الشَّيْبُ الشَّبابَ فاصلتا ... بِسَيْفَيهِمَافالشَّيْبُ لاَ شَكَّ غالبُهْ

.. ومنها

فان تكن الأيام أحسنّ مرة ... الىّ فقد عادت لهن ذنوب

الى ان قال

وداع دعا يامن يجيب الى الندى ... فلم يستجبه عند ذاك مجيب
فقلت ادع أخرى وارفع الصوت جهرة ... لعلّ أبى المغوار منك قريب
يجيبك كما قد كان يفعل إنه ... نجيب لأبواب العلاء طلوب

قال أبو علىّ القالي فى الأمالي بعض الناس يروى هذه القصيدة لكعب بن سعد الغنوي وهو من قومه وليس بأخيه والمرثى بهذه القصيدة يكنى أبا المغوار واسمه هرم وبعضهم يقول اسمه شبيب ويحتج ببيت روى فى هذه القصيدة * أقام وخلى الظاعنين شبيب *

فيا خيرَ مهزُومٍ ويا شرَّ هازمٍ ... إذا الشيبُ وافَت للشبابِ كتائبُهْ
وليسَ شبابٌ بعدَ شيبٍ براجعٍ ... مدى الدهرِ حتى يُرجعَ الدرَّ حالبُهْ
وما المرءُ منفوعاً بتجريبِ واعظٍ ... إذا لم تَعظْهُ نفسُهُ وتجاربُهْ

وأنشد اسحاق الموصلي

لعمري لئن حلَّلتُ عن منهلِ الصبا ... لقد كنتُ وَرَّادًا لمشربِهِ العذبِ
ليالي أمشي بينَ بردَيَّ لاهيا ... أميسُ كغصنِ البانةِ الناعمِ الرَّطبِ
سلامٌ على سيرِ القلاصِ مع الرَّكبِ ... ووصلِ الغواني والمُدامةِ والشَّربِ
سلامُ امرئٍ لم تبقَ منهُ بقيةٌ ... سوى نظرِ العينينِ أو شهوةِ القلبِ

ولمنصور النمري

ما تنقضي حسرةٌ مني ولا جزعُ ... اذا ذكرتُ شبابا ليسَ يرتجعُ
بانَ الشبابُ ففاتتني بشرَّتِهِ ... صروفُ دهرٍ وأيامٌ لها خدعُ
ما كنتُ أوفي شبابي كنهَ غرَّتِهِ ... حتى انقضى فاذا الدنيا له تبعُ (١)

---

(١) هذه الأبيات من قصيدة يمدح بها الرشيد روى انه دخل عليه وكان عنده الكسائي فقال له الرشيد أنشدني فأنشده قوله * ما تنقضي حسرة * البيت فتحرك الرشيد ثم أنشده حتى انتهى الى قوله

ما كنت أوفي شبابي كنه غرته ... حتى انقضى فاذا الدنيا له تبع

فطرب الرشيد وقال أحسنت والله وصدقت لا والله لا ينهى أحد بعيش حتى يخطر في رداء الشباب وأمر له بجائزة سنية ومن أبياتها الحسان قوله

أي امرئ بات من هارون في سخط ... فليس بالصلوات الخمس ينتفع
ان المكارم والمعروف أودية ... أحلك الله منها حيث يتسع

ولمحمد بن أبي حازم

عَهْدَ الشَّبابِ لقَدْ أَبْقَيْتَ لي حَزَنا ... ما جَدَّ ذِكْرُكَ الاَّ جَدَّ لي ثُكلُ
سَقْيا ورَعْيا لاَيَّامِ الشَّبابِ وإنْ ... لَمْ يَبْقَ منكَ لهُ رَسْمٌ ولاَ طَلَلُ
جَرَّ الزَّمانُ ذُيُولاً في مَفارِقِهِ ... وللزَّمانِ على إحسانِهِ عِلَلُ
وَرُبَّما جَرَّ اذْيالَ الصِّبا مَرَحاً ... وَبَيْنَ بُرْدَيْهِ غُصْنٌ ناعِمٌ خَضِلُ
لاَ تَكْذِبَنَّ فما الدُّنْيا بأَجْمَعِها ... منَ الشَّبابِ بِيَوْمٍ واحدٍ بَدَلُ
كَفاكَ بالشَّيْبِ عَيْباً عِنْدَ غانِيَةٍ ... وَبالشَّبابِ شَفِيعاً أَيُّها الرَّجُلُ

اذا رفعت امرأ فالله يرفعه ... ومن وضعت من الأقوام متضع
نفسي فداؤك والأبطال معلمة ... يوم الوغى والمنايا صابها فزع

روى ان البيدق دخل على الرشيد وعنده الفضل بن الربيع ويزيد بن مزيد وبين يديه خوان لطيف عليه جرمان ورغيفان سميد ودجاجتان فقال لي أنشدني قال البيدق فأنشدته قصيدة النمري العينية فلما بلغت الى قوله

* أي امرئ بات من هارون في سخط * الأبيات الأربعة قال فرمى بالخوان بين يديه وصاح وقال هذا والله أطيب من كل طعام وكل شئ وبعث اليه بسبعة آلاف دينار قال البيدق فلم يعطني منها مايرضيني وشخص الى رأس العين فأغضبني وأحفظني فأنشدت هرون قوله

ساد من الناس راتع هامل ... يعللون النفوس بالباطل

فلما بلغت الى قوله

ألا مساعير يغضبون لها ... بسلة البيض والقنا الزابل

قال أراه يحرض علي ابعثوا اليه من يجيء برأسه فكلمه فيه الفضل بن الربيع فلم يفن كلامه شيئاً وتوجه اليه الرسول فوافاه في اليوم الذي مات فيه ودفن وروى من غير هذا الوجه ان العتابي سئل عن سبب غضب الرشيد عليه فقال استقبلت منصوراً

ولأبي نواس

كانَ الشَّبابُ مَطِيَّةَ الجَهْلِ ... وَمُحَسِّنَ الضَّحِكاتِ وَالهَزْلِ
كانَ الجَمِيلَ إذَا ارْتَدَيْتُ بِهِ ... وَمَشَيْتُ اخْطُرُ صِيتَ النَّعْلِ
كانَ البَلِيغَ إذَا نَطَقْتُ بِهِ ... وَأَصَاخَتِ الآذَانُ لِلْمُمْلِي
كانَ المُشَفَّعَ فِي مآرِبِهِ ... عِندَ الحِسَانِ وَمُدْرِكَ النَّبْلِ
والبَاعِثِي وَالنَّاسُ قَدْ هَجَعُوا ... حَتَّى أَتَيْتُ خَلِيلَةَ البَعْلِ

النمري يوماً من الأيام فرأيته مغموماً واجماً كئيباً فقلت له ماخبرك فقال تركت امرأتي تطلق وقد عسر عليها ولادها وهي بيدي ورجلي والقيمة بأمري وأمر منزلي فقلت له لم لا تكتب على فرجها هرون الرشيد قال ليكون ماذا قال لتلد على المكان قال وكيف ذاك قلت لقولك

ان أخلف الغيث لم تخلف مخائله ... أو ضاق أمر ذكرناه فيتسع

فقال لي ياكشخان والله لئن تخلصت امرأتي لأذكر قولك هذا للرشيد فلما ولدت امرأته خبر الرشيد بما كان بيني وبينه فغضب لذلك وأمر بطلبي فاستترت عند الفضل بن الربيع فلم يزل يسئل فيَّ حتى أذن لي في الظهور فلما دخلت عليه قال لي قد بلغني ما قلته للنمري فاعتذرت اليه حتى قبل ثم قلت والله ياأمير المؤمنين ماحمله على التكذب عليَّ إلاَّ وقوفي على ميله للعلوية فان أراد أمير المؤمنين ان أنشده شعره في مديحهم فعلت فقال أنشدني فأنشدته قوله

ساد من الناس رائع هامل ... يعلوك النفوس بالباطل

حتى بلغت الى قوله

الا مساعير يغضبون لهم ... بلة البيض والقنا الزابل

فغضب من ذلك غضباً شديداً وقال للفضل بن الربيع احضره الساعة فبعث الفضل في طلبه فوجده قد توفي فأمر بنبشه ليحرقه فلم يزل الفضل يلطف له حتى كف عنه

وَالآمِرِي حَتَّى اذَا عَزَمَتْ ... نَفسي أعانَ عليَّ بالفعلِ
فالآنَ صُرتُ الى مُقَارَبَةٍ ... وَحَطَطتُ عنْ ظَهرِ الصِّبَا رحلي

[قال الشريف المرتضى] رضى الله عنه وعلى هذا الكلام حسن طلاوة ومسحة من اعرابي ليستا لغيره .. ولبشار

الشَّيْبُ كُرْهٌ وكُرْهٌ أنْ يُفَارِقَني ... أعجِبْ بِشَيءٍ على البَغْضَاءِ مَوْدُودِ
يَمْضِي الشَّبابُ وَيأتِي بَعْدَهُ خَلَفٌ ... وَالشَّيْبُ يَذْهَبُ مَفْقُودًا بِمَفْقُودِ

وهذا البيت الأخير يروي لمسلم بن الوليد الأنصاري .. ومما أحسن فيه مسلم في هذا المعنى قوله

طَرَفْتُ عُيُونَ الغَانِيَاتِ وَرُبَّما ... أمَلْنَ إليَّ الطَّرْفَ كُلُّ مَمِيلِ
وما الشَّيْبُ إلاَّ شَعْرَةٌ غَيَّرَ أنَّهُ ... قَلِيلُ قَذَاةِ العَيْنِ غَيْرُ قَلِيلِ

ولآخر

أهْلاً بِوَافِدَةِ الشَّيْبِ وَاحِدَةٍ ... وإنْ تَرَاءَتْ بِشَخْصٍ غَيْرِ مَوْدُودِ
لاَ أجْمَعُ الحِلْمَ والصَّهْبَاءَ قَدْ سَكَنَتْ ... نَفْسِي الى المَاءِ عنْ مَاءِ العَنَاقِيدِ
لم يَنْهَنِي كِبَرٌ عَنْهَا وَلاَ فَنَدٌ ... لَكِنْ صَحَوْتُ بِغُصْنٍ غَيْرِ مَمْدُودِ
أوْفَى بِي الحِلْمَ وَاقْتَادَ النُّهَى طَلَقًا ... شَأْوِي وَعِفْتُ الصِّبَا مِنْ غَيْرِ تَفْنِيدِ

ولقد أحسن دعبل في قوله يصف الشباب والشيب

كانَ كَحَلاً لما آتيها فقدْ ... صارَ بالشَّيْبِ لِعَيْنَيْهَا قَذَا

ولغيره

رَأَتْ طَالِعًا للشَّيْبِ أغْفَلْتُ أمْرَهُ ... فَلَمْ تَتَعَهَّدْهُ أكُفُّ الخَوَاضِبِ
فَقَالَتْ أشَيْبٌ مَا أرَى لُمْتُ شَامَةً ... فَقَالَتْ لَقَدْ شَامَتْكَ عِنْدَ الحَبَائِبِ

ولمحمود الورّاق ويروي لمحمد بن أبي حازم

أليسَ عجيباً بأنَّ الفتَى ... يُصابُ ببعضِ الَّذي في يَدَيه
فمِن بَيْنِ باكٍ لهُ مُوجَعٍ ... وبَيْنَ معزٍّ معزّ اليه
ويُسلبُهُ الشيبُ شرخَ الشبابِ ... فليسَ يعزّيهِ خلقٌ عليه

ولأبي دُلَف

في كلِّ يومٍ أرَى بيضاءَ طالعةً ... كأنّما طلعتْ في أسودِ البصرِ
لئنْ قصصتُكِ بالمقراضِ عن بصرِي
لمَا قصصتُكِ عن همّي وعن فكرِي

وليحيى بن خالد بن برمك ويروى لغيره

الليلُ شيّبَ والنهارُ كلاهُما ... وأسى بكثرةِ ماتدورُ رَحاهُما
يتناهبانِ نفوسَنا ودِماءنا ... ولحومَنا عمْدًا ونحنُ نراهُما
والشيبُ إحدَى الميتتينِ تقدّمتْ ... أولاهُما وتأخّرتْ أخراهُما

وقد أتى النحلان المبرزان أبو تمام وأبو عبادة فى هذا المعنى بكل غريب عجيب ... فمن ذلك قول أبي تمام

لئنْ جزِعَ الوحشيُّ منها لرُؤيتي ... لإنسيِّها من شيبِ رأسي أجزَعُ
غدَا العمرُ مختطًّا بفودَيَ خطّةً ... طريقُ الرّدَى منها إلى الموتِ مهيعُ
هو الزورُ يُجفَى والمعاشرُ يجتوى ... وذُو الإلفِ يُقلَى والجديدُ يُرقّعُ
لهُ منظرٌ في العينِ أبيضُ ناصعٌ ... ولكنّهُ في القلبِ أسودُ اسفعُ
ونحنُ نُرجّيهِ على السُّخطِ والرِّضَى ... وأنفُ الفتَى من نفسِهِ وهوَ أجدعُ

أصبحتْ رَوْضَةُ الوصالِ هَشيماً ... وَغدَتْ رِيحُهُ البَليلُ سَمُوما
شُعْلَةٌ في المَفارِقِ اسْتَوْدَعَتْني ... في صَميمِ الفُؤادِ ثُكْلاً صَميما
تَسْتَثيرُ الهُمُومُ ما اكْتَنَّ مِنها ... صُعُدًا وَهْيَ تَسْتَثيرُ الهُمُوما
غِرَّةٌ غِرَّةٌ ألاَ إنَّما كُنْـ ... ـتُ أُغَرًّا أيَّامَ كُنْتُ بَهيما
دِقَّةٌ في الحَياةِ تُدْعَى جَلالاً ... مِثْلَ ما سُمِّيَ اللَّديغُ سَليما
حَلَّمَتْني زَعَمْتُمُ وَأَرَاني ... قَبْلَ هذا التَّحَلُّمِ كُنتُ حَليما

•• وله

لَعِبَ الشَّيْبُ بالمَفارِقِ بَلْ جِدَّ فأبكي تَماضِرًا ولَعُوبًا
خَضَبَتْ خَدَّها إلى لُؤْلُؤِ العِقْـ ... ـدِ دَما أنْ رأَتْ شَواتي خَضيبا
كُلُّ داءٍ يُرْجى الدَّواءُ لَهُ إلاَّ ... افْتِضاحَيْنِ مَنِيَّـةً ومَشيبا
يا نَسيبَ الثَّغامِ ذَنْبُكَ أبْقى ... حَسَناتي عِنْدَ الحِسانِ ذُنُوبا
وَلَئِنْ عِبْنَ ما رأَيْنَ لَقَدْ أنْـ ... ـكَرْنَ مُسْتَنْكَرًا وعِبْنَ مَعيبا
أوْ تَصَدَّعْنَ عَنْ قِلًى لَكَفَى بالـ ... ـشَّيْبِ بَيْني وَبَيْنَهُنَّ حَسيبا
لَوْ رَأَى اللهُ أنَّ لِلشَّيْبِ فَضْلاً ... جاوَرَتْهُ الأَبْرارُ في الخُلْدِ شيبا

[قال الشريف المرتضى] رضى الله عنه •• وجدت الآمدى يذكر ان قوماً ادعوا المناقضة على أبي تمام فى هذه الابيات بقوله * فابكا تماضرا ولعوبا * وقوله

خضبت خدها الى لؤلؤ العقـ ... ـد دماً أن رأت شواتي خضيبا
يا نسيب الثغام ذنبك أبقى ... حسناتي عند الحسان ذنوبا

وقوله * ولئن عبن ما رأين لقـد * قالوا كيف يبكين دماً على شيبه ثم يعيبنه •• قال الآمدي وليس ههنا تناقض لأن الشيب انما أبكي تماضرا ولعوب أسفاً على شبابه والحسان

اللواتي عنه غير هاتين المرأتين فيكون من أشفق عليه من الشيب منهن وآسف على شبابه بكى كما قال الأخطل

لَمَّا رَأَتْ بَدَلَ الشَّبَابِ بَكَتْ لَهُ ... إِنَّ الْمَشِيبَ لَأَرْذَلُ الْأَبْدَالِ

ولم يكن هذه حال من عابه قال وهذا مستقيم صحيح .. [قال الشريف المرتضى] رضي الله عنه وليس يحتاج في العذر لأبي تمام الى ما تكلفه الآمدي بل المناقضة زائلة عنه على كل حال .. وان كان من قد بكى شبابه وتلهف عليه من النساء هن اللواتي أنكرن مشيبه وعبنه به وما المنكر من ذلك وكيف يتناقض أن يبكي على شبابه ونزول شيبه منهن من رأى الشيب ذنباً وعيباً منكراً وفي هذا غاية المطابقة لانه لا يبكي الشيب ويجزع من حلوله وفراق الشباب إلاّ من رآه منكراً ومعيباً .. وقال أبو تمام

رَاحَتْ غَوَانِي الْحَيِّ عَنْكَ غَوَانِيا ... يَلْبَسْنَ نَأْيًا تَارَةً وَصُدُودَا

مِنْ كُلِّ سَابِغَةِ الشَّبَابِ إِذَا بَدَتْ ... تَرَكَتْ عَمِيدَ الْقَرْيَتَيْنِ عَمِيدَا

أَرْبَيْنَ بِالْمُرْدِ الْعَطَارِفِ بُدَّنَا ... غِيدًا أَلْفَيْنَهُمُ لِدَانًا غِيدَا

أَحْلَى الرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ مَوَاقِعًا ... مَنْ كَانَ أَشْبَهَهُمْ بِهِنَّ خُدُودَا

اوقوله ــ أربين بالمرد ــ من أرب بالشيء اذا لزمه وأقام عليه يقال أربّ وألبّ بالمكان اذا أقام فيه ولزمه يريد انهن لزمن هوى المرد وألفن عليه .. ورواه قوم أربين بالمرد من الربا الذي معناه الزيادة يقال قد أربا الرجل اذا ازداد فيقول أربين بالمرد أي ازددن علينا بهم وجعلن المرد زيادة اخترنها علينا .. ويقال انه أخذ قوله ــ أحلى الرجال من النساء ــ البيت من قول الأعشى

وَأَرَى الْغَوَانِيَ لَا يُوَاصِلْنَ امْرَأً ... فَقَدَ الشَّبَابَ وَقَدْ يَصِلْنَ الْأَمْرَدَا[1]

---

(١) وقبله

أَنَوَى وَقَصَّرَ لَيْلَهُ لِيَزُوَّدَا ... فَمَضَى وَأَخْلَفَ مِنْ قُتَيْلَةَ مَوْعِدَا

ولمنصور النمري قوله

كرهنَ من الشيبِ الذي لو رأيتَهُ ... بهنَّ رأيتَ الطرفَ عنهنَّ أزورَا

وقول الآخر

أرى شيبَ الرجالِ من الغوانِي ... كموقعِ شيبهنَّ من الرجالِ

•• وقال أبو تمام

شابَ رأسي وما رأيتُ مشيبَ الرأسِ إلاَّ من فضلِ شيبِ الفؤادِ
وكذاكَ القلوبُ في كلِّ بؤسٍ ... ونعيمٍ ظلائعُ الأجسادِ
طالَ إنكاريَ البياضَ وإن عمَّرتُ شيئاً أنكرتُ لونَ السوادِ
زادني شخصُهُ بطلعةِ ضيمٍ ... عمَّرتْ مجلسي من العوَّادِ
نالَ رأسي من ثغرةِ الهمِّ داءٌ ... لم ينلهُ من ثغرةِ الميلادِ

ومعنى البيت الأخير ان الثغرة وهي الفرجة والثلمة تكون في الشيء ولذلك سمي كل بلد جاور عدواً ثغراً كأن معناه مكشوف للعدو ويجوز أن يكون أصله من ثغر الانسان لأنه أول ما يقابلك من اسنانه وأول ما يظهر عند الكلام وأول ما يسقط فيرى مثلوماً فيشبه الثغر الذي هو البلدة به ويقال أثغر الصبي وأثغر وتسمى تلك الفرجة في موضع

يجحدن ديني بالنهار واقتضى ... ديني اذا وقد النعاس الرقدا

وأرى الغواني الخ•• روي عن اسحاق الموصلي قال حدثني أبي قال غنيت بين يدي الرشيد وستارته منصوبة

وأرى الغواني لا يواصلن امرأً ... فقد الشباب وقد يصلن الأمردا

فطرب واستعاده وأمر لي بمال فلما أردت ان أنصرف قال لي ياعباس كذا وكذا أتغنى بهذا الصوت وجواري من وراء ستارة يسمعنه لولا حرمتك لضربت عنقك فتركته والله حق لسيته

السن ثغرة وفى كل موضع منفرج ومنه ثغرة النحر وأراد بقوله
* نال رأسى من ثغرة الهم * أى وجد الشيب من الهم فرجة دخل على رأسي منها لأن الهم يشيب لا محالة ٠٠ وقوله * مالم ينله من ثغرة الميلاد * أراد بثغرة الميلاد الوقت الذى يهجم عليه فيه الشيب من عمره لانه يجد السبيل فى ذلك الوقت الى الحلول برأسه فجعله ثغرة من هذا الوجه فأراد ان الشيب حل برأسه من جهة همومه وأحزانه مالم يبلغ السن التى يوجب حلوله به من حيث كبره ٠٠ [قال الشريف المرتضي] رضى الله عنه ورأيت الآمدى يطعن على قوله * عمرت مجلسي من العواد * ويقول لا حقيقة لهذا ولا معنى لانا مارأينا ولا سمعنا أحداً جاءه عواده يعودونه من الشيب ولا أن أحداً أمرضه الشيب ولا عزّاه المعزون عن الشباب وهذا من الآمدي قلة بصر فى نقد الشعر وضعف بصره بدقيق معانيه التى يغوص عليها حذاق الشعراء ولم يرد أبو تمام بقوله * عمرت مجلسي من العواد * العيادة الحقيقية التي يعتني فيها العوّاد مجالس المرضى وذوى الأوجاع وانما هذه استعارة وتشبيه واشارة الى الغرض خفية فكأنه أراد ان شخص الشيب لما زارني كثر المتوجعون لى والمتأسفون على شبابي والمتفجعون من مفارقته فكأنهم في مجلسى عواد لى لان من شأن العائد للمريض أن يتوجع ويتفجع وكفى بقوله * عمرت مجلسى من العواد * عن كثرة من تفجع وتوجع من مشيبه وهذا من أبي تمام كلام في نهاية البلاغة والحسن وما المعيب إلاّ من عابه وطعن عليه ونحن نذكر في المجالس الآتى ما للبحترى في هذا المعنى بمشيئة الله وعونه ان شاء الله

مجلس آخر ٤٧

[تأويل آية] ٠٠ إن سأل سائل عن قوله تعالى (هو الذي أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجرٌ فيه تسيمون) ٠٠ فقال اذا كان الشجر ليس ببعض للماء كما كان الشراب بعضاً له فكيف جاز أن يقول تعالى ومنه شجر بعد قوله منه شراب وما معنى تسيمون وهل الفائدة فى هذه اللفظة هي الفائدة فى قوله تعالى (والخيل المسوّمة)

وقوله تعالى (وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل منضود مسوّمة عند ربك) .. الجواب قلنا في قوله تعالى (منه شجر) وجهان .. أحدهما أن يكون المراد ومنه سقى شجر وشرب شجر فحذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه وذلك كثير فى لغة العرب ومثله قوله تعالى (وأشربوا فى قلوبهم العجل) أي حب العجل .. والوجه الآخر أن يكون المراد ومن جهة الماء شجر ومن سقيه وإنباته شجر فحذف الأول وخلفه الثانى كما قال عوف بن الخرع

أمِنْ آلِ لَيْلَى عَرَفْتَ الدِّيارَا ... بِجَنْبِ الشَّقِيقِ خَلاءً قِفَارَا

أى من ناحية آل ليلى .. وقال زهير

أمِنْ امِّ أوفى دِمْنَةٌ لم تَكَلَّمِ ... بِحَوْمانَةِ الدَّرَّاجِ فالمُتَثَلَّمِ

أراد من ناحية أم أوفى .. وقال أبو ذؤيب

أمِنْكِ البَرْقُ أَرِّقُهُ فَهاجَا ... فَبِتُّ إخالُهُ دَهْماً خِلاَجَا

.. وقال أيضاً

أمِنْكِ بَرْقٌ أَبِيتُ اللَّيْلَ أَرْقُبُهُ ... كأَنَّهُ فِي عِرَاصِ الشَّامِ مِصْبَاحُ

.. وقال الجعدى

لِمَنِ الدِّيارُ عَفَوْنَ بالتِّهْطَالِ ... بَقِيَتْ على حِجَجٍ خَلَوْنَ طِوَالِ

أراد بقيت على مر حجج وتكرار حجج .. فأما قوله تعالى (فيه تسيمون) فمعناه ترعون وترسلون أنعامكم يقال أسام الابل يسيمها اسامة اذا أرعاها وأطلقها فرعت منصرفة حيث شاءت وسومها أيضاً يسومها من ذلك وسامت هي اذا رعت فهي تسوم وهي ابل سائمة ويقال سمتها اذا قصرتها على مرعى بعينه وسمتها الخسف اذا تركتها على غير مرعى ومنه قيل لمن أذل وأضيم واهتضم سيم فلان الخسف وسيم خطة الضيم .. قال الكميت بن زيد في الاسامة التى هي الاطلاق فى الرعي

رَاعِياً كانَ مُسِيماً فَفَقَدْنا ... مُوَفَّقَدُ المُسِيمِ هُلْكُ السَّوَامِ

٠٠ وقال آخر

وَأَسْكُنُ ما سَكَنْتَ بِبَطْنِ وادٍ ... وَأَظْعَنُ ما ظَعَنْتَ فلا أُسِيمُ

وذهب قوم الى ان السوم في البيع من هذا لأن كل واحد من المتبايعين يذهب فيما يبيعه من زيادة ثمن أو نقصانه الى مايهواه كما تذهب سوام الابل من المواشي حيث شاءت ٠٠ وقد جاء في الحديث لا سوم قبل طلوع الشمس فحمله قوم على ان الابل وغيرها لا تسام قبل طلوع الشمس لئلا تنتشر وتفوت الراعي ويخفى عليه مقاصدها وحمله آخرون على ان السوم قبل طلوع الشمس في البيوع مكروهٌ لأن السلعة المبيعة تستتر عيوبها أو بعضها فيدخل ذلك في بيوع الغرر المنهي عنها ٠٠ وأما الخيل المسومة فقد قيل انها المعلمة بعلامات مأخوذة من السيماء وهي العلامة ٠٠ وروى عن الحسن البصري في قوله تعالى (والخيل المسوّمة) قال سوّمت نواصيها وأذنابها بالصوف ٠٠ وقيل أيضاً ان المسوّمة هي الحسان وروى عن مجاهد في قوله تعالى (والخيل المسوّمة) قال هي المعلمة الحسان ٠٠ وقال آخرون بل هي الراعية وقد روى ذلك عن سعيد بن جبير وكل يرجع الى أصل واحد وهو معنى العلامة لأن تحسين الخيل يجري مجرى العلامة فيها التي تعرف بها وتميز لمكانها وقد قيل ان السوم من الراعي يرجع الى هذا المعنى أيضاً لأن الراعي يجعل في المواضع التي يرعاها علامات أو كالعلامات بما يزيله من نباتها ويمحوه من آثارها فكأن الأصل في الكل متفق غير مختلف ٠٠ وقال لبيد في التوسيم الذي هو التعليم

وَغَداةَ قاعِ القَرْيَتَيْنِ أَتَيْتُهم ... رَهْواً يلوحُ خِلالَها التَّوْسِيمُ

أراد التعليم ٠٠ وأما قوله في الملائكة (مسوّمين) فالمراد به معلمين ٠٠ وكذلك قوله تعالى (حجارة من سجيل منضود مسوّمة) أي معلمة وقيل انها كان عليها كأمثال الخواتيم وقال في الملائكة مسوّمين أي معلمين ٠٠ [قال المرتضى] رضي الله عنه ونعود الى ما كنا وعدنا به من ذكرنا للبحتري في ذم الشيب والتألم من فقد الشباب فمن ذلك قوله

وكُنْتُ أُرَجِّي في الشَّبابِ شَفاعةً ... فَكَيْفَ لِباغي حاجةٍ بشفيعِهِ

مَشيبٌ كَنَتْ السِّرَّ أعيي بحَمْلِهِ ... مُحَدِّثُهُ أوضاقَ صَدْرُ مُذيعِهِ
تلاحَقَ حتَّى كادَ يأتي بطيئُهُ ... لِحَثِّ اللَّيالي قَبْلَ آتي سريعِهِ

وما أحسن هذا من كلام وأبلغه وأطبعه .. وقال أيضاً

رُدِّي عليَّ الصِبا إنْ كُنْتِ فاعلةً ... إنَّ الصِبا ليسَ مَنْ شأني ولا أَرَبي
جاوَزْتُ حَدَّ الشَّبابِ النَّضْرِ مُلْتفتاً ... إلى بناتِ الصِبا يَرْكُضْنَ في طَلَبي
والشَّيْبُ مَهْرَبُ مَنْ جارَى مَنِيَّتَهُ ... ولاَ نَجاءَ لهُ منْ ذَلِكَ الهَرَبِ
وَالمَرْءُ لوْ كانَتِ الشِّعْرى لهُ وَطَناً
صُبَّتْ عليهِ صُرُوفُ الدَّهْرِ منْ صَبَبِ (١)

---

(١) الأبيات من قصيدة له يمدح بها اسماعيل بن بليل مطلعها

اليك ما أنا من لهو ولا طرب ... منيتي متي بغلاب غير منقلب
ردي على الصبا إن كنت فاعلة ... ان الهوى ليس من شأني ولا أربي
جاوزت حد الشباب النضر ملتفتاً ... الى بنات الصبا يركضن في طلبي
والشيب مهرب من جارى منيته ... ولا نجاء له من ذلك الهرب
والمرء لو كانت الشعرى له وطناً ... حطت عليه صروف الدهر من صبب
قد أقذف العيس من ليل كأن له ... وشياً من النور أو أرضاً من العشب
حتى اذا ما انجلت أخراه عن أفق ... مضمخ بالصباح الورد مختضب
أوردت صادية الآمال فانصرفت ... بريها وأخذت النجح من كثب
هاتيك أخلاق اسماعيل في تعب ... من العلى والعلى منهن في تعب
أتعبت شكري فأضحى منك في نصب ... فاذهب فمالَ في جدواك من أرب
لا أقبل الدهر نيلا لا يقوم به ... شكري ولو كان مسديه اليَّ ابي
لما سألتك وافاني نداك على ... أضعاف ظني فلم أخفق ولم أخب

ويروى ـ حطت عليه صروف ـ ٠٠ وقال البحترى

لَابِسٌ مِنْ شَبِيبَةٍ أَمْ نَاضِ ... وَمُلِيحٌ مِنْ شَيْبَةٍ أَمْ رَاضِي
وَإِذَا مَا امْتُعِضْتُ مِنْ وَلَعِ الشَّيْـ ... ـبِ بِرَأْيِي لَمْ يُغْنِ ذَاكَ امْتِعَاضِي
لَيْسَ يَرْضَى عَنِ الزَّمَانِ مَرُوٌّ ... فِيهِ إِلَّا عَنْ غَفْلَةٍ أَوْ تَغَاضِي
وَالبَوَاقِي مِنَ اللَّيَالِي وَإِنْ خَا ... لَفْنَ شَيْئًا مُشْبِهَاتُ المَوَاضِي
نَاكَرَتْ لِمَّتِي وَنَاكَرْتُ مِنْهَا ... سُوءَ هَذِي الأَبْدَالِ وَالأَعْوَاضِ
شَعَرَاتٌ أَقْصَرْنَ وَبَرْجَعْـ ... ـنَ رُجُوعَ السِّهَامِ فِي الأَغْرَاضِ
وَأَبَتْ تَرْكِيَ الفَدَيَّاتُ وَالآ ... صَالُ حَتَّى خَضَبْتُ بِالمِقْرَاضِ
غَيْرَ نَفْعٍ إِلَّا التَّمَلُّلَ مِنْ شَخْـ ... ـصٍ عَدُوٍّ لَمْ يَعْدُهُ إِبْغَاضِي
وَرَوَاءِ المَشِيبِ كَالبَحْصِ فِي عَيْـ ... ـنِي فَقُلْ فِيهِ فِي العُيُونِ المِرَاضِ
طِبْتُ نَفْسًا عَنِ الشَّبَابِ وَمَا سَرَّ ... وَدَّ مِنْ صِبْغِ بُرْدِهِ الفَضْفَاضِ
فَهَلِ الحَادِثَاتُ يَابْنَ عُوَيْفٍ ... تَارِكَاتِي وَلُبْسَ هَذَا البَيَاضِ

وقال أيضاً

تَعِيبُ الغَانِيَاتُ عَلَيَّ شَيْبِي ... وَمَنْ لِي أَنْ أُمَتَّعَ بِالمَعِيبِ

لم يخط مأبض خلسات تعمدها ... فتلك ذا الشعبة الطولي فلم يصب
لأشكرنك إن الشكر نائله ... أبقى على حاله من نائل النشب
بكل شاهدة للقوم غائبة ... عنهم جميعاً ولم تشهد ولم تغب
مرصوفة باللآلى من نوادرها ... مسبوكة اللفظ والمعنى من الذهب
ولم أحابك في مدح تكذبه ... بالفعل منك وبعض المدح من كذب

وَوجدِي بالشَّبابِ وَإنْ تَوَلَّى ... حَمِيدًا دُونَ وَجدِي بالمَشِيبِ

وقال أيضاً

أُرثِيتُهُ منْ بعدِ جَزْلٍ فاحِمٍ ... جَوْنَ المَفارِقِ بالنَّهارِ خَضِيبا
فَعَجِبْتُ منْ حالَيْنِ خالَفَ فيهما ... صَرْفُ الزَّمانِ وَما رَأَيْتُ عَجِيبا
إنَّ الزَّمانَ إذَا تَتابَعَ خَطْوُهُ ... سَبَقَ الطَّلُوبَ وَأدْرَكَ المَطْلُوبا

وقال أيضاً

رَأَتْ فَلَتاتِ الشَّيْبِ فابْتَسَمَتْ لها ... وَقالَتْ نُجُومٌ لوْ طَلَعْنَ بِاسْعُدِ
أعاتِبُكَ ما كانَ الشَّبابُ مُقَرَّبِي ... إليكِ فالحَى الشَّيْبَ إذْ كانَ مُبْعِدِي

وقال أيضاً

غَشَتْ كَبِدِي قَسْوَةٌ منكِ ما إنْ ... تَزالُ تُجَدِّدُ فِيها نُدُوبا
وَحَمَّلْتُ عنكِ ذَنْبَ المَشِيبِ ... حَتَّى كأنِّي ابْتَدَعْتُ المَشِيبا
وَمَنْ يَطَّلِعْ شَرَفَ الأرْبَعِينَ ... يُحَيِّ منَ الشَّيْبِ زَوْرًا غَرِيبا

[قال الشريف المرتضى [رحمه الله ..] ولي في هذا المعنى

قُلْنَ لَمَّا رَأَيْنَ وخطًّا مِنَ الشَّيْبِ بِرَأْسِي أعْيَ على مَجْهُودِي
كَسَنَا بارِقٍ تَعَرَّضَ وَهْنًا ... في حَواشِي بَعْضِ اللَّيالِي السُّودِ
أبْياضٌ مُجَدَّدٌ منْ سَوادٍ ... كانَ قِدْمًا لا مَرْحَبًا بالجَدِيدِ
يالحاكِنَّ من رَماكُنَّ بالحُسْـ ... ـنِ لَتَقْهَرْنَنا بِغَيْرِ جُنُودِ
لَيْسَ بَيْضٌ مِنِّي فاجْرِي عليهِـ ... ـنَّ صُدُودًا أوْ لَيْسَ فِيكُنَّ سُودُ
قَلَّ ما ضَرَّ كُنَّ منْ شَعَراتٍ ... كُنَّ يَوْمًا على الوَقارِ شُهُودِي

وقال البحتري أيضاً

خَلِّيَاهُ وَجِدَّةَ اللَّهْوِ مادَا ... مَرِدَاءَ الشَّبَابِ غَضّاً جَدِيدَا
إنَّ أَيَّامَهُ مِنَ البِيضِ بِيضٌ ... مازَأَيْنَ المَفارِقَ السُّودَ سُودَا

وقال أيضاً

تَرَكَ السَّوَادَ لِلابِسِهِ وَبَيَّضا ... وَنَضَا مِنَ السِّتِّينَ عنهُ مانَضَا
وَسباهُ أُغْيَدُ في تَصَرُّفِ لَحْظِهِ ... مَرَضٌ أَعَلَّ بِهِ القُلُوبَ وَأَمْرَضَا
فَكأَنَّهُ وَجَدَ الصِّبا وَجَدِيدَهُ ... دَيْنا دَنا مِيقاتُهُ أَنْ يُقْتَضَى
أَسْيانُ أَثْرِي مِنْ جَوَى وَصَبابَةٍ ... وَأَسافَ مِنْ وَصْلِ الحِسانِ وأَنْقَضا[1]

ويروى ـ اسوان ـ .. وقال أيضاً

هَلْ أَنْتَ صارِفُ شِيبَةٍ إنْ غَلَّسَتْ ... في الوَقْتِ أَوْ عَجِلَتْ عَنِ المِيعادِ
جاءَتْ مُقَدِّمَةً أَمامَ طَوالِعٍ ... هذِي تُراوِحُنِي وَتِلْكَ تُغادِي
وَأَخُو الغَبِينَةِ تاجِرٌ في لِمَّةٍ ... يَشْرِي جَدِيدَ بَياضِها بِسَوادِ
لاَ تَكْذِبَنَّ فَما الصِّبا بِمُخَلَّفٍ ... لَهْوًا وَلاَ زَمَنُ الصِّبا بِمُعادِ
وَأَرَى الشَّبابَ عَلَى غَضارَةِ حُسْنِهِ ... وَجَمالِهِ عَدَداً مِنَ الأَعْدادِ

وقال أيضاً

أَيُثَنِّي الشَّبابُ أَمْ ما تَوَلَّى ... مِنْهُ في الدَّهْرِ دَوْلَةٌ ما تَعُودُ
لاَ أَرَى العَيْشَ وَالمَفارِقُ بِيضٌ ... إِسْوَةَ العَيْشِ والمَفارِقُ سُودُ
وَأَعُدُّ الشِّقِّي جِدًّا وَلَوْ اغْـ ... ـطِيَ غُنْما حَتَّى يُقالَ سَعِيدُ

(١) ـ أساف ـ الرجل اذا هلكت ابله

مَنْ عَدَتْهُ العُيُونُ وَانْصَرَفَتْ عنـ ـهُ إلْتِفَاتاً الى سِوَاهُ الخُـدُودُ

وقال أيضاً

قدِّمَنِّي فَمَا جَرَى السُّقْمُ إلاَّ فِي ضُلُوعٍ عَلَى جَوَى الحُبِّ تُحْنَى
لَوْ رأتْ حَادِثَ الخِضَابِ لأَنْتَ وَأَرَتْ مِنْ احمرَارِ اليَرَنْيَ
كَلَفُ البِيضِ بالمُعَمَّرِ قِـدْماً حَـينَ يَكْلَفْنَ وَالمُصَفَّرِ سِنَا
يَتَشَـاغَفْنَ بالغَرِيرِ المُسَمَّى مِنْ تَصَابٍ دُونَ الجَلِيلِ المُكَنَّى

وقال أيضاً

أُخَيَّ إنَّ الصبا أَسْتَمِرَّ بِه سيرُ اللَّيالي فأَنْهجتْ بُرُدُهْ
تَصُدُّ عَنِّي الحِسَانُ مُبْعَدَةً إذ انا الاقربه ولا صـدَدُهْ
شَيَّبَ عَلى المَفْرِقَيْنِ يأرضُهُ يكثُرُنِي أنْ أُبِينَهُ عدَدُه
تَطْلُبُ عِنْدِي الشَّبَابَ ظَالِمَةً بُعْدَ خَمْسِينَ حِينَ لاَ تَجِدُه
لاَ عَجَبٌ إنْ مَلِلْتِ خِلَّتَنَا فَأَفْتَقَدَ الوصلَ مِنْكِ مُفْتَقِدُه
مَنْ يَتَطَاوَلْ عَلَى مُطَاوَلَةِ العِـ ـشِ تَقَعْقَعْ مِنْ مَلَّهُ عمده

[قال الشريف المرتضى] رضى الله عنه .. ورأيت الآمدى وقد أخطأ فى معنى البيت الأخير لانه قال معنى يتقعقع من مله عمده أى عظامه يجيء لها صوت اذا قام وقعد من كبره وضعفه قال وقوله ـ من مله ـ أى من تملى العيش يريد طوله ودوامه ومنه تمليت حبيبك والأمر بخلاف ما توهمه ومعنى ـ تقعقع من مله عمده ـ أى من تطاول عمره تعجل ترحله وانتقاله من الدنيا وكنى عن ذلك بتقعقع العمد وهذا مثل معروف للعرب يقولون من يجمع يتقعقع عمده يريدون أن التجمع داعى التفرق وان الاجتماع يعقب ويورث مايدعو الى الانتقال الذى يتقعقع معه العمد .. [قال الشريف المرتضى] رضى الله عنه والآمدى مع كثرة مايدعيه من التنقيب والتنقير على علوم العرب ان كان لم

يعرف هذا المثل ومعناه فهو طريف وان كان قد سمعه وجهل ان معنى بيت البحترى يطابقه فهو أطرف .. فأما قوله ـ من مله ـ فانما أراد به من ملل ومله فعلة من الملل وكيف يكون من تملى العيش ولم يسمع في تمليت مله وهذا خطأ على خطأ .. وقال البحترى

مَا كَانَ شَوْقِي بِبِدْعٍ يومَ ذَاكَ ولاَ ... دَمْعِي بِأَوَّلِ دَمْعٍ فِي الهَوَى سَفِحَا

وَلِمَّةٍ كُنْتُ مَشْغُوفًا بِجِدَّتِهَا ... فَمَا عَفَى الشَّيْبُ عَنْهَا لاَ وَلاَ صَفَحَا

وقال أيضاً

وَمَا أَنِسَ لاَ أَنِسَ عَهْدَ الشَّبَابِ ... وَعَلْوَةَ إِذْ عَيَّرَتْنِي الكِبَرْ

كَوَاكِبُ شَبَّ عَلَقْنَ الصِّبَا ... فَقَلَّلْنَ مِنْ حُسْنِهِ مَا كَثُرْ

وَإِنِّي وَجَدْتُ وَلاَ يَكْذِبُنْ ... سَوَادَ الهَوَى فِي بَيَاضِ الشَّعَرْ

وَلاَ بُدَّ مِنْ تَرْكِ إِحْدَى اثْنَتَيْنِ ... إِمَّا الشَّبَابُ وَإِمَّا العُمُرْ

قال الآمدي وعليه في قوله ـ ولا بد من ترك إحدى اثنتين ـ معارضة وهو أن يقال ان من مات شاباً فقد فارق الشباب وفاته العمر فهو تارك لهما معاً ومن شاب فقد فارق الشباب وهو مفارق للعمر لا محالة فهو أيضاً تارك لهما جميعاً .. وقوله إما وإنما لا توجب الا أحداهما قال والعذر للبحترى أن يقال انه من مات شاباً فقد فارق الشباب وفاته العمر وحده لانه لا يعمر فيكون مفارقاً للعمر ألا ترى انهم يقولون عمّر فلان اذا أسن وفلان لم يعمّر اذا مات شاباً ومن شاب وعمّر ثم مات لم يكن مفارقاً للشباب فى حال موته لانه قد قطع أيام الشباب وتقدمت مفارقته له وانما يكون فى حال موته مفارقاً للعمر وحده قالى هذا ذهب البحترى وهو صحيح ولم يرد بالعمر المدة القصيرة التى يعمرها الانسان وانما أراد بالعمر ههنا الكبر كما قال زهير

رَأَيْتُ المَنَايَا خَبْطَ عَشْوَى فَمَنْ تُصِبْ ... تَمُتْهُ وَمَنْ تُخْطِئْ يُعَمَّرْ فَيَهْرَمِ

[قال الشريف المرتضى] رضى الله عنه .. وما رأيت أشد تهافتاً فى الخطأ منه فيما يفسره ويتكلم عليه من شعر هذين الرجلين ومعنى البيت غير ماتوهمه وهو أظهر من

أن يخفى حتى يحتاج فيه الى هذا التعليل والتعسف وانما أراد البحتري ان الانسان بين حالتين إمّا أن يفارق الشباب بالشيب أو العمر بالموت فمن مات شاباً وان كان قد خرج من العمر وخرج بخروجه عن سائر أحوال الحياة من شباب وشيب وغيرهما فانه لم يفارق الشباب وحده وانما فارق العمر الذى فارق بمفارقته الشباب وغيره وقسمة الرجل تناولت أحد الأمرين إمّا مفارقة الشباب وحده بلا واسطة ولا يكون ذلك إلاّ بالشيب أو مفارقة العمر بالموت وتلخيص كلامه إنه لابد للحي من شيب أو موت فكأن الشيب والموت متعاقبان والبحترى انما جعل قوله العمر مقام قوله الحياة والبقاء وانما قال العمر لأجل القافية مع انه مبين عن مراده ولو قال ولا بد من ترك الحياة أو ترك الشباب لقام مقام قوله العمر .. أخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال حدثني علي بن محمد الكاتب قال حدثنا أحمد بن عبيد الله قال من معاني ابن الرومي التي فتقها قوله يذم من جعل مصيبة غيره مصيبة له وعاب من تعالل بالتأسي بما نال غيره وهو يرثي شبابه وأحسن

يا شَبابي وأَينَ مني شَبابي ... آذَنَتني أَيامُهُ بانقضاب
لَهِفَ نَفسي على نَعيمي ولَهوي ... تحتَ أَفنانه اللِّدانِ الرِّطاب
ومُعَزٍّ عنِ الشَّباب مُؤَسٍّ ... بمَشيب اللِّدات والأَصحاب
قُلتُ لَمّا أَنتحى بُعَيدَ أَساةٍ ... بمُصابٍ شَبابَهُ كمُصابِ
لَيسَ تأسُو كُلومُ غَيري كلومي ... ما بِهِ مابِهِ وَما بِيَ مابي

ولابن الرومي

لَهفي على الدُّنيا وَهل لَهفَةٌ ... تَنصِفُ مِنها إنْ تَلَهَّفتُها
قُبحاً لها قُبحاً على أنَّها ... أَقبَحُ شَيء حينَ كَشَّفتُها
وَقَد يُعَزّيني شَبابٌ مَضى ... وَلَذَّةٌ لِلعَيشِ أَسلَفتُها
فَكَّرتُ في خَمسينَ عاماً مَضَت ... كانَت أَمامي ثُمَّ خَلَّفتُها

جَهلتُها إذ هيَ مَوفُورَةٌ ثمَّ مَضَتْ عنّي فعرَّفتُها
فَفَرحةُ المَوهُوبِ أعدمتُها وتَرحةُ المَسلُوبِ ألحفتُها
لو أنَّ عُمري مائةٌ هدّتني تذكُّري أني تنصَّفتُها

وله فى هذا المعنى وقد تقدمت هذه الأبيات في الأمالي السالفة وقد أحسن فيها كل الإحسان

كفَى بسِراجِ الشَّيبِ للرَّأسِ هادِيا لِمنْ قد أضلَّتْهُ المَنايا لَيالِيا
أمِنْ بَعدِ إبداءِ المَشيبِ مقاتِلي لِرامِي المَنايا تَحسبُنِّي ناجِيا
غدَا الدَّهرُ يرمِيني فتَدنو سِهامُهُ لِشَخصِيَ أخلقَ أنْ يُصبنَ سَوادِيا
وكانَ كَرامِي اللَّيلِ يَرمِي ولا يَرَى فلمَّا أضاءَ الشَّيبُ شَخصِي رمانِيا

مجلس آخر ٤٨

[تأويل آية] .. إن سأل سائل عن قوله تعالى (ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فانهم ظالمون) .. فقال كيف جاءت أو بعد ما لا يجوز أن يعطف عليه وما الناصب لقوله تعالى (أو يتوب عليهم) وليس فى ظاهر الكلام ما يقتضى نصبه .. الجواب قلنا قد ذكر فى ذلك وجوه .. أولها أن يكون قوله تعالى (أو يتوب عليهم) معطوفاً على قوله ليقطع طرفاً والمعنى انه تعالى عجل لكم هذا النصر ومنحكم به ليقطع طرفاً من الذين كفروا أى قطعة منهم وطائفة من جمعهم أو يكبتهم ويغلبهم ويهزمهم فيخيب سعيهم وتكذب فيكم ظنونهم أو يغلبهم مايرون من تظاهر آيات الله تعالى الموجبة لتصديق نبيه عليه الصلاة والسلام فيتوبوا ويؤمنوا فيقبل الله تعالى ذلك منهم ويتوب عليهم أو يكفروا بعد قيام الحجج وتأكيد البينات والدلائل فيموتوا أو يقتلوا كافرين فيعذبهم الله تعالى باستحقاقهم النار ويكون على هذا الجواب قوله

تعالى (ليس لك من الأمر شئ) معطوفاً على قوله تعالى (وما النصر إلاّ من عند الله العزيز الحكيم) أى ليس لك ولا لغيرك من هـذا الأمر شئ وانما هو من الله عزوجل .. والجواب الثاني أن يكون أو بمعنى حتى وإلاّ أن والتقدير ليس لك من الأمر شئ حتى يتوب عليهم وإلاّ أن يتوب عليهم كما قال امرؤ القيس

بكى صاحبي لما رأى الدرب دونه ... وأيقن أنا لاحقان بقيصرا (١)

فقلت له لا تبك عينك إنما ... نحاول ملكا أو نموت فنعذرا

أراد إلاّ أن نموت فنعذرا وهذا الجواب يضعف من طريق المعنى لأن لقائل أن يقول ان أمر الخلق ليس الى أحد سوى الله قبل توبة العباد وعقابهم وبعد ذلك فكيف يصح أن يقول ليس لك من الأمر شئ أو يتوب عليهم أو يعذبهم حتى كأنه اذا كان أحد الأمرين كان اليه من الأمر شئ .. ويمكن أن يعتذر ذلك بأن يقال قد يصح الكلام اذا حمل على المعنى وذلك ان قوله (ليس لك من الأمر شئ) معناه ليس يقع ما تريده وتؤثره من ايمانهم وتوبتهم أو ما تريده من استئصالهم وعذابهم على اختلاف الرواية في معنى الآية وسبب نزولها إلاّ أن يلطف الله تعالى لهم في التوبة فيتوب عليهم أو يعذبهم وتقدير الآية ليس يكون ما تريده من توبتهم أو عذابهم بك وانما يكون ذلك الله تعالى .. والجواب الثالث أن يكون المعنى ليس لك من الأمر شئ أو من أن يتوب الله عليهم فأضمر من اكتفاء بالأول وأضمر أن بعدها لدلالة الكلام عليها أو اقتضائه لها وهي مع الفعل الذى بعدها بمنزلة المصدر وتقدير الكلام ليس لك من الأمر شئ ومن توبتهم وعذابهم .. [قال المرتضى] رضى الله عنه ووجدت أبا بكر محمد بن القاسم

---

(١) قوله بكى صاحبي الخ .. هو من قصيدته المشهورة ومطلعها

سما لك شوق بعد ما كان أقصرا ... وحلت سليمى بطن قوّ فعرعرا

قالها لما ذهب الى قيصر يستنجده على بنى أسد بعد قتلهم أباه وعنى بقوله ـ صاحبي ـ عمرو ابن قميئة من قيس بن ثعلبة بن مالك رهط طرفة وهو قديم جاهلى كان مع حجر أبى امرئ القيس فلما خرج امرؤ القيس الى الروم صحبه

يطعن على هـذا الجواب ويستبعده قال لان الفعل لا يكون محمولا على اعراب الاسم الجامد الذى لا تصرف له على إضمار أن مع الفعل لانه ليس في كلام العرب عجبت من أخيك ويقوم على معـنى عجبت من أخيك ومن أن يقوم لأن أخاك اسم جامد محض لا يعطف عليه إلاّ ما شاكله قال هـذا انما يستقيم ويصلح فى رد الفعل الى المصـدر كقولهم كرهت غضبك ويغضب أبوك على معـنى كرهت غضبك وان يغضب أبوك فيطرد هذا في المصادر لانها تؤول بأن فيقول النحويون يعجبنى قيامك وتأويله يعجبنى أن تقوم قال والاسم الجامد لا يمكن مثل هذا فيه .. [قال الشريف المرتضى] رضى الله عنه وليس ما ذكره مستبعداً وان لم يضعف هذا الجواب إلاّ من حيث ذكر فليس بضعيف وذلك ان فيما امتنع منه مثل الذى أجازه لانه قد أجاز ذلك في المصادر وان لم يجزه في غـيرها وقوله تعالى (ليس لك من الأمر شئ أو يتوب عليهم) فيـه دلالة الفعل لان الأمر مصـدر أمرت أمراً فكأنه تعالى قال ليس لك من أمرهم أو تأمرهم شئ ولا من أن يتوبوا وجرى ذلك مجرى قولهم كرهت غضبك ويغضب أبوك في رد الفعل الى المصدر والوجه الأول أقوى الوجوه والله أعلم بما أراد

[تأويل خبر] .. إن سأل سائل عن الخبر الذي يرويه أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا تناجشوا ولا تدابروا وكل المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه .. الجواب قيل له أما النجش فهو المدح والاطراء .. قال نابغة بني شيبان يذكر الخمر

وَتُرَخِّي بالَ مَنْ يَشْرِبُهَا ... وَتُفَدِّي كَرْمَهَا عِنْدَ النَّجَشْ[1]

---

(١) هو من قصـيدة له مشهورة روى ان أبا كامل مولى الوليد بن يزيد غنى يوماً بحضرته

أمدح الكاس ومن أعملها ... واهجُ قوماً قتلونا بالعطش

فسأل الوليد عن قائل هذا الشعر فقيل نابغة بني شيبان فأمر باحضاره فاستنشده القصيدة فأنشده إياها وظن ان فيها مدحاً له فاذا هو يفتخر بقومه ويمدحهم فقال له الوليد لو سعد جدك لكانت مديحاً فينا لا فى بني شيبان ولسنا نخليك على ذلك من حفظ ووصله

أي عند مدحها ومنه النجش فى البيع وهو مدح السلعة والزيادة فى ثمنها من غير ارادة لشرائها بل ليقتدى بالزائد فى زيادته غيره وأصل النجش استخراج الشئ والتسعير عنه .. قال بعض الفقعسيين

أجرِشْ لها يابْنَ أبي كِبَاشِ ... فما لها الليلةَ منْ إنفاشِ
غيرَ السُّرَى وسائقٍ نجّاشِ ... اسمرَ مثلَ الحيّةِ الخُشْخاشِ

ويروى الخشخاش ـ والنجاش ـ هو المستثير لسيرها والمستخرج لما عندها منه ومعنى ـ أجرش لها ـ أي أحد لها لتسمع الحداء فتسير وهو مأخوذ من الجرش وهو الصوت ومعنى

والصرف .. وأول هذه القصيدة قوله

حل قلبي من سليمى نبلها ... إذ رمتني بسهام لم تطش
طفلة الأعطاف رؤدمية ... وشواها بختري لم يحش
وكأن الدر في أخراصها ... بيض كحلاء أقرنه بعش
ولها عينا مهاة في مهي ... ترتعي نبت خزامي وقفش
حرة الوجه رخيم صوتها ... ورطبٌ تجنيه كف المنتقش
وهي من الليل اذا ماعونقت ... منية البعل وهمُّ المفترش

.. ومنها

أيها الساقي سقته مزنة ... من ربيع ذى أهاضيب وطش
أمدح الكاس ومن أعملها ... وأهج قوماً قتلونا بالعطش
انما الكاس ربيع باكر ... فاذا ماغاب عنّا لم نعش
وكأن الشرب قوم مُوِّتوا ... من يقم منهم لأمر يرتعش
خرس الألسن مما ناطم ... بين مصروع وصاح منتعش
من حيا قرقف حصية ... قهوة حولية لم تمتحش
ينفع المزكوم منها ريحها ... ثم تنفي داءه إن لم تنش
كل من يشربها يألفها ... ينفق الأموال فيها كل هش

ـ الأنفاش ـ أراد انها لاتترك ترعى ليلا والنفش أن ترعى الابل ليلا وقد أنفشها اذا أرسلتها ليلا ترعى ـ والخشخاش ـ الخفيف الحركة السريع التقلب ٠٠ والنجش في البيوع يرجع معناه الى هذا أيضاً من الزيادة لان الناجش يستثير بزيادته في الثمن ومدحه السلعة الزيادة في ثمنها فيكون معنى الخبر على هذا لا تناجشوا أى لا يمدح أحدكم السلعة فيزيد في ثمنها وهو لا يريد شراءها ليسمعه غيره فيزيده وقد يجوز أيضاً أن يريد بذلك لا يمدح أحدكم صاحبه من غير استحقاق ليستدعي منفعته ويستثير فائدته وهذا المعنى أشبه بأن يكون مراده عليه الصلاة والسلام لأن قوله ولاتدابروا أشد مطابقة له ٠٠ ومعنى ـ لا تدابروا ـ أى لا تهاجروا ويولي كل واحد منكم صاحبه دبر وجهه ٠٠ قال الشاعر

وأوصي أبو قيس بأن تتواصلوا ... وأوصي أبوكم وبحكم أن تدابروا

فكأنه قال عليه الصلاة والسلام لا تمادحوا ولا تتواصلوا بالمدح الذى ليس بمستحق ولا تهاجروا وتتقاطعوا ٠٠ فأما قوله عليه الصلاة والسلام ـ كل المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه ـ فقد ذهب قوم الى أن عرض الرجل انما هو سلفه من آبائه وأمهاته وما جرى مجراهم وذهب ابن قتيبة الى أن عرض الرجل عرض نفسه واحتج بحديث النبي صلى الله عليه وسلم حين ذكر أهل الجنة فقال لا يبولون ولا يتغوطون انما هو عرق يجري من اعراضهم مثل المسك أى من ابدانهم قال ومنه قول أبي الدرداء أقرض من عرضك اليوم من قد لك أراد من شتمك فلا تشتمه ومن ذكرك بسوء فلا تذكره به ودع ذلك قرضاً لك عليه ليوم الجزاء والقصاص ٠٠ واحتج أيضاً بحديث الحسن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال أيعجز أحدكم أن يكون كأبي ضمضم كان اذا خرج من منزله قال اللهم إني قد تصدقت بعرضي على عبادك قال فمعناه قد تصدقت بنفسي وأحللت من يغتابني فلو كان العرض الاسلاف ماجاز أن يحل من سب الموتى لان ذلك اليهم لا اليه ٠٠ قال ويدل على ذلك أيضاً حديث سفيان بن عيينة لو أن رجلا أصاب من عرض رجل شيئاً ثم تورع من بعده فجاء الى ورثته بعد موته فأحلوه لم يكن ذلك

كفارة له ولو أصاب من ماله شيئاً ثم دفعه الى ورثته لكنا نرى ان ذلك كفارة له قال ويدل على ان عرض الرجل نفسه قول حسان

هجوتَ محمّدًا فأجبتُ عنهُ ... وعندَ اللهِ في ذاكَ الجزاءُ[1]

فإنَّ أبي ووالدهُ وعِرضي ... لعرضِ محمّدٍ منكُمْ وقاءُ

أتهجوهُ ولستَ لهُ بكُفءٍ ... فشرُّكُما لخيركُما الفداءُ

أراد ان أبي وجدّي ونفسي وقاء لنفس محمد صلى الله عليه وسلم .. وقال آخرون وهو الصحيح العرض موضع المدح والذّم من الرّجل فاذا قيل ذكر عرض فلان فمعناه ذكر ما يرتفع به أو ما يسقط بذكره ويمدح أو يذم به وقد يدخل في ذلك ذكر الرجل نفسه وذكر آبائه وأسلافه لان كل ذلك مما يمدح به ويذم والذي يدل على هذا ان أهل اللغة لا يفرقون في قولهم شتم فلان عرض فلان بين أن يكون ذكره في نفسه بقبيح الأفعال أو شتم سلفه وأباه ويدل عليه قول مسكين الدارمي

ربَّ مهزُولٍ سمينٍ عرضهُ ... وسمينِ الجسمِ مهزُولِ الحسبْ[2]

---

(١) روي انه لما انتهى الى هذا البيت قال له النبي صلى الله عليه وسلم جزاؤك على الله الجنة يا حسان ولما انتهى الى قوله * فان أبي ووالده وعرضي * الخ قال صلى الله عليه وسلم وقاك الله يا حسان حر النار ولما انتهى الى قوله * أتهجوه ولست له بكفء * الخ قال من حضر هذا أنصف بيت قالته العرب .. وقوله ـ فشركما لخيركما الفداء ـ قال السهيلي في ظاهر هذا اللفظ شناعة لأن المعروف أن لا يقال هو شرهما إلاّ وفي كلاهما شر وكذلك خير مثله ولكن سيبويه قال تقول مررت برجل شر منك اذا نقص عن أن يكون مثله وهذا يدفع الشناعة عن الكلام الأول ونحو منه قوله عليه الصلاة والسلام شر صفوف الرجال آخرها يريد نقصان حظهم عن حظ الصف الأول كما قال سيبويه ولا يجوز أن يريد التفضيل في الشر والله أعلم

(٢) ذكر أبو علي القالي العرض بأنواعه فتركنا كل ما لا تعلق له بموضع البحث

فلو كان العرض نفس الانسان لكان الكلام متناقضاً لان السمن والهزل يرجعان الى

فقال والعرض أيضاً ما ذم من الانسان أو مدح يقال فلان نقي العرض أى هو بريء من أن يشتم أو يعاب واختلف فيه فقال أبو عبيدة عرضه آباؤه وأسلافه وخالفه ابن قتيبة فقال عرضه جسده واحتج بحديث النبي صلى الله عليه وسلم فى صفة أهل الجنة لا يبولون ولا يتغوطون انما هو عرق يجرى من اعراضهم مثل المسك يعنى من أبدانهم ونصر شيخنا أبو بكر بن الانباري أبا عبيدة فقال ليس هذا الحديث حجة له لان الاعراض عند العرب المواضع التى تعرق من الجسد قال والدليل على غلط ابن قتيبة فى هذا التأويل وصحة تأويل أبي عبيدة قول مسكين الدارمى

رب مهزول سمين عرضه وسمين الجسم مهزول الحسب

فمعناه رب مهزول البدن والجسم كريم الآباء قال وأما احتجاجه ببيت حسان بن ثابت

فان أبي ووالده وعرضي لعرض محمد منكم وقاء

في أن العرض الجسم فليس كما ذكر لان معناه فان أبي ووالده وآبائي فأتى بالعموم بعد الخصوص ذكر الأب ثم جمع الآباء كما قال الله جل وعز (ولقد آتيناك سبعاً من المثانى والقرآن العظيم) فخص السبع ثم أتي بالقرآن العام بعد ذكره إياها والذي قاله ابن قتيبة قد قاله غيره ويمكن أن ينصر ابن قتيبة بيت مسكين ومعناه رب مهزول الجسم سمين الحسب أي عظيم الشرف وسمين الجسم مهزول الحسب أى ضعيف الشرف اه قلت وبعد بيت مسكين المتقدم

أكسبته الورق البيض أباً ولقد كان ولا يدعي لأب

ـ الورق ـ بفتح الواو وكسر الراء وهي الدراهم المضروبة وكذلك الرقة والهاء عوض عن الواو وقوله ـ ولا يدعى لأب ـ أى ولا ينتسب من الدعوة بكسر الدال .. المعنى انه كان مجهول النسب ولم يكن له أب يدعي اليه فلما أعطي مالا ظهر له نسب واشتهر له أب يدعى اليه .. وقوله ـ ولقد كان ـ الواو للحال واللام للتأكيد وقد للتحقيق وكان تامة فلا تحتاج الى خبر .. وقوله ـ ولا يدعى لأب ـ جملة وقعت حالا أيضاً وهى مضارع منفى جاء بالواو وهو قليل والأكثر مجيئه بلا واو

شيء واحد وانما أرادت مهزول كريمة أفعاله أو كريم آباؤه وأسلافه .. وقد قال ابن عبدل الأسدي

وَإِنِّي لأَسْتَغْنِي فَمَا أَبْطَرُ الغِنَى ... وأُبْذَلُ مَيْسُورِي لِمَنْ يَبْتَغِي قَرْضِي

واعْسِرُ أَحْيَانًا فَتَشْتَدُّ عُسْرَتِي ... وأُدْرِكُ مَيْسُورَ الغِنَى وَمَعِي عِرْضِي

ولا يليق ذلك إلا بما ذكرناه .. [قال الشريف المرتضي] رضي الله عنه وجدت أبا بكر ابن الانباري قد رد على ابن قتيبة هذا وطعن على ما احتج به فقال في الحديث المروي عنه عليه الصلاة والسلام في وصف أهل الجنة ان المراد بالاعراض مغابن الجسد .. وحكى عن الأموي انه قال الاعراض المغابن التي تعرق من الجسد نحو الابطين وغيرهما وقال في حديث أبي الدرداء معناه من عابك وذكر أسلافك فلا تجازه ليكون الله تعالى هو المثيب لك .. وقال في قول أبي ضمضم معناه انه أحل من أوصل اليه أذى بذكره وذكر آبائه فلا يحل إلا من أمره اليه .. وقال في قول حسان المراد بعرضه أيضاً أسلافه فكأنه قال ان أبي ووالده وجميع أسلافي الذين أمدح وأذم من جهتهم وقاءله عليه الصلاة والسلام فأتى بالعموم بعد الخصوص كما قال الله تعالى (ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم) فأتى بالعموم بعد الخصوص ولم أجده ذكر في خبر سفيان ابن عيينة شيئاً وتأويله يقرب من تأويل خبر أبي ضمضم لأن من آذى رجلا بسبه في نفسه أو سب سلفه وأدخل عليه بذلك وضعاً ونقصاً لم يكن الى ورثته بعد موته الاحلال من ذلك لأن الأذى لم يدخل عليهم ولو كان داخلا عليهم أيضاً مع دخوله على المسبوب لكان إحلالهم مما يرجع الى غيرهم لم يصح على ان الاحلال من الضرر وسقوط العوض المستحق عليه وهل يسقط باسقاط مستحقه أم لا فيه كلام ليس هذا موضعه وقد ذكرناه في مواضع .. وبعد فلو سلم لابن قتيبة ان المراد بالعرض في كل المواضع التي ذكرناها النفس دون السلف أو سلم له ذلك في بيت حسان خاصة فانه أقرب الى أن يكون المراد به ما ذكره لم يقدح فيما ذكرناه لانا لم نقل ان العرض مقصور على سلف الاسلام بل ذكرنا انه موضع الذم والمدح من الانسان ولا فرق

بين سلفه ونفسه فكيف يكون الاحتجاج بما المراد بالعرض فيه النفس طعناً علينا وانما ينفع ابن قتيبة أن يأتي بما يدل على ان العرض لا يستعمل إلاّ في النفس دون السلف وكل شيء ورد مما المراد بالعرض فيه النفس أو المراد به السلف فهو مؤكد لقولنا في ان هذه اللفظة مستعملة في موضع الذم والمدح من الانسان وانما يكون ما استشهدنا به وما جرى مجراه مما يدل على استعمال لفظة العرض في السلف حجة على ابن قتيبة لانه قصر معناها على النفس والذات دون السلف وهذا واضح بحمد الله .. أخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال حدثنا محمد بن الحسن بن دريد قال أخبرنا أبو حاتم قال كان أبو عبيدة معمر بن المثنى صفرياً وكان يكتم ذلك فأنشد لعمران بن حطان [1]

أنكرت بعدك من قد كنت أعرفه ... ما الناس بعدك يا مرداس بالناس

إما تكن ذقت كأساً دار أولها ... على القرون فذاقوا نهلة الكاس

قد كنت أبكيك حيناً ثم قد يئست ... نفسي فما ردّ عني عبرتي ياسي

وأخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال حدثنا ابن دريد قال حدثنا الاسناباذاني قال قال الثوري كنت اذا أردت ان أبسط أبا عبيدة ذكرته بأخبار الخوارج فابتهج منه بهج بحر جثته يوماً وهو مطرق ينكت في الأرض في صحن المسجد وقد قربت منه الشمس

---

(١) وهو أحد بني ذهل بن ثعلبة وكان رأس القعدة من الصفرية وخطيبهم وشاعرهم وهذه الأبيات يرثي بها أبا بلال وهو مرداس بن أدية وهي جدته وأبوه حدير وهو أحد بني ربيعة بن حنظلة ورواية أبي العباس

يا عين بكي لمرداس ومصرعه ... يارب مرداس اجعلني كمرداس

تركتني هائماً أبكي لمرزأتي ... في منزل موحش من بعد إيناس

أنكرت بعدك من قد كنت أعرفه ... ما الناس بعدك يا مرداس بالناس

إنما شربت بكأس دار أولها ... على القرون فذاقوا جرعة الكاس

فكل من لم يذقها شارب عجلا ... منها بأنفاس ورد بعد أنفاس

فسلمت عليه فلم يرد فتمثلت

وَما لِلْمَرْءِ خَيْرٌ في حَيَاةٍ ... إِذَا ماعُدَّ مِنْ سَقَطِ المَتَاعِ

والبيت لقطري بن الفجاءة فنظر اليَّ ثم قال ويحك أتدري من يقوله قلت قطري قال اسكت فض الله فاك فإلاّ قلت أمير المؤمنين أبو لعامة ثم انتبه فقال اكتمها عليَّ يانوري فقلت هي ابنة الأرض فأنشدني

أَقُولُ لَها وَقَدْ جاشَتْ حَياءً ... مِنَ الأَبْطالِ وَيْحَكِ لاَ تُرَاعِي

فَإِنَّكِ لَوْ طَلَبْتِ حَياةَ يَوْمٍ ... عَلى الأَجَلِ الَّذِي لَكِ لَنْ تُطَاعِي

فَصَبْرًا في مَجَالِ المَوْتِ صَبْرًا ... فَما نَيْلُ الخُلُودِ بِمُسْتَطَاعِ

وَما طُولُ الحَياةِ بِثَوْبِ مَجْدٍ ... فَيُطْوَى عَنْ أَخِي الخَنَعِ اليَرَاعِ

سَبِيلُ المَوْتِ مَنْهَجُ كُلِّ حَيٍّ ... وَدَاعِيهِ لأَهْلِ الأَرْضِ دَاعِي

وَمَنْ لَمْ يَغْتَبِطْ يُسْأَمْ وَيَهْرَمْ ... وَيُفْضِ بِهِ القَضاءُ إِلى انْقِطَاعِ

وَما لِلْمَرْءِ خَيْرٌ في حَيَاةٍ ... إِذَا ماعُدَّ مِنْ سَقَطِ المَتَاعِ[1]

---

(١) رواية الحماسة

أقول لها وقد طارت شعاعاً ... من الأبطال ويحك لن تراعي

فإنك لو سألت بقاء يوم ... على الأجل الذى لك لم تطاعى

فصبراً في مجال الموت صبراً ... فما نيل الخلود بمستطاع

وما ثوب الحياة بثوب عز ... فيطوى عن أخى الخنع اليراع

سبيل الموت غاية كل حى ... فداعيه لأهل الأرض داعى

ومن لا يغتبط يسأم ويهرم ... وتسلمه المنون الى انقطاع

وما للمرء خير فى حياة ... اذا ما عُدَّ من سقط المتاع

فكتبتها وقت لأنصرف فقال اقعد ثم أنشدني

إلى كم تُغازيني السُّيوفُ ولا أَرَى ... مُغازاتِها تدعُو إليَّ حمامِيا
أُقارِعُ عن دارِ الخُلودِ ولا أَرَى ... بقاءً على حالٍ لمَنْ ليسَ باقِيا
ولو قَرَّبَ الموتَ القِراعُ لقَدْأتى ... لموتِيَ أنْ يدنُو لطُولِ قِراعِيا
أُغادِي جِلادَ المُعلَمِين كأنَّني ... على العَسَلِ الماذِيِّ أصبحُ غادِيا
وأدعُو الكُماةَ للنِّزالِ إذا القَنا ... تحطَّمَ فيما بيننا من طعانِيا
ولستُ أرَى نفسًا تموتُ وإنْ دَنَتْ ... من الموتِ حتَّى يبعثَ اللهُ داعِيا

فقال ابن دريد وهذا الشعر أيضاً لقطري .. أخبرنا أبو الحسن علي بن محمد الكاتب قال أخبرنا ابن دريد قال أخبرنا أبو حاتم قال جئت أبا عبيدة يوماً ومعي شعر عروة بن الورد فقال قارئ حمل شعر فقير ليقرأه على فقير فقلت مامعي غيره فأنشدني أنت ماشئت فأنشدني

يارُبَّ ظِلِّ عُقابٍ قد وقيتُ بهِ ... مُهرِي من الشَّمسِ والأبطالُ تجتلدُ
ورُبَّ يومٍ حمى أرعَى عقوبَتَهُ ... خيلي اقتسارًا وأطرافُ القنا قُصُدُ
ويومِ لهوٍ لأهلِ الخفضِ ظلَّ بهِ ... لهوِي اصطلاءَ الوغا إذ نارُهُ تقِدُ
مُشهَّرًا موقِفي والحربُ كاشفةٌ ... عنها القِناعَ وبحرُ الموتِ يطَّرِدُ
ورُبَّ هاجِرةٍ تغلي مراجِلُها ... صخرتُها بعطايا غارةٍ تخِدُ
تجتابُ أودِيةَ الأفزاعِ آمنةً ... كأنَّها أُسُدٌ يقتادُها أسَدُ

فإنْ أمُتْ حتفَ نفسي لا أمُتْ كمَدًا
على الطِّعانِ وقصرُ العاجزِ الكمِدُ
ولم أقلْ لمِساقِ القتلِ شاربَهُ ... في كأسِهِ والمنايا تُرَّعٌ وُرُدُ

ثم قال لي هذا الشعر لا ما تعلاون به نفوسكم من أشعار المحانيث والشعر لقطري ..
أخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال حدثنا محمد بن الحسن بن دريد قال أخبرنا أبو حاتم قال كان أبو عبيدة يأنس إليّ في أول ما اختلفت اليه ويسألني عن خوارج سجستان لانه كان يظنني على رأيهم وكنت أوهمه أني منهم فسألني منه لذلك عناية خاصة فكان كثيراً ينشدني أشعارهم ثم يمثل

أولئك قومٌ إنْ بَنَوا أحسنُوا البِنَا ... وإنْ عاهَدُوا أوْفَوا وإنْ عَقَدُوا شَدُّوا

قال وأنشدني يوماً لرجل من طيء من الخوارج

لا كابنِ مُلجانَ منْ شارٍ أخي ثِقَةٍ ... أوْ كابنِ علقمةَ المُستَشْهِدِ الشَّارِي
منْ صادقٍ كُنْتُ أصفيهِ مُخالَصتي ... فباعَ داري بأغلَى صَفْقةِ الدَّارِ
إخوانُ صِدْقٍ أُرَجِّيهِمْ وأحذَرُهُمْ ... أشكُو إلى اللهِ إخوَاني وإحذَارِي
فصِرْتُ صاحِبَ دُنيا أستُ أملِكُها ... وصارَ صاحِبَ جَنَّاتٍ وأنهارِ

مجلس آخر ٤٩

[تأويل آية] .. إن سأل سائل عن قوله تعالى ﴿وقالت اليهود يد الله مغلولة غُلّتْ أيديهم ولُعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان﴾ .. فقال ما اليد التي أضافتها اليهود الى الله تعالى وادّعوا انها مغلولة فما ترى ان عاقلا من اليهود ولا غيرهم يزعم ان لربه يداً مغلولة واليهود تتبرأ من أن يكون منها قائل بذلك وما معنى الدعاء عليهم بغلت أيديهم وهو تعالى ممن لا يصح أن يدعو على غيره لانه تعالى قادر على أن يفعل ما يشاء وانما يدعو الداعي بما لا يتمكن من فعله طلباً له .. الجواب قلنا يحتمل أن يكون قوم من اليهود وصفوا الله تعالى بما يقتضي تناهي مقدوره فجرى ذلك مجرى أن يقولوا ان يده مغلولة لان عادة الناس جارية بان يعبروا بهذه العبارة عن هذا المعنى فيقولون يد فلان منقبضة

عن كذا وكذا ويده لا تنبسط الى كذا اذا أرادوا وصفه بالفقر والقصور ويشهد بذلك قوله تعالى في موضع آخر (لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن أغنياء) ثم قال تعالى مكذباً لهم (بل يداه مبسوطتان) أي انه لا يعجزه شئ وثنى اليدين تأكيداً للأمر وتفخيماً له ولان ذلك أبلغ فى المعنى المقصود من أن يقول بل يده مبسوطة .. وقد قيل أيضاً ان اليهود وصفوا الله تعالى بالبخل واستبطؤا فضله ورزقه وقيل انهم قالوا على سبيل الاستهزاء ان إله محمد الذي أرسله يداه الى عنقه إذ ليس يوسع عليه وعلى أصحابه فرد الله قولهم وكذبهم بقوله (بل يداه مبسوطتان) واليد ههنا الفضل والنعمة وذلك معروف فى اللغة متظاهر فى كلام العرب وأشعارهم ويشهد بذلك من الكتاب قوله تعالى (ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط) ولا معنى لذلك إلا الأمر بترك امساك اليد عن النفقة فى الحقوق وترك الاسراف الى القصد والتوسط ويمكن أن يكون الوجه فى تثنية النعمة من حيث أريد بها نعم الدنيا ونعم الآخرة لان الكل وان كانت نعماً لله فمن حيث اختص كل واحد من الأمرين بصفة تخالف صفة الآخر صارا كأنهما جنسان وقبيلان ويمكن أيضاً أن يكون فى تثنية النعمة لانه أريد بها النعم الظاهرة والباطنة .. فأما قوله تعالى (غُلَّتْ أيديهم) ففيه وجوه .. أولها أن لا يكون ذلك على سبيل الدعاء بل على وجه الاخبار منه عز وجل عن نزول ذلك بهم وفى الكلام ضمير وقد قيل قوله (غُلَّتْ أيديهم) وموضع غُلَّت نصب على الحال كأنه تعالى قال وقالت اليهود كذا وكذا فى حال ماغل الله تعالى أيديهم ولعنهم أو حكم بذلك فيهم ويسوغ إضمار قد ههنا كما ساغ فى قوله عز وجل (إن كان قميصه قُدَّ من قبل فصدقت وهو من الكاذبين وان كان قميصه قُدَّ من دبر فكذبت) والمعنى فقد صدقت وقد كذبت .. وثانيها أن يكون معنى الكلام وقالت اليهود يد الله مغلولة فغلت أيديهم أو وغلت أيديهم فأضمر تعالى الفاء والواو لان كلامهم تم واستؤنف بعده كلام آخر ومن عادة العرب أن تحذف فيما يجري مجرى هذا الموضع من ذلك قوله تعالى (وإذ قال موسى لقومه ان الله يأمركم أن تذبحوا بقرة قالوا أتتخذنا هزواً) أراد فقالوا أتتخذنا هزواً فأضمر تعالى الفاء لتمام كلام موسى عليه الصلاة والسلام

ومنه قول الشاعر

لمَّا رَأَيْتُ نَبَطا أَنْصَارَا شَمَّرْتُ عنْ رُكْبَتِيَ الإِزَارَا

كُنْتُ لَهَا منَ النَّصارَى جارَا

أراد وكنت لهـا فأضمر الواو .. وثالثها أن يكون القول خرج مخرج الدعاء إلاّ أن معناه التعليم من الله تعـالى لنا والتأديب فكأنه تعالى وقفنا على الدعاء عليهـم وعلمنا ما ينبغى أن نقول فيهم كما علمنا الاستثناء فى غير هـذا الموضع بقوله (لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين) وكل ذلك واضح والمنّة لله

[تأويل خبر].. ان سأل سائل عن الخبر الذي روى عنه عليه الصلاة والسلام انه قال لعن الله السارق يسرق البيضة فتقطع يده ويسرق الحبل فتقطع يده .. الجواب قلنا قد تعلق بهذا الخبر صنفان من الناس فالخوارج تتعلق به وتدعى ان القطع يجب فى القليـل والكثير ويستشهد على ذلك بظاهر قوله تعالى (والسارق والسـارقة فاقطعوا أيديهـما) ويتعلق بهذا الخـبر أيضاً الملحدة والشكاك ويدعون انه مناقض للرواية المتضمنة انتفاء القطع إلاّ فى ربع دينار ونحن نذكر ما فيه .. فأول ما نقوله ان الخبر مطعون فيه عند أصحاب الحديث وعلى اسناده أيضاً طعن وقد حكى ابن قتيبة فى تأويله وجهاً عن يحيى بن أكثم طعن عليه وضعفه وذكر عن نفسه وجهاً آخر نحن نذكرهما وما فيهـما ونتبعهما بما نختاره .. قال ابن قتيبـة كنت حضرت يوماً مجلس يحيى بن أكثم بمكة فرأيته يذهب الى ان البيضة فى هذا الحديث بيضة الحديد التى تغفر الرأس فى الحرب وان الحبل من حبال السـفن قال وكل واحد من هـذين يبلغ ثمنه دنانير كثيرة .. قال ورأيته يعجب بهذا التأويل ويبدى فيه ويعيد ويرى انه قطع بهحجة الخصم .. قال ابن قتيبة وهـذا انما يجوز على من لا معرفة له باللغة ومخارج الكلام وليس هذا موضع تكثير لما يأخـذه السارق فيصرفه الى بيضة تساوى دنانير وحبل لا يقدر السارق على حمله ولا من عادة العرب والعجم أن يقولوا قبح الله فلاناً عرض نفسه للضرر فى عقد جوهر وتعرض لعقوبة الغلول فى جراب مسك وانما العادة جارية

بان يقال لعنه الله تعرض لقطع اليد فى حبل رث أو أداوة خلق أو كبة شعر فكل ما كان من ذلك حقيراً كان أبلغ .. قال والوجه في الحديث ان الله تعالى لما أنزل على رسوله صلى الله عليه وسلم (والسارق والسارقة) الآية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن الله السارق يسرق البيضة فتقطع يده على ظاهر ما أنزل عليه في ذلك الوقت ثم أعلمه الله تعالى بعدُ ان القطع لا يكون إلاّ في ربع دينار فما فوقه ولم يكن عليه الصلاة والسلام يعلم من حكم الله تعالى إلاّ ما أعلمه الله تعالى ولا كان الله يعرفه ذلك جملة بل يبين له شيئاً بعد شيء .. [قال المرتضى] رضى الله عنه ووجدت أبا بكر الانبارى يقول ليس الذى ذكر ابن قتيبة على تأويل الخبر بشيء قال لأن البيضة من السلاح ليست عملاً في كثرة الثمن ونهاية علو القيمة فتجري مجرى العقد من الجوهر والجراب من المسك الذين يساويا الألوف من الدنانير والبيضة من السلاح ربما اشتريت بأقل مما يجب فيه القطع وانما أراد عليه الصلاة والسلام انه يكتسب قطع يده بما لا غناء له به لان البيضة من السلاح لا يستغنى بها أحد والجوهر والمسك فى اليسير منهما غناء .. [قال الشريف المرتضى] رضى الله عنه والذى نقوله ان ماطعن به ابن الانباري على كلام ابن قتيبة متوجه وليس فى ذكر البيضة والحبل تكثير كما ظن فيشبه العقد والجراب من المسك غير انه يبقى فى ذلك أن يقال أي وجه لتخصيص البيضة والحبل بالذكر وليس هما النهاية فى التقليل وان كان كما ذكره ابن الانبارى من ان المعنى انه ليسرق مالا يستغنى به فليس ذكر ذلك بأولى من غيره فلا بد من ذكر وجه في ذلك .. وأما تأويل ابن قتيبة فباطل لان النبى عليه الصلاة والسلام لا يجوز أن يقول ما حكاه عند سماع قوله تعالى (والسارق والسارقة) لان الآية مجملة مفتقرة الى بيان ولا يجوز أن يحملها أو يصرفها الي بعض محتملاتها دون بعض بلا دلالة على ان أكثر من قال ان الآية مجملة وان ظاهر القول يقتضي العموم ويذهب الي ان تخصيصها بسارق دون سارق لم يتأخر عن حال الخطاب بها فكيف يصح ما قاله ابن الانباري ان الآية تقدمت ثم تأخر تخصيص السارق ولو كان ذلك كما ظن لكان المتأخر ناسخاً للأول وعلى تأويله هذا يقتضى أن يكون كل الخبر منسوخاً واذا أمكن تأويل أخباره عليه الصلاة والسلام على مالا يقتضى

رفع أحكامها واسخها كان أولى .. والأشبه أن يكون المراد بهذا الخبران السارق يسرق الكثير الجليل فتقطع يده ويسرق الحقير القليل فتقطع يده فكأنه تعجيز له وتضعيف لاختياره من حيث باع يده بقليل الثمن كما باعها بكثيره .. وقد حكى أهل اللغة ان بيضة القوم وسطهم وبيضة الدار وسطها وبيضة السنام شحمته وبيضة السيف معظمه وبيضة البلد الذى لا نظير له وان كان قد يستعمل ذلك في المدح والذم على سبيل الاضداد واذا استعمل فى الذم فمعناه ان الموصوف بذلك حقير مهين كالبيضة التى تفسدها النعامة فتتركها ملقاة ولا تلتفت اليها فمما جاء من ذلك في المدح قول أخت عمرو ابن عبد ود ترثيه [1] وتذكر قتل أمير المؤمنين عليه السلام إياه وقيل ان الأبيات لامرأة من العرب غير أخته

لَوْ كانَ قاتِلُ عَمْرٍو غيرَ قاتِلِهِ ... لَكُنْتُ أَبْكِي عليهِ آخِرَ الأَبَدِ

لَكِنَّ قاتِلَهُ مَنْ لا يُعابُ بِهِ ... قَدْ كانَ يُدْعَى قَدِيماً بَيْضَةَ البَلَدِ

---

(١) عمرو بن عبد ود هذا من بني عامر بن لؤى خرج فى فرسان من قريش منهم عكرمة بن أبي جهل وهبيرة بن أبي وهب ونوفل بن عبد الله وضرار بن الخطاب فى غزوة الخندق فتيمموا مكاناً من الخندق ضيقاً فضربوا خيولهم فاقتحمت منه فجالت بهم في السبخة بين سلع والخندق وخرج علىّ بن أبي طالب رضى الله عنه في نفر من المسلمين حتى أخذ عليهم الثغرة التى اقتحموا منها خيلهم فقال لعمرو بن عبد ود يا عمرو إنك كنت تعاهد الله أن لا يدعوك رجل من قريش الى خلتين إلاّ أخذت منه احداهما قال أجل قال له علىّ فإني أدعوك الى الله عزوجل والى رسوله والى الاسلام قال لا حاجة لي بذلك قال فإني أدعوك الى النزال قال ولم يا بن أخي فوالله ما أحب أن أقتلك قال علىّ ولكنى والله أحب أن أقتلك فحمى عمرو عند ذلك فاقتحم عن فرسه فعقره أو ضرب وجهه ثم أقبل على علىّ فتنازلا وتجاولا فقتله علىّ عليه السلام وخرجت خيله منهزمة حتى اقتحمت من الخندق هاربة وقتل مع عمرو منبه بن عثمان الدارى ونوفل بن عبد الله بن المغيرة

وقال آخر في المدح

كانَتْ قُرَيْشا بَيْضَةٌ فَتَفَلَّقَتْ ... فالمُخُّ خالِصَةٌ لِعَبْدِ مَنافِ

وقال آخر في الذم

تَأْبى قُضاعَةُ أَنْ تَعْرِفَ لَكُمْ نَسَبا ... وابْنا نِزارٍ فأَنْتُمْ بَيْضَةُ البَلَدِ

أراد أن تعرف فأسكن .. وقال آخر في ذلك

لَكِنَّهُ حَوْضٌ مِنْ أُودَى بِإِخْوَتِهِ ... رَيْبُ الزَّمانِ فأَمْسى بَيْضَةَ البَلَدِ (١)

فقد صار معنى البيضة كله يعود الى التفخيم والتعظيم .. وأما الجبل فيذكر على سبيل المثل والمراد المبالغة في التحقير والتقليل كما يقول القائل ما اعطاني فلان إلاّ عقالا وما ذهب من فلان عقال ولا تساوى كذا نقيراً كل ذلك على سبيل المثل والتقليل وليس الغرض بذكر الجبل الواحد من الجبال على الحقيقة واذا كان على هـذا تأويل الخبر زال عنه المناقضة التي ظنت وبطلت شبهة الخوارج فان القطع يجب في القليل والكثير .. أخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال حدثني أبو عبيد الله الحكيمي قال حدثني يموت بن المزرع قال حدثني أبو وهب علي بن ثابت قال قال الأسمعي تصرفت بالأسباب على باب الرشيد مؤملا بالظفر به والوصول اليه حتى إني صرت لبعض حرسه خدينا فإني في ليلة قد نزت السعادة والتوفيق فيها الأرق بين أجفان الرشيد إذ خرج خادم فقال أما بالحضرة أحد يحسن الشعر فقلت الله أكبر رب قيد مضيقه قد حله التيسير فقال لي الخادم ادخل فلعلها أن تكون ليلة تفرس في صباحها بالغنى ان فزت بالحظوة عنده

---

(١) وقبله

لو كان حوض حمار ماشربت به ... إلاّ باذن حمار آخر الأبد
لكنه حوض من أودى باخوته ... ريب الزمان فأمسى بيضة البلد
لو كان يشكي الى الأموات مالقي الا ... احياء بعدهم من شدة الكمد

فدخلت فواجهت الرشيد في بهوة والفضل بن يحيى الى جانبه فوقف في الخادم بحيث يسمع التسليم فسلمت فرد عليّ السلام ثم قال يا غلام أرجه قليلا ليفرغ روعه ان كان قد وجد للروعة حساً فدنيت قليلا ثم قلت يا أمير المؤمنين إضاءة مجدك وبهاء كرمك مجيران لمن نظر اليك من اعتراض أذية فقال ادن فدنوت فقال أشاعر أم راوية فقلت راوية لكل ذى جد وهزل بعد أن يكون محسناً فقال لله ما رأيت ادعاء أعم فقلت أنا على الميدان فأطلق من عنانى يا أمير المؤمنين فقال قد أنصف القارة من راماها ثم قال ما معنى هذه الكلمة يديا قال قلت فيها قولان القارة هي الحرّة من الأرض وزعمت الرواة ان القارة كانت رماة للتبابعة والملك إذ ذاك أبو حسان فواقف عسكره عسكر السعد فخرج فارس من السعد قد وضع سهمه فى كبد قوسه فقال أين رماة العرب فقالت العرب قد أنصف القارة من راماها[1] فقال لي الرشيد أصبت ثم قال

---

(١) القارة قبيلة وهم عضل والديش أبناء الهون بن خزيمة وانما سموا قارة لالتفافهم واجتماعهم لما أراد الشداخ أن يفرقهم فى بني كنانة وقريش قال شاعرهم

دعونا قارة لاتنفرونا فنجفل مثل إجفال الظليم

وهم رماة الحدق في الجاهلية وهم اليوم فى اليمن ويزعمون ان رجلين إلتقيا أحدهما قاري والآخر أسدي فقال القاري ان شئت صارعتك وان شئت سابقتك وان شئت راميتك فقال الآخر قد اخترت المراماة فقال الأسدي قد اخترت المراماة فقال القاري قد أنصفتنى وأنشد

قد أنصف القارة من راماها إنّا اذا ما فئة نلقاها

* نرد أولاها على أخراها *

ثم انتزع له سهماً وشك فؤاده .. وانما قيل أنصف القارة من راماها فى حرب كانت بين قريش وبين بكر بن عبد مناف بن كنانة وكانت كنانة مع قريش وهم قوم رماة فلما التقى الفريقان راماهم الآخرون فقيل قد أنصفهم هؤلاء اذ ساووهم في العمل الذي هو شأنهم وصناعتهم

أتروي لرؤبة بن العجاج والعجاج شيئاً فقلت هما شاهدان لك بالقوافي وان غيبا عن بصرك بالأشخاص فأخرج من تحت فرشه رقعة ثم قال أنشدني

أَرَّقَنِي طارِقُ هَمٍّ طَرَقا

فمضيت فيها مضي الجواد في متن ميدانه تهدر بها أشداقي فلما صرت الى مديحه لبني أمية ثنيت لساني الى امتداحه للمنصور في قوله

قُلْتُ لِزِيرٍ لَم تَصِلْهُ مَزْيَمَهْ

فلما أراني قد عدلت من أرجوزة الى غيرها قال أعن حيرة أم عن عمد تركت كذبه الى صدقه فيما وصف به المنصور من مجد فقال الفضل أحسنت بارك الله عليك مثلك يؤهل لهذا المجلس فلما أتيت على آخرها قال لي الرشيد أتروي كلمة عدي بن الرقاع

عَرَفَ الدِّيارَ تَوَهُّماً فاعْتادَها

قلت نعم قال هات فمضيت فيها حتى صرت الى وصف الجمل قال لي الفضل ناشدتك الله أن تقطع علينا ما أمتعنا به الدهر من ليلتنا هذه بصفة جمل أجرب فقال له الرشيد اسكت فالابل هي التي أخرجتك من دارك واستلبت تاج ملكك ثم مائت وعملت جلودها سياطاً ثم ضربت بها أنت وقومك فقال الفضل لقد عوقبت على غير ذنب الحمد لله فقال الرشيد أخطأت الحمد لله على النعم ولو قلت أستغفر الله كنت مصيباً ثم قال لي امض في أمرك فأنشدته حتى اذا بلغت الى قوله

تُزجِي أَغَنَّ كَأَنَّ إِبْرَةَ رَوْقِهِ قَلَمٌ أَصابَ مِنَ الدَّواةِ مِدادَها

استوى جالساً ثم قال لي أتحفظ في هذا ذكراً قلت نعم ذكرت الرواة ان الفرزدق قال كنت في المجلس وجرير الى جانبي فلما ابتدأ عدي في قصيدته قلت لجرير مسرًّا اليه هلم نسخر من هذا الشامي فلما ذقنا كلامه يئسنا منه فلما قال

تُزجِي أَغَنَّ كَأَنَّ إِبْرَةَ رَوْقِهِ

وعدى كالمستريح فقال جرير اذاً تراه يستلب بها مثلا فقال الفرزدق بالكع انه يقول

قلم أصابَ منَ الدَّواةِ مِدَادَها

فقال جرير كأنّ سمعك مخبو فى صدره فقال لي اسكت شفاى سُبُك عن جيد الكلام(١) فلما بلغ الى قوله

ولقَدْ أَرَادَ اللهُ إذ ولاَّ كَبَا منْ أُمَّةٍ إصلاَحَها وَرَشَادَها

قال الأصمعى قال لي الرشيد ماتراه قال حين أنشده الشاعر هذا البيت فقلت قال كذلك أراد الله فقال الرشيد ماكان فى جلالته يقول هذا أحسبه قال ماشاء الله قال وكذا جاءت الرواية فلما أتيت على آخرها قال لى أتروي لذي الرمة شيئاً قلت الأكثر قال فماذا أراد بقوله

مُمِرٌّ أَمرَّتْ فَتْلَهُ أَسَدِيَّةٌ ذِرَاعِيَّةٌ حَلاَّلَةٌ بالمَصَانِعِ

قلت وصف حمار وحش أسمنه بقل روضة تواشجت أصوله وتشابكت فروعه عن مطر سحابة كانت بنوء الأسد فى الذراع فقال الرشيد أرخ فقد وجدناك متعاً وعرفناك محسناً ثم قال إني لأجد ملالة ونهض فأخذ الخادم بصلح عقب النعل فى رجله وكانت عربية فقال الرشيد عقرتنى ياغلام فقال الفضل قاتل الله الأعاجم أما انها لو كانت سندية لما احتجت الى هذه الكلفة فقال الرشيد هذه نعلي و نعل آبائي كم تعارض فلا تترك من جواب ثم قال ياغلام تأمر صالح الخادم بتعجيل ثلاثين ألف درهم

(١) وقال أبو العباس يروي ان جريراً دخل الى الوليد وابن الرقاع العاملي عنده ينشده القصيدة التى يقول فيها

غلب المساميحَ الوليدُ سماحة وكفى قريش المعضلات وسادها

قال جرير فحسدته على أبيات منها حتى أنشد فى صفة الظبية * تزجي أغن كأن إبرة روقه * الخ قال فقلت فى نفسى وقع والله ما يقدر أن يقول أو يشبه به قال فقال * قلم أصاب من الدواة مدادها * قال فما قدرت حسداً له أن أقيم حتى انصرفت

على هذا الرجل فى ليلته هـذه ولا يحجب فى المستأنف فقال الفضل لولا انه مجلس أمير المؤمنين ولا يأمر فيـه غيره لأمرت لك بمثل ما أمر لك به وقـد أمرت لك به إلا ألف درهم فتلقى الخادم صباحاً .. قال الأصمعي فما سليت من عقد إلاّ وفى منزلى تسعة وخمسون ألف درهم

مجلس آخر ٥٠

[تأويل آية] .. إن سأل سائل عن قوله تعالى (أللهُ وليّ الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور) .. فقال أليس ظاهر هذه الآية يقتضى انه هو الفاعل للايمان فيهم لأن النور ههنا كناية عن الايمـان والطاعات والظلمة كناية عن الكفر والمعاصي ولا معنى لذلك غير ماذكرناه واذا كان مضيف الاخراج اليه فهو الفاعل لما كانوا به خارجين وهذا خلاف مذهبكم .. الجواب قلنا إن النور والظلمة المذكوران في الآية جائز أن يكون المراد بهما الايمان والكفر وجائز أيضاً أن يراد بهما الجنة والنار والثواب والعقاب فقد تصح الكناية عن الثواب والنعيم فى الجنة بانه نور وعن العقاب فى النار بانه ظلمة فاذا كان المراد بهما الجنـة والنار ساغت اضافة اخراجهم من الظلمات الى النور اليـه تعالى لانه لا شبهة فى انه جل وعز هو المدخل للمؤمن الجنة والعادل به عن طريق النار والظاهر بما ذكرناه أشبه لانه يقتضى ان المؤمن الذى ثبت كونه مؤمناً يخرج من الظلمة الى النور ولو حمل على الايمان والكفر لتناقض المعـنى ولصار تقدير الكلام انه يخرج المؤمن الذى قد تقدم كونه مؤمناً من الكفر الى الايمان وذلك لايصح واذا كان الكلام يقتضى الاستقبال فى اخراج من ثبت كونه مؤمناً كان حمله على دخول الجنة والعدول به عن طريق النار أشبه بالظاهر على أنا لو حملنا الكلام على الايمان والكفر لصح ولم يكن مقتضياً لما توهموه ويكون وجه اضافة الاخراج اليه تعالى وان لم يكن الايمان من فعله من حيث بيّن ودل وأرشد ولطف وسهّل وقد علمنا انه لولا هذه الأمور لم يخرج المكلف من الكفر الى الايمان فيصح اضافة الاخراج اليـه تعالى لكون ما عددناه من

جهته وعلى هذا يصح من أحدنا اذا أشار على غيره بدخول بلد من البلدان ورغبه في ذلك وعرّفه ما فيه من الصلاح والنفع أو بمجانبة فعل من الأفعال أن يقول أنا أدخلت فلاناً البلد الفلاني وأنا أخرجته من كذا وانتشته منه ويكون وجه الاضافة ما ذكرناه من الترغيب وتقوية الدواعي الاترى انه تعالى قد أضاف اخراجهم من النور الى الظلمات ومن الايمان الى الطاغوت وان لم يدل ذلك على ان الطاغوت هو الفاعل للكفر في الكفار بل وجه الاضافة ماتقدم لان الشياطين يغوون ويدعون الى الكفر ويزينون فعله فتصح اضافته اليهم من هذا الوجه والطاغوت هو الشيطان وحزبه وكل عدو لله تعالى صدّ عن طاعته وأغرى بمعصيته يصح اجراء هذه التسمية عليه فكيف اقتضت الاضافة الأولى ان الايمان من فعل الله تعالى في المؤمن ولم تقتض الاضافة الثانية ان الكفر من فعل الشياطين في الكفار لولا بله المخالفين وغفلتهم .. وبعد فلو كان الأمر على ما ظنوه لما صار الله تعالى ولياً للمؤمنين وناصراً لهم على ما اقتضته الآية والايمان من فعله تعالى لا من فعلهم ولما كان خاذلا للكافرين مضيفاً لولايتهم الى الطاغوت والكفر من فعله تعالى فيهم ولما فصل بين الكافر والمؤمن في باب الولاية وهو المتولي لفعل الأمرين فيهما ومثل هذا لا يذهب على أحد ولا يعرض عنه إلاّ معاند مغالط لنفسه .. أخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال قال أبو بكر محمد بن القاسم الانباري حدثنا أحمد بن حيان قال حدثنا أبو عبد الله بن البطاح قال أخبرنا أبو عبيدة قال قال عبد الملك بن مسلم كتب عبد الملك بن مروان الى الحجاج انه لم يبق شيء من لذة الدنيا إلاّ وقد أصبت منه ولم يبق لي من لذة الدنيا إلاّ مناقلة الاخوان الأحاديث وقبلك عامر الشعبي فابعث به اليّ يحدثني فدعا الحجاج بالشعبي وجهزه وبعث به اليه وأطراه في كتابه فخرج الشعبي حتى اذا كان ببابه عبد الملك قال للحاجب استأذن لي قال ومن أنت قال عامر الشعبي قال حيّاك الله ثم نهض وأجلسه على كرسيه فلم يلبث أن خرج الحاجب اليه فقال ادخل قال فدخلت فاذا عبد الملك جالس على كرسي وبين يديه رجل أبيض الرأس واللحية على كرسي فسلمت فرد السلام ثم أومأ اليّ بقضيبه فقعدت عن يساره ثم أقبل على الذي بين يديه فقال ويحك من أشعر الناس قال أنا يا أمير المؤمنين

فأظلم عليّ مابيني وبين عبد الملك ولم أصبر ان قلت ومن هذا يا أمير المؤمنين الذى يزعم انه أشعر الناس فعجب عبد الملك من عجلتي قبل أن يسألني عن حالي ثم قال هذا الأخطل فقلت يا أخطل أشعر منك الذي يقول

هذا غلامٌ حسنٌ وجهُهُ ... مُقتبلُ الخيرِ سريعُ التمامْ
للحارث الأكبرِ والحارثِ الأصغرِ والحارثِ خيرِ الأنامْ
خمسةٌ آباؤهمُ ماهمُ هُمْ ... خيرُ من يشربُ صوبَ الغمامْ(١)

فقال عبد الملك ردّدها عليّ فرددتها حتى حفظها فقال الأخطل من هذا يا أمير المؤمنين فقال هذا الشعبي قال صدق والله النابغة أشعر منى .. قال الشعبي ثم أقبل عليّ عبد الملك فقال كيف أنت يا شعبي قلت بخير لا زلت به ثم ذهبت لأصنع معاذيري لما كان من خلافي على الحجاج مع عبد الرحمن بن محمد الأشعث فقال مه فانا لا نحتاج الى هذا المنطق ولا نراه مما في قول ولا فعل حتى تفارقنا ثم أقبل عليّ فقال ماتقول فى النابغة قلت يا أمير المؤمنين قد فضله عمر بن الخطاب في غير موطن على جميع الشعراء وذلك انه خرج يوماً وبابه وفد غطفان فقال يامعاشر غطفان أى شعرائكم الذى يقول

حلفتُ فلم أترُكْ لنفسكَ ريبةً ... وليسَ وراءَ اللهِ للمرءِ مذهبُ
ألمْ ترَ أنَّ اللهَ أعطاكَ سورةً ... ترى كلَّ ملكٍ دونها يتذبذبُ
لأنكَ شمسٌ والملوكُ كواكبٌ ... إذا طلعتْ لم يبدُ منهنَّ كوكبُ
لئنْ كنتَ قد بُلِّغتَ عنّي خيانةً ... لمبلغُكَ الواشي أغشُّ وأكذبُ
ولستَ بمستبقٍ أخاً لا تلمُّهُ ... على شعثٍ أيُّ الرجالِ المهذَّبُ

(١) وروى ان الشعبي لما أنشد هذه الأبيات قال الأخطل ان أمير المؤمنين انما سألني عن أشعر أهل زمانه ولو سألني عن أشعر أهل الجاهلية لكنت حرياً أن أقول كما قلت

قالوا النابغة قال فأيكم الذي يقول

فإنك كاللَّيلِ الذي هُوَ مُدْرِكي ... وإنْ خِلْتُ أنَّ المُنْتأى عنكَ واسعُ
خطاطيفُ جُحْنٍ في حِبالٍ متينةٍ ... تَمُدُّ بها أيدٍ إليكَ نَوازِعُ

قالوا النابغة قال أيكم الذي يقول

إلى ابنِ مُحَرِّقٍ أَعْمَلْتُ رَحْلي ... وَرَاحِلَتي وقَدْ هَدَتِ العُيُونُ
أَتَيتُكَ عارِيا خَلَقاً ثِيابي ... على خَوْفٍ تُظَنُّ بيَ الظُّنُونُ
فأَلْفيتِ الأَمانَةَ لم تَخُنْها ... كذَلِكَ كانَ نُوحٌ لا يَخُونُ

قالوا النابغة قال هذا أشعر شعرائكم .. ثم أقبل عبد الملك على الأخطل فقال أتحب ان لك قياساً بشعرك شعر أحد من العرب أو تحب إنك قلته فقال لا والله إلاّ أني وددت أني كنت قلت أبياتاً قالها رجل منّا كان والله مغدف القناع قليل السماع قصير الذراع قال وما قال فأنشده

إنّا مُحَيُّوكَ فاسْلَمْ أيُّها الطَّلَلُ ... وإنْ بَلِيتَ وإنْ طالَتْ بكَ الطِّيَلُ
ليسَ الجَديدُ بهِ تبقى بشاشتهُ ... إلاّ قَليلاً ولا ذُو خُلَّةٍ يَصِلُ
والعَيْشُ لا عَيْشَ إلاّ ما تَقَرُّ بهِ ... عَيْنٌ ولا حالَ إلاّ سَوْفَ يَنْتَقِلُ
إنْ تَرْجِعي عنْ أَبي عُثْمانَ مُنْجِحةً ... فقَدْ يَهُونُ على المُسْتَنْجِحِ العَمَلُ (١)

(١) أبو عثمان هو عبد الواحد بن الحارث بن الحكم بن أبي العاصي بن عبد شمس بن عبد مناف .. وقال مصعب الزبيري هو عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك وكان عبد الواحد والياً في المدينة لمروان بن محمد هكذا في خزانة الأدب وهذا الأخير لا يخفى انه غلط لأن القصة وقعت مع عبد الملك بن مروان بنفسه فكيف يكون عبد الواحد والياً لابن ابنه ومروان بن محمد أيضاً هو آخر ملوك بني أمية ومن القصيدة

أهل المدينة لا يحزنك شأنهم ... اذا تخطّأ عبدَ الواحد الأجل

والنَّاسُ مَنْ يَلْقَ خَيْرًا قَائِلُونَ لَهُ ... مَا يَشْتَهِي وَلَأُمِّ المُخْطِلِ الْهَبَلُ
قَدْ يُدْرِكُ المُتَأَنِّي بَعْضَ حَاجَتِهِ ... وَقَدْ يَكُونُ مَعَ المُسْتَعْجِلِ الزَّلَلُ

قال الشعبي فقلت قد قال القطامي أفضل من هذا قال وما قال قلت قال

طَرَقَتْ جَنُوبُ رِحَالَنَا مِنْ مَطْرِقٍ ... مَا كُنْتُ أَحْسِبُهُ قَرِيبَ المَعْنَقِ (١)

أما قريش فان تلقاهم أبداً ... إلاّ وهم خير من يحفى وينتعل
ألا وهم جبل الله الذي قصرت ... عنه الجبال فما سوّى به جبل
قومهم بُنوا الاسلام وامتنعوا ... رهط الرسول الذي مابعده رسل
من صالحوه رأى في عيشه سعة ... ولا يرى من أرادوا ضره يئل
كم نالني منهم فضلا على عدم ... إذ لا أكاد من الإقتار أحتمل
وكم من الدهر ماقد نبتوا قدمي ... إذ لا يزال مع الأعداء ينتضل
فما هم صالحوا من يتقي عنتي ... ولا هم كدروا الخير الذي فعلوا
هم الملوك وأبناء الملوك لهم ... والآخذون به والسادة الاول

(١) وبعده

قطعت اليك بمثل جيد جداية ... حرف معلق نومته مطوق
ومصرعين من الكلال كأنما ... سمروا الغبوق من الرحيق المغبق
متوسدين ذراع كل نجيبة ... ومفرّج عرق المقد منوّق
وجثت على ركب تهديها الصفا ... وعلى كلا كل كالنقيل المطرق
واذا سمعن الى هماهم رفقة ... ومن النجوم غوائر لم تلحق
جعلت تميل خدودها آذانها ... طرباً بهن الى حداء السوق
كالمنصتات الى الغناء سمعنه ... من رائع لقلوبهن مشوق
واذا نظرن الى الطريق رأينه ... كهفاً كشاكلة الحصان الأبلق
واذا تخالف بعدهن لحاجة ... حادٍ يشمشع نعله لم يلحق
واذا يصيبك والحوادث جمة ... حدث حداك الى أخيك الأوثق
ليث الهموم عن الفؤاد تفرقت ... وخلى التكلم للسان المطلق

حتى أتيت الى آخرها فقال عبد الملك بن مروان ثكلت القطامي أمه هذا والله الشعر قال فالتفت اليّ الأخطل فقال يا شعبي ان لك فنوناً في الأحاديث وان لنا فنًّا واحداً فان رأيت أن لا تحملني على أكتاف قومك فادعهم حرضاً قلت لا أعرض لك في شيء من الشعر أبداً فأقلني هذه المرة فقال من يكفل بك قلت أمير المؤمنين فقال عبدالملك هو على أن لا يعرض لك أبداً ٠٠ ثم قال يا شعبي أي شعراء الجاهلية كان أشعر من النساء قلت خلساء قال ولم فضلتها على غيرها قلت لقولها

وقائلةٍ والنَّعشُ قدفاتَ خطوَها ... لتُذرِكَهُ يا لَهفَ نَفسي على صخرِ

ألا تَكلتْ أمُّ الذينَ غدَوا بهِ ... إلى القبرِ ماذا يحملونَ إلى القبرِ

فقال عبد الملك أشعر منها والله ليلى الأخيلية حيث تقول

مُهَفهَفُ الكَشحِ والسِّربالِ منخرقٌ ... عنهُ القميصُ لسيرِ الليلِ مُحتقرُ

لا يأمَنُ الناسُ مُمساهُ ومُصبَحَهُ ... في كلِّ حيٍّ وإنْ لم يَغزُ يُنتظَرُ

ثم قال يا شعبي لعله شق عليك ما سمعته فقلت أي والله يا أمير المؤمنين أشد المشقة إني لمحدثك منذ شهرين لم أفدك الا أبيات النابغة في الغلام ثم قال يا شعبي انما أعلمناك هذا لانه بلغني ان أهل العراق يتطاولون على أهل الشام ويقولون ان كانوا غلبونا على الدولة فلن يغلبونا على العلم والرواية وأهل الشام أعلم بعلم أهل العراق ثم ردد عليّ أبيات ليلى حتى حفظتها وأذن لي فانصرفت فكنت أول داخل وآخر خارج ٠٠ [قال الشريف المرتضى] رضي الله عنه والصحيح في الرواية ان البيتين اللذين رواهما عبدالملك ونسبهما الى ليلى الأخيلية لأعشى باهلة يرثي المنتشر بن وهب الباهلي وهذه القصيدة من المراثي المفضلة المشهورة بالبلاغة والبراعة وهي

إني أُتَتني لِسانٌ لا أُسَرُّ بها ... من عَلْوَ لا عَجَبٌ مِنها ولا سخَرُ (١)

(١) رواية ثعلب

إني أُتيت بشيءٍ لا أسر به ... من عَلْ لا عجب فيه ولا سخر

فَظَلَّتْ مُكْتَئِبًا حَرَّانَ أَنْدُبُهُ ... وَكُنْتُ أَحْذَرُهُ لَوْ يَنْفَعُ الْحَذَرُ

فَجَاشَتِ النَّفْسُ لَمَّا جَاءَ جَمْعُهُمُ ... وَرَاكِبٌ جَاءَ مِنْ تَثْلِيثَ مُعْتَمِرُ[1]

يَأْتِي عَلَى النَّاسِ لَا يَلْوِي عَلَى أَحَدٍ ... حَتَّى التَقَيْنَا وَكَانَتْ بَيْنَنَا مُضَرُ[2]

إِنَّ الَّذِي جِئْتَ مِنْ تَثْلِيثَ تَنْدُبُهُ ... مِنْهُ السَّمَاحُ وَمِنْهُ النَّهْيُ وَالنِّيرُ[3]

وروى أبو زيد في نوادره

إني أتاني شيءٌ لا أسر به ... من علو لا عجب فيه ولا سخر

وروى المبرد في الكامل

إني أتتني لسان لا أسر بها ... من علو لا عجبٌ منها ولا سخر

ـ اللسان ـ هنا بمعنى الرسالة وأراد بها نعي المنتشر ولهذا أنث الفعل فانه اذا أريد به الكلمة أو الرسالة يؤنث ويجمع على ألسن واذا كان بمعنى جارحة الكلام فهو مذكر ويجمع على ألسنة أي أتاني خبر من أعلى نجد وقيل أراد العالية وقيل من أعالي البلاد ويقال من علو بتثليث الواو ومن عل بكسر اللام وضمها ومن علا ومن أعلى ومن معال .. وقوله ـ لا عجب ـ الخ أي لا عجب منها وان كانت عظيمة لان مصائب الدنيا كثيرة ولا سخر باللوت وقيل معناه لا أقول ذلك سخرية وهو بفتحتين وبضمتين مصدر سخر منه

(١) قوله ـ فجاشت النفس ـ الخ أي غثت ويقال دارت للغثيان فان أردت انها ارتفعت من حزن أو فزع قلت جشأت بالهمز وروى بدل جمعهم فلهم أي الذين شهدوا مقتله فلهم بفتح الفاء وتشديد اللام يقال جاء فل القوم أي منهزموهم يستوي فيه الواحد والجمع وربما قالوا فلول وفلال ـ وتثليث ـ بكسر اللام وياء ساكنة وثاء أخرى مثلثة موضع بالحجاز قرب مكة ـ ومعتمر ـ صفة راكب بمعنى زائر ويقال من عمرة الحج

(٢) قوله ـ يأتي على الناس ـ الخ فاعل يأتي ضمير الراكب ـ ويلوي ـ مضارع لوى بمعنى توقف وعرج أي يمر هذا الراكب على الناس ولم يعرج على أحد حتى أتانا لإني كنت صديقه .. ويروي دوننا بمعنى قدام بدل بيننا

(٣) قوله ـ ان الذي جئت ـ الخ أي فقلت لهذا الراكب ان الذي جئت الخ

تَنْعَى امْرَأً لَا تَغِبُّ الحَيَّ جَفْنَتُهُ إِذَا الكَوَاكِبُ أَخْطَى نَوْءَهَا المَطَرُ (١)

وَرَاحَتِ الشَّوْلُ مُغْبَرًّا مَنَاكِبُهَا شُعْثًا تَغَيَّرَ مِنْهَا النِّيُّ وَالوَبَرُ (٢)

وَالْجَأَ الكَلْبَ مَرْفُوعُ الصَّقِيعِ بِهِ وَالْجَأَ الحَيَّ مِنْ تَنْفَاحِهِ الحُجَرُ (٣)

ـ والندب ـ مصدر ندب الميت من باب نصر بكى عليه وعدد محاسنه ٠٠ وجفنة منه السماح خبر ـ والنعي ـ خلاف الأمر ـ والغير ـ بكسر المعجمة وفتح المثناة التحتية اسم من غير الشيء فتغير أقامه مقام الغير

(١) قوله ـ تنعي امرأ ـ الخ رواية أبي العباس ينعي بالياء المثناة والنعي خبر الموت يقال نعاه ينعاه ٠٠ قال الأصمعي كانت العرب اذا مات ميت له قدر ركب راكب فرساً وجعل يسير في الناس ويقول نعاء فلاناً أي أنعه وأظهر خبر وفاته وهي مبلية على الكسر ـ ولا تغب ـ هو من قولهم فلان لا يغبنا عطاؤه أي لا يأتينا يوم دون يوم بل يأتينا كل يوم ـ والجفنة ـ القصعة ـ وأخطاء ـ كتخطاه تجاوزه ـ والنوء ـ سقوط نجم من المنازل في المغرب مع الفجر وطلوع رقيبه من المشرق يقابله من ساعته في كل يوم الى ثلاثة عشر يوماً وهكذا كل نجم الى انقضاء السنة وكانت العرب تضيف الأمطار والرياح والحر والبرد الى الساقط منها ٠٠ يريد ان جفانه لا تنقطع في القحط والشدة

(٢) قوله ـ وراحت ـ هو معطوف على مدخول اذا ـ والشول ـ كما في القاموس الشائلة من الابل وهي ما أتى عليها من حملها أو وضعها سبعة أشهر لخف لبنها والجمع شول على غير قياس ٠٠ وفي النهاية الشول مصدر شال ابن الناقة أي ارتفع وتسمي الناقة الشول أي ذات شول لانه لم يبق في ضرعها إلا شول من لبن أي بقية ويكون ذلك بعد سبعة أشهر من حملها ٠٠ وروي ـ مباءتها ـ أي مراحها بدل مناكبها ـ ومغبر ـ يعني من الرياح والعجاج ـ والنيّ ـ بفتح النون الشحم ومصدر نوت الناقة تنوي نواية ونيا اذا سمنت يريد ان الجدب وقلة المرعى خشن لحمها وغيره

(٣) قوله ـ وألجأ ـ معطوف أيضاً على مدخول اذا وألجأ اضطر ويروي أحجر يقال أحجرته أي ألجأته الى ان دخل حجره ـ والصقيع ـ الجليد ـ وتنفاحه ـ ضربه

عَلَيْهِ أَوَّلُ زَادِ القَوْمِ قَدْ عَلِمُوا ... ثُمَّ المَطِيُّ إِذَا مَا أَرْمَلُوا جُزُرُ (١)

قَدْ تَكْظِمُ البُزْلُ مِنْهُ حِينَ تُبْصِرُهُ ... حَتَّى تَقَطَّعَ فِي أَعْنَاقِهَا الجِرَرُ (٢)

أَخُورَ غَائِبَ يُعْطِيهَا وَيَسْأَلُهَا ... يَأْبَى الظُّلَامَةَ مِنْهُ النَّوْفَلُ الزُّفَرُ (٣)

لَمْ تَرْعَ أَرْضًا وَلَمْ تَسْمَعْ بِسَاكِنِهَا ... إِلَّا بِهَا مِنْ نَوَادِي وَقْعِهِ أَثَرُ (٤)

وهو مصدر نفحت الريح اذا هبت باردة والضمير للصقيع والباء في به بمعنى على والضمير للكلاب ـ والحجر ـ بضم الحاء وفتح الجيم جمع حجرة بالضم الغرفة وحظيرة الابل من شجر .. يقول هو في مثل هذه الأيام الشديدة يطعم للناس الطعام

(١) قوله ـ عليه أول ـ الخ يعنى انه يرتب على نفسه زاد أصحابه أولا واذا نفد الزاد نحر لهم ـ وأرمل ـ الرجل نفد زاده ـ والمطي ـ جمع مطية وهي الناقة ـ والجزر ـ بضمتين جمع جزور وهي الناقة التي تنحر وروى بفتحتين جمع جزرة وهي الناقة والشاة تذبح

(٢) يروي * وتفزع الشول منه حين يفجأها * ـ والكظم ـ من كظم البعير بالفتح يكظم بالكسر كظوماً اذا أمسك عن الجرة وقيل الكظم أن لا تجتر لشدة الفزع اذا رأت السيف ـ والبزل ـ جمع بازل وهو الداخل في السنة التاسعة ـ والجرر ـ جمع جرة بكسر الجيم فيهما وهي ما يخرجه البعير للاجترار .. يقول تعودت الابل انه يعقر منها فاذا رأته كظمت على جرتها ـ وتقطع ـ فعل مضارع منصوب بان

(٣) ـ الرغائب ـ الأشياء التي يرغب فيها يريد يعطي ما يرغب الرجال في ادخاره ويحرصون على التمسك به لنفاسته ـ وأخو ـ خبر مبتدإ محذوف أي هو أخو رغائب وجملة يعطيها ويسألها مفسرة لوجه الملابسة في قوله أخو رغائب ـ ويسألها ـ بالبناء للمجهول من السؤال ويروى موضعه ويسلبها بالبناء للمعلوم من السلب ـ والظلامة ـ بالضم ومثله الظليمة والمظلمة بكسر اللام وضمها وهو ما تطلبه عند الظالم وهو اسم ما أخذ منك ـ والنوفل ـ البحر والكثير العطاء .. وقال ثعلب النوفل العزيز الذي ينفل عنه الضيم أي يدفعه ـ والزفر ـ الكثير الناصر والأهل والعدة

(٤) ـ نوادي ـ كل شيء بالنون أوائله وما ندر منه واحده نادية ومنه قولهم لا يندك

وَلَيْسَ فِيهِ إِذَا اسْتَنْظَرْتَهُ عَجَلٌ ... وَلَيْسَ فِيهِ إِذَا يَاسَرْتَهُ عُسُرُ

فَإِنْ يُصِبْكَ عَدُوٌّ فِي مُنَاوَءَةٍ ... يَوْمًا فَقَدْ كُنْتَ تَسْتَعْلِي وَتَنْتَصِرُ[1]

مَنْ لَيْسَ فِي خَيْرِهِ مِنْ يُكَدِّرُهُ ... عَلَى الصَّدِيقِ وَلَا فِي صَفْوِهِ كَدَرُ[2]

أَخُو شُرُوبٍ وَمِكْسَابٌ إِذَا عَدِمُوا ... وَفِي المَخَافَةِ مِنْهُ الجِدُّ وَالحَذَرُ[3]

مِرْدِي حُرُوبٍ وَنُورٌ يُسْتَضَاءُ بِهِ ... كَمَا أَضَاءَ سَوَادَ الظُّلْمَةِ القَمَرُ[4]

مُهَفْهَفٌ أَهْضَمُ الكَشْحَيْنِ مُنْخَرِقٌ ... عَنْهُ القَمِيصُ لِسَيْرِ اللَّيْلِ مُحْتَقِرُ[5]

مى سوء أبداً أى لا يندر اليك ـ والوقع ـ النزول

(١) ويروى ـ فقد كان يستعلى وينتصر ـ والمناوأة ـ المعاداة يقال ناوأت الرجل مناوأة وقيل هي المحاربة ناوأته أى حاربته .. قال الشاعر

اذا أنت ناوأت القرون فلم تنوء ... بقرنين عن تلك القرون الكواملِ

(٢) قوله ـ من ليس فى خيره من ـ الخ رواية المبرد من ليس في خيره شر يكدره ـ كدّره ـ جعله كدراً يقال تكدر الماء تغيض صفا وكدره غيره جعله كدراً

(٣) ـ الشروب ـ جمع شرب وهو جمع شارب كصحب جمع صاحب .. ويروى أخو حروب ـ والمكساب ـ مبالغة كاسب ـ والعدم ـ الفقر وفعله من باب فرح

(٤) ـ المردى ـ بكسر الميم حجر يرمى به ومنه قيل للشجاع انه لمردى حروب ومعناه انه يقذف فى الحروب ويرجم فيها ويروي * كما أضاء سواد الطخية القمر * الطخية بضم المهملة وسكون المعجمة الظلمة والطخياء بالمد الليلة المظلمة يريد انه كامل شجاعة وعقلا فشجاعته كونه يرمى فى الحروب وعقله كون رأيه نوراً يستضاء به وهما وصفان متضادان غالباً

(٥) ـ المهفهف ـ الخميص البطن الدقيق الخصر ـ والأهضم ـ المنضم الجنبين ـ والكشح ـ ما بين الخاصرة الى الضلع الخلف وهذا مدح عند العرب فانها تمدح الهزال والضمر وتذم السمن .. وفى العباب ورجل منخرق السربال اذا طال سفره

طاوي المصير على العزّاء منجرد ... بالقوم ليلة لا ماء ولا شجر[1]

لا يصعب الأمر إلا ريث يركبه ... وكل أمر سوى الفحشاء يأتمر

معنى ـ لا يصعب الأمر ـ أى لا يجده صعباً

لا يتأرّي لما في القدر يرقبه ... ولا يعض على شرسوفه الصفر[2]

فشقت ثيابه ـ ولسير الليل ـ متعلق بما بعده وهذا يدل على الجلادة وتحمل الشدائد

(١) ـ الطوى ـ الجوع وفعله من باب فرح وطوى بالفتح يطوى بالكسر طيّاً اذا تعمد الجوع ـ والمصير ـ المعا الرقيق وجمعه مصران كرغيف ورغفان وجمع هذا مصارين أراد طاوى البطن ـ والعزاء ـ بفتح العين المهملة وتشديد الزاى المعجمة الشدة والجهد وقال فى الصحاح هي السنة الشديدة ـ والمتجرد ـ المتشمر .. وقوله ـ ليلة لا ماء ولا شجر ـ أي يرعى وزاد عبد القادر البغدادى هنا بيتاً وهو

لا يهتك الستر عن أنثى بطالعها ... ولا يُشَدُّ الى جارانه النظر

ومعناه انه لا ينظر الى جارته ولا يشد البهن النظر من غيره احتراماً له والله أعلم

(٢) ـ لا يتأرى ـ لا يتحبس ويتلبث يقال تأري بالمكان اذا أقام فيه أى لا يتلبث لادراك طعام القدر وجملة ـ يرقبه ـ حال من المستتر فى يتأري .. يمدحه بأن همته ليست في المطعم والمشرب وانما همته فى طلب المعالى فليس يرقب نضج ما فى القدر اذا هم بأمر له شرف بل يتركها ويمضى ـ والشرسوف ـ طرف الضلع ـ والصفر ـ دويبة مثل الحية تكون في البطن تعترى من به شدة الجوع .. قال فى النهاية في حديث لا عدوى ولا هامة ولا صفر لان العرب كانت تزعم ان في البطن حية يقال لها الصفر تصيب الانسان اذا جاع وتؤذيه فابطل الاسلام ذلك وقيل أراد به النبي صلى الله عليه وسلم النسيء الذي كانوا يفعلونه فى الجاهلية وهو تأخير المحرم الى صفر ويجعلون صفراً هو الشهر الحرام انتهى ولم يرد الشاعر ان فى جوفه صفراً لا يعض على شراسيفه وانما أراد انه لا صفر في جوفه فيعضه بصفه بشدة الخلق وصحة البنية

لاَ يَغْمِزُ الساقَ مِنْ أَيْنٍ ولاَ وصَبٍ ... ولاَ يَزَالُ أَمامَ القَوْمِ يَقْتَفِرُ (١)

لاَ يَأْمَنُ النَّاسُ مُمْساهُ ومُصْبَحَهُ ... في كُلِّ فجٍّ وانْ لم يَغْزُ يَنْتَظِرُ (٢)

تَكْفِيهِ حُزَّةُ فِلْذَانٍ أَلَمَّ بِها ... مِنَ الشَّواءِ ويُرْوِي شَرْبَهُ الغَمَرُ (٣)

لاَ تَأْمَنُ البازِلُ الكَوْماءُ عَدْوَتَهُ ... ولاَ الأَمُونُ اذا ما اخْرَوَّطَ السَّفَرُ (٤)

كأَنَّهُ بَعْدَ صِدقِ القَوْمِ أَنْفُسَهُمْ ... باليأْسِ تَلْمَعُ مِنْ قُدَّامِهِ البُشُرُ (٥)

---

(١) ــ لا يغمز الساق ــ لا يجيبها يصف جلده وتحمله للمشاق ــ والأين ــ الاعياء ــ والوصب ــ الوجع ــ والاقتفار ــ بتقديم القاف على الفاء اتباع الآثار .. في الصحاح وقفرت أثره أقفره بالضم أي قفوته واقتفرت مثله وأنشد هذا البيت ورواه أبو العباس في شرح نوادر أبي زيد يقتفر بالبناء للمجهول ومعناه انه يفوت الناس فيتبع ولا يلحق

(٢) قوله ــ لا يأمن الناس ــ أي لا يأمنه الناس على كل حال سواء كان غازياً أم لا فان كان غازياً يخافون أن يغير عليهم وان لم يكن غازياً فانهم في قلق أيضاً لانهم يترقبون غزوه وينتظرونه

(٣) ــ الحزة ــ بضم الحاء المهملة وتشديد الزاي المعجمة قطعة من اللحم قطعت طولا ــ والفلذان ــ جمع فلذة بكسر الفاء فيهما ــ وألم بها ــ أصابها يعني أكلها ــ والغمر ــ بضم الغين المعجمة وفتح الميم قدح صغير لا يروى

(٤) ــ البازل ــ البعير الذي فطرنابه يدخوله في السنة التاسعة ويقال للناقة بازل أيضاً يستوي فيه الذكر والأنثى ــ والكوماء ــ بالفتح الناقة العظيمة السنام ــ والعدوة ــ التعدي فانه يخرها لمن معه سواء كانت المطية مسنة كالبازل أو شابة كالأمون وهي الناقة الموثقة الخلق يؤمن عثارها وضعفها ــ واخروط ــ امتد وطال ورواية المبرد

لا تنكر البازل الكوماء ضربته ... بالمشرفي اذا ما اجلوذ السفر

ومعنى اجلوذ امتد

(٥) ــ لمع ــ أضاء ــ والبشر ــ بضمتين جمع بشير يقول اذا فزع القوم وأيقنوا بالهلاك

قال المبرد لا نعلم بيتاً في يمن النقيبة وبركة الطلعة أبرع من هذا البيت

لَا يُعْجِلُ القَوْمَ أَنْ تَغْلِي مَرَاجِلُهُمْ ... وَيَذْلِجُ اللَّيْلَ حَتَّى يُفْسِحَ البَصَرُ (١)

عِشْنَا بِهِ حِقْبَةً حِبًّا فَفَارَقَنَا ... كَذَلِكَ الرُّمْحُ ذُو النَّصْلَيْنِ يَنْكَسِرُ (٢)

أَصَبْتَ فِي حَرَمٍ مِنَّا أَخَا ثِقَةٍ ... هِنْدَ ابْنَ أَسْمَاءَ لَا يُهْنِي لَكَ الظَّفَرُ (٣)

عند الحروب أو الشدائد فكأنه من ثقته بنفسه قدامه يبشره بالظفر والنجاح فهو منطلق الوجه نشيط غير كسلان

(١) يريد انه رابط الجاش عند الفزع لا يستخفه الفزع فيعجل أصحابه عن الاطباخ ٠٠ وقوله ــ حتى يفسح البصر ــ أي يجد متسعاً من الصبح وقيل معناه ليس هو شرها يتعجل بما يؤكل ــ والمراجل ــ القدور جمع مرجل

(٢) وروى عشنا بذلك دهراً ثم ودعنا ــ والنصلان ــ هما السنان وهي الحديدة العليا من الرمح والزج وهي الحديدة السفلى ويقال لهما الزجان أيضاً وهذا مثل أي كل شيء يهلك ويذهب

(٣) خاطب المنتشر هند بن أسماء وأراد بالحرم ذا الخلصة ثم دعا عليه والتهنئة خلاف التعزية وكانت قصة هند بن أسماء ان المنتشر بن وهب الباهلي خرج يريد حج ذي الخلصة ومعه غلمة من قومه والأقيصر بن جابر أخو بني فراص وكان بنو نفيل ابن عمرو بن كلاب أعداء له فلما رأوا مخرجه وعورته وما يطلبه به بنو الحارث بن كعب وطريقه عليهم وكان من حج ذا الخلصة أهدى له هديا يحرم به عن لقيه فلم يكن مع المنتشر هدي فسار حتى اذا كان بهضب النباع انكسر له بعض غلمته الذين كانوا معه فصعدوا في شعب من النباع فقالوا في غار فيه وكان الأقيصر يتكهن وأنذر بنو نفيل بالمنتشر بني الحارث بن كعب فقال الأقيصر النجاء يا منتشر فقد أتيت فقال لا أبرح حتى أبرد فمضى الأقيصر فأقام المنتشر وأتاه غلمته بسلاحه وأراد قتالهم فأمنوه وكان قد أسر هند بن أسماء المتقدم فسأله أن يفدي نفسه فأبطأ عليه فقطع أنملة ثم أبطأ فقطع منه أخرى وقد أمنه القوم ووضع سلاحه فقال أنؤمنون مقطعاً وإلهي لا أأمنه ثم قتله

لو لم تخنه ثُفَيْلٌ وَهْيَ خائنةٌ لَصبَّحَ القَوْمَ وِرْدٌ مالُهُ صَدَرُ[1]
وَأَقبلَ الخَيْلَ من تثليث مُصْغِيَةً وَضَمَّ أَعْيُنَها رَغْوانُ أَوْ حَضَرُ[2]
إمَّا سَلَكْتَ سَبِيلاً كُنْتَ سالِكَها فاذْهَبْ فَلا يُبْعِدَنْكَ اللهُ مُنْتَشِرُ

[قال الشريف] رضى الله عنه .. وقد رويت هذه القصيدة للدَّعجاء أخت المنتشر وقيل لليلى أخته ولعل الشبهة الواقعة فى نسبها الى ليلى الأخيلية من هنا والصحيح ماذكرناه .. أخبرنا أبو القاسم علىّ بن محمد الكاتب قال أخبرنا ابن دريد قال أخبرنا أبو حاتم عن أبى عبيدة قال وفد الأخطل على معاوية فقال إنى قد امتدحتك بأبيات فاسمعها فقال ان كنت شبهتني بالحيّة أو الأسد أو الصقر فلا حاجة لى فيها وان كنت قلت فيّ كما قالت الخنساء

وما بَلَغَتْ كَفُّ امْرِءٍ مُتَطاوِلٍ بِهِ المَجْدُ إلاَّ حَيْثُما نِلْتَ أَطْوَلُ
وَما بَلَغَ المَهْدُونَ فِي القَوْلِ مَدْحَةً وَإنْ صَدَقُوا إلاَّ الَّذِي فِيكَ أَفْضَلُ

فهات فقال الأخطل والله لقد أحسنت وقد قلت فيك بيتين ما هما بدون ما سمعته فأنشد

اذا مُتُّ ماتَ العُرْفُ وانْقَطَعَ الغِنَى فَلَمْ يَبْقَ إلاَّ مِنْ قَلِيلٍ مُصَرَّدِ

وقتل غلمته انتهى وزاد عبد القادر البغدادى بين البيتين بيتاً وهو

فان جزعنا فقد هُدَّت مُصابتنا وإن صبرنا فإنا معشرٌ صبرُ

ـ المصابة ـ بضم الميم بمعنى المصيبة يقال جبر الله مصابه وهو فاعل والمفعول محذوف أي قوانا والصبر بضمتين جمع صبور مبالغة صابر وروي مصيبتنا

(١) ـ صبحه ـ سقاه الصبوح وهو الشرب بالغداة أراد أنه كان يقتلهم

(٢) ـ أقبل الخيل ـ جعلها مقبلة ومقبلة مائلة نحوكم ـ ورغوان وحضر ـ موضعان أى كانت تأتي خيله عليكم في هذين الموضعين وما كانت تنام فى منزل إلاّ فيهما

وَرُدَّتْ أَكُفُّ الرَّاغِبِينَ وَأَمْسَكُوا

عَنِ الدِّينِ وَالدُّنْيَا بِخُلْفٍ مُجَدَّدِ

فأحسن صلته .. وأخبرنا المرزباني قال حدثنا ابراهيم بن محمد النحوي قال أخبرنا أحمد بن يحيى النحوي ان ابن الاعرابي أنشدهم

مَرَرْنَا عَلَيْهِ وَهُوَ يَكْعَمُ كَلْبَهُ دَعِ الكَلْبَ يَنْبَحْ إِنَّمَا الكَلْبُ نَابِحُ

قال قوله ـ يكعم كلبه ـ أي يشد فاه خوفاً أن ينبح فيدل عليه .. وقال آخر

وَتَكْعَمُ كَلْبَ الحَيِّ مِنْ خَشْيَةِ القِرَى وَنَارُكَ كَالعَذْرَاءِ مِنْ دُونِهَا سِتْرُ

وقد قال الأخطل

قَوْمٌ إِذَا اسْتَنْبَحَ الأَضْيَافُ كَلْبَهُمُ قَالُوا لأُمِّهِمُ بُولِي عَلَى النَّارِ

قال أبو عبد الله وسمعت محمد بن يزيد الأزدي يقول هذا من أهجى ما هجي به جرير لأنه جعل نارهم تطفيها البولة وجعلهم يأمرون أمهم بالبول استخفافاً بها

مجلس آخر ٥١

[تأويل آية] .. إن سأل سائل عن قوله تعالى (ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا) الآية .. فقال أو ليس ظاهر الآية يقتضي انه تعالى يجوز أن يزيغ القلوب عن الايمان حتى تصح مسألته تعالى أن لا يزيغها ويكون هذا الدعاء مفيداً .. الجواب قلنا في هذه الآية وجوه .. أولها أن يكون المراد بالآية ربنا لا تشدد علينا المحنة في التكليف ولا تشق علينا فيه فيفضي بنا ذلك الى زيغ القلوب منا بعد الهداية وليس يمتنع أن يضيفوا ما يقع من زيغ قلوبهم عند تشديده تعالى عليهم المحنة اليه كما قال عن وجل في السورة (إنها زادتهم رجساً الى رجسهم) وكما قال مخبراً عن نوح عليه السلام (فلم يزدهم دعائي إلاّ فراراً) .. فان قيل كيف يشدد المحنة عليهم .. قلنا بأن يقوى

شهواتهم لما قبحه في عقولهم ونفورهم عن الواجب عليهم فيكون التكليف عليهم بذلك شاقاً والثواب المستحق عليه عظيماً متضاعفاً وانما يحسن أن يجعله شاقاً تعريضاً لهذه المنزلة .. وثانيها أن يكون ذلك دعاء بالتنبيه لهم على الهداية وامدادهم بالألطاف التي معها يستمرون على الايمان فان قيل وكيف يكون مزيغاً لقلوبهم بان لا يفعل اللطف .. قلنا من حيث المعلوم انه متى قطع امدادهم بألطافه وتوفيقاته زاغوا وانصرفوا عن الايمان ويجرى هذا مجرى قولهم اللهم لا تسلط علينا من لا يرحمنا معناه لا تخلّ بيننا وبين من لا يرحمنا فيتسلط علينا ومثله قول الفرزدق

أتاني وَرَحلي بالمَدِينةِ وَقعَةٌ ... لآلِ تميمٍ افقدتْ كُلَّ قائمِ

أراد فقد لها كل قائم فكأنهم قالوا لا تخلّ بيننا وبين نفوسنا وتمدنا ألطافك فتزيغ ولفضل .. وثالثها ما أجاب به أبو علىّ الجبائي محمد بن علىّ لانه قال المراد بالآية ربنا لا تزغ قلوبنا عن ثوابك ورحمتك ومعنى هذا السؤال انهم سألوا الله تعالى أن يلطف لهم في فعل الايمان حتى يقيموا عليه ولا يتركوه في مستقبل عمرهم فيستحقوا بترك الايمان أن يزيغ قلوبهم عن الثواب وان يفعل تعالى بهم بدلا منه العقاب .. قال فان قال قائل فما هذا الثواب الذى هو فى قلوب المؤمنين حتى زعمتم انهم سألوا الله أن لا يزيغ قلوبهم عنه وأجاب بان من الثواب الذي في قلوب المؤمنين ما ذكره الله تعالى من الشرح والسعة بقوله تعالى (فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام) وقوله تعالى للرسول عليه الصلاة والسلام (ألم نشرح لك صدرك ووضعنا عنك وزرك) وذكر ان ضد هذا الشرح هو الضيق والحزن اللذان يفعلان بالكفار عقوبة قال ومن ذلك أيضاً التطهير الذي يفعله فى قلوب المؤمنين وهو الذي منعه الكافرين فقال تعالى (أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم) قال ومن ذلك كتابته فى قلوب المؤمنين كما قال تعالى (أولئك كتب في قلوبهم الايمان) وضد هذه الكتابة هي سمات الكفر التى فى قلوب الكافرين فكأنهم سألوا الله تعالى أن لا يزيغ قلوبهم عن هذا الثواب الى ضده من العقاب .. ورابعها أن تكون الآية محمولة على الدعاء بأن لا يزيغ القلوب

عن اليقين والايمان ولا يقتضي ذلك انه تعالى سئل ما كان لا يجب أن يفعله وما لولا المسألة لجاز فعله لانه غير ممتنع أن يدعوه على سبيل الانقطاع اليه والافتقار الى ماعنده بان يفعل تعالى ما نعلم انه لا بد من أن يفعله وبأن لا يفعل ما نعلم انه واجب أن لا يفعله تعالى اذا تعلق بذلك ضرب من المصلحة كما قال تعالى حاكياً عن ابراهيم عليه الصلاة والسلام (ولا تخزني يوم يبعثون) وكما قال في تعليمنا ما ندعوه به (قل ربّ احكم بالحق) وكقوله تعالى (ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به) على أحد الأجوبة وكل ماذكرناه واضح بحمدالله ٠٠ [قال الشريف] رضي الله عنه وإني لأستحسن قول الراعي في وصف الاناني والرماد فلقد طبق وصفه المفصل مع جزالة الكلام وقوته واستوائه واطراده

وأَوْرَقَ من عهدِ ابنِ عفّانَ حَوْلَهُ ... حَواضِنُ الأُفِّ على غيرِ مَشْرَبِ

ورَادُ الأعالي أقبلَتْ بِنُحُورِها ... على رَاشِحٍ ذِي شامةٍ مُتَقَوِّبِ

كأنَّ بَقايا لَوْنِهِ في مُتُونِها ... بَقايا هِنَاءٍ في قَلائِصَ مُجْرَبِ

ـ الأورق ـ الرماد جعل الاناني له كالحواضن لاحتضانها له واستدارتها حوله ٠٠ وأراد ـ بوراد الأعالي ـ ان ألوانها تضرب الى الحمرة وخصّ الأعالي لانها مواضع القدر فلا تكاد تسودّ ـ والراشح ـ هو الراضح وانما شبه الرماد بينهن بفصيل بين أظآر ـ والمتقوب ـ الذي قد انحسر أعلاه وشبه ما سودت النار منهن بأثر قطران على قلائص جربى ـ والمجرب ـ الذي قد جربت إبله ٠٠ ونظير هذا المعنى بعينه أعني تشبيه تسويد النار بالهناء قول ذي الرمة

عَفَى الزُّرْقُ مِنْ أَطْلالِ مَيَّةَ فالدَّحْلُ ... فأَجْمادُ حَوْضَيْ حَيْثُ زَاحَمَها الحَبْلُ[1]

---

(١) ـ الزرق ـ رمال بالدهناء وقيل هي قرية بين النباج وسمينة وهي صعبة المسالك ـ والدحل ـ بالفتح ماء نجدي لغطفان ـ والأطلال ـ جمع طلل محركة وهو الشاخص من آثار الدار ـ والاجماد ـ جمع جمد بالتحريك وهو ما ارتفع من الأرض ـ وحوضي ـ

سِوَى أَنَّ يَرَى سَوْدَاءَ من غيرِ خِلْقَةٍ ... تَخَطَّأَهَا وَارْتَثَّ جَارَاتِهَا النَّقْلُ

مِنَ الرَّضَمَاتِ البِيضِ غيَّرَ لَوْنَهَا ... نَبَاتُ فِرَاضِ المَرْخِ وَالْيَابِسُ الجَزْلُ

كَجَرْبَاءَ دُسَّتْ بالهِنَاءِ فأَصْبَحَتْ ... بأَرْضِ خَلَاءٍ أَنْ تُقَارِبَهَا الإِبِلُ

قوله ــ سوداء من غير خلقة ــ يعني أثفية لان السواد ليس بخلقة وانما سوّدتها النار .. وقوله ــ تخطّأها النقل ــ أي تجاوزها فلم تحمل من مكان الى مكان بل بقيت منفردة ــ وارتث جاراتها ــ بمعنى بجاراتها أي تخلن عنها الاثافي اللواتي كنّ معها ــ والمرتث ــ هو المنقول من مكان الى مكان وأصل ذلك في الجريح والعليل يقال ارتث الرجل ارتثاثاً اذا حمل من المعركة وبه رمق .. قال النضر بن شميل معنى ارتث صرع .. وقال أبو زيد مأخوذ من قولهم ارتثينا رثة القوم اذا جموا ردى متاعهم بعد أن يحملوا من موضعهم وكلا المعنيين يليق ببيت ذي الرّمة لانه يجوز أن يريد صرعن وبقيت ثانية قائمة ــ والرضمات ــ حجارة بيض بعضها على بعض ــ والفراض ــ جمع فرض وهو الحزّ يكون في الزند .. وعنى ببنات فراض المرخ شرر النار الخارجة من ذلك الفرض ــ والمرخ ــ شجر تتخذ منه الزندة .. ومن أمثالهم في كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار وهذا المثل يضرب للرجل الكريم الذي يفضل على القوم ويزيد عليهم فكأن المعنى كل القوم كرام وأكرمهم فلان [1] ومعنى ــ كجرباء دست بالهناء ــ انه

بالفتح ثم السكون مقصور بوزن سكرى اسم ماء لبني طهمان بن عمرو بن سلمة الى جنب جبل في ناحية الرمل ــ وزاحها ــ ضايقها ــ والحبل ــ الرمل المستطيل

(١) وقال الميداني في تفسيره له يقال مجدت الابل تمجد مجوداً اذا نالت من الحلي قريباً من الشبع واستمجد المرخ والعفار أي استكثرا وأخذا من النار ما هو حسبهما شبها بمن يكثر العطاء طلباً للمجد لانهما يسرعان الورى يضرب في تفضيل بعض الشيء على بعض .. قال أبو زياد ليس في الشجر كله أوري زناداً من المرخ قال وربما كان المرخ مجتمعاً ملتفاً وهبت الريح فحك بعضه بعضاً فأورى فاحترق الوادي كله ولم نر

شبه الاتفية المفردة بناقة جرباء قد أفردت وأبعدت عن الابل حتى لا تجربها ولا تعديها ومعنى دست بالهناء أي طليت به .. وفى معنى قول الراعي وراد الأعالي شبه من قول الشماخ بن ضرار

أقامتْ على رَبْعَيْهما جارَتا صفا كُمَيْتا الأعالي جَوْنَتا مُصْطَلاهُما (١)

ذلك فى سائر الشجر .. قال الأعشى

زنادك خير زناد الملوك خالط فيهن مرخ عفارا
ولو بت تقدح فى ظلمة حصاة بنبع لاوريت نارا

والزند الأعلى يكون من العفار والأسفل من المرخ .. قال الكميت

اذا المرخ لم يور تحت العفار وضن بقدر فلم تعقب

(١) وقبله

أمن دِمنتين صرح الركب فيهما بمحفل الرغامي قد أتى لبلاهما
أقامت على ربعيهما جارتا صفا كُميتا الأعالي جَوْنتا مصطلاهما
وإرث رماد كالحمامة ماثل ونؤيان من مظلومتين كداهما
أقاما لليلى والرباب وزالتا بذات السلام قد عفا طلاهما
فقاضت دموعي في الرداء كأنها عزالي شَعِيب مخلف وكلاهما
ليالي ليلى لم يشب عذب مائها بملح وحبلانا متين قواهما
ولو دَيْن للبيض الهجان وحالك من اللون ضريب بهيم علاهما
اذا اجتهدا التروِيح مدا عجاجة أعاسير مما يستتير خطاهما
وسربين كدرين قدرعت غدوة على الماء معروف الى لفاهما
اذا غادرا متنه قطاتين ظلتا أديم النهار تطلبان قطاهما
وإني عداني عنكم غير ماقت نواران مكتوب على يفاعهما
وعلس كألواح الإران لسأتها اذا قيل للمشبوبتين هما هما
تغالى برجليها اليك ابن مربع فيالهم لم المفضلي مضلاهما

يعني ـ بربعيهما ـ منزلتي المرأتين اللتين ذكرهما ويعني ـ بجارتا سفا ـ الانفيتين لانهما مقطوعتان من الصفا الذي هو الصخر .. ويمكن في قوله جارتا وجه آخر هو احسن من هذا وهو ان الانفيتين توضعان قريباً من الجبل لتكون حجارة الجبل ثالثة لهما وممسكة للقدر معهما ولهذا تقول العرب رماه بثالثة الاثافي أي بالصخرة أو الجبل وشبه أعلاهما بلون الكميت وهو لون الحجر نفسه لأن النار لم تصل اليه فتسوده ـ ومصطلاهما جون ـ أي اسود لان النار قد سفعته وسوّدته .. وقال الراعي في وصف الاثافي أيضاً

أَذَاعَ بِأَعْلاَهُ وَأَبْقَى شَرِيدَهُ ... ذَرَى مُجْنِحَاتٍ بَيْنَهُنَّ فُرُوجُ

كَأَنَّ بِجِزْعِ الدَّارِ لَمَّا تَحَمَّلُوا ... سَلاَئِبَ وُرْقًا بَيْنَهُنَّ خَدِيجُ

ـ أذاع بأعلاه ـ يعني الرماد لأن السافي طيّر ظاهره وما علا منه ـ وأبقى شريده ـ يريد به الذي أبقى لما شرد على السافي فلم يطيره ـ وذري مجنحات ـ يعني الاثافي وذرى كل شيء جانبه وما استفريت به منه ـ والمجنحات ـ المسبلات منه ـ والسلائب ـ جمع سلوب وهي الناقة التي سلبت ولدها بموت أو نحر وقد عطفت على حوار آخر ـ والخديج ـ الذي قد سقط لغير تمام ـ والورق ـ اللواتي ألوانهن كلون الرماد .. وفي معنى قول الراعي وأبقى شريده ذرى قول المخبل السعدي

اذا ماحصيرا زورها لم يطقها ... لها الضفر إلاّ من امام رحاها

كست عضديها زورها وانحت بها ... ذراعا لجوج عوهج ملتقا هما

فباتت بأُبلى ليلة ثم ليلة ... بحاذة واجتابت نوي عن نواها

وراحت على الأقواء أقواء غيقة ... نجاء يفتلاوين ماض سراهما

أجدت هباباً عن هباب وساحت ... قوى لسعتيها بعد طول اذاهما

ولولا فتى الأنصار ماسك سمعها ... ضمير ولا حورانه فقراهما

وإني لأرجو من يزيد بن مربع ... حذيته من خيرتين اسطفاهما

حذيته من نائل وكرامة ... سنى في بقاء المجد حتى احتواهما

وأرى لها دارًا بأغدرة السيـ ـدان لم يدرس لها رسمُ (١)
إلاّ رمادًا هامدًا دفعت عنهُ الرياحَ خوالدٌ سُحمُ (٢)

ـ لا ـ ههنا بمعنى الواو فكأنه قال وأرى رماداً هامداً ولولاان إلاّ ههنا بمعنى الواو لفسد الكلام ونقض آخره أوّله لانه يقول في آخر البيت ان الخوالد السحم دفعت عنه الرياح فكيف خبر بانه قد درس وانما أراد انه باق ثابت لان الاثافي دفعت عنه الرياح فلم تسفنه إذهو من جملة مالم يدرس بل هو داخل فى جملته وللراعي أيضاً فى الاثافى

أنخنَ وهنّ أغفالٌ عليها فقدْ تركَ الصلاءُ بهنّ نارا

شبه الاثافى بنوق أنخن أغفالا ليست عليهنّ سمة ثم أخبر ان الوقود قد أثر فيهن أثراً كالسمة فالنار السمة تقول العرب ما نار بعيرك أى ماسمته وفى أمثالهم نجارها نارها أي

---

(١) ـالأغدرةـ جمع غدير وهو القطعة من الماء يغادرها السيل أي يتركها وهو فعيل في معنى مفعول على اطراح الزائد وقد قيـل انه من الغدر لانه يخون وروّاده فينضب عنهم ويغدر بأهله فينقطع عنه شدة الحاجة اليه .. وقال اللحياني الغدير اسم ولا يقال هذا ماء غدير وقال الليث الغدير مستنقع الماء ماء المطر صغيراً كان أو كبيراً غير انه لا يبقى الى القيظ إلاّ ما يتخذه الناس من عد ووجذ ووقط أو صهريج أو حائر قال أبو منصور العد الماء الدائم الذي لا انقطاع له ولا يسمى الماء الذى يجمع فى غدير أو صهريج أو صنع عدا لان العد ما يدوم مثل ماء العين والركية

(٢) ـالرمادـ دقاق الفحم من حراقة النار وما هنا من الجمر فصار دقاقاً والطائفة منه رمادة .. وفي حديث أم زرع زوجي عظيم الرماد أى كثير الأضياف لان الرماد بكثرة الطبخ ـوهامداًـ طافئاً .. قال الأصمعي طفئت النار اذا سكن لهبها وهمدت هموداً اذا طفئت البتة فاذا صارت رماداً قيل هبا يهبو وهو هاب ـوالخوالدـ الصخور .. قال الجوهري قيل لاثافى الصخور خوالد لطول بقائها بعد دروس الاطلال ـوسحمـ جمع سحماء أي سوداء وهو صفة لخوالد

سمتها تدل على كرمها يضرب ذلك للرجل ترى له ظاهراً حسناً يدل على باطن خبره ٠٠ وقال عدي بن الرقاع العاملي

إلاَّ رَوَاكِدَ كُلُّهُنَّ قَدِ اصْطَلَى ... حَمْرَاءَ أَشْعَلَ أَهْلُهَا إِيقَادَهَا

كَانَتْ رَوَاحِلَ لِلْقُدُورِ فَعُرِّيَتْ ... مِنْهُنَّ وَاسْتَلَبَ الزَّمَانُ رَمَادَهَا

وقال مالك الجعفي

إلاَّ رَوَاكِدَ بَيْنَهُنَّ خَصَاصَةٌ ... سُفْعُ المَنَاكِبِ كُلُّهُنَّ قَدِ اصْطَلَى

وقال حميد بن ثور

فَتَغَيَّرَتْ إِلاَّ مَلاَعِبَهَا ... وَمُعَرَّساً مِنْ جَوْنِهِ ظَهْرِ

عَرِسَ الثَّقَابُ لَهَا بِدَارِ إِقَامَةٍ ... لِلْحَيِّ بَيْنَ نَظَائِرٍ وِتْرِ

ـ الجونة ـ القدر ويقال قدر ظهر وقدور ظهور اذا كانت قديمة ـ وعرس ـ أى جعل مثل العريس يعنى الوقود ـ والثقاب ـ ما أثقبت به النار من الوقود ـ والنظائر ـ هى الاثافى ـ والوتر ـ الفرد وأراد انها ثلاث ٠٠ وقال الكميت بن زيد

وَلَنْ تُحَيِّيَكَ أَظْآرٌ مُعَطَّفَةٌ ... بِالْقَاعِ لاَتَمِكٌ فِيهَا وَلاَ مَيِلُ

لَيْسَتْ بِعُوذٍ وَلَمْ تُعْطَفْ عَلَى رُبَعٍ ... وَلاَ يَهِيبُ بِهَا ذُو النِّيَّةِ الأَبِلُ

يعنى الاثافى فشبه عطفها على الرماد بنوق أظآر قد عطفت على فصيل ـ والتمك ـ انتصاب السنام ـ والميل ـ من صفة السنام أيضاً ـ والعائذ ـ من النوق التى يتبعها ولدها ـ والربع ـ الذى ينتج فى الربيع ـ والاهابة ـ الدعاء أهاب بابله اذا دعاها ـ وذو النية ـ الذى قد نوى الرحيل ـ الأبل ـ صاحب الابل ٠٠ وقال ذو الرمة

فَلَمْ يَبْقَ إِلاَّ أَنْ تَرَى فِي مَحَالِّهِ ... رَمَادًا نَحَتْ عَنْهُ الخُيُولُ جَنَادِلَهْ

كَأَنَّ الحَمَامَ الوُرْقَ فِي الدَّارِ وَقْعَتْ ... عَلَى خَرَقٍ بَيْنَ الظُّؤُورِ جَوَازِلَهْ

شبه الاثافى بالحمام الورق وجعلها ظؤوراً لتعطفها على الرماد وشبه الرماد بفرخ خرق

قد سقط ريشه ـ والجوازل ـ الفراخ واحدها جوزل ٠٠ وقال البعيث

أَلاَ حَيِّيَا الرَّبْعَ القِوَاءَ وَسَلِّمَا ... وَرَسْمًا كَجُثْمَانِ الحَمَامَةِ أَدْهَمَا

قيل ان الحمام ههنا القطاة وانه شبه ألوان الرسوم من الرماد وموقدنار ودمنة ومجرّ طنب وما أشبه هذه الاشياء بألوان ريش القطاة ٠٠ ومثله لجرير

كَأَنَّ رُسُومَ الدَّارِ رِيشُ حَمَامَةٍ ... تَمَاهَا البِلَى واستَعْجَمَتْ أَنْ تَكَلَّمَا

ولقد أحسن كل الاحسان كثير في قوله

أَمِنْ آلِ قِيلَةَ بالدَّخُولِ رُسُومُ ... وَبِحَوْمَلٍ طَلَلٌ يَلُوحُ قَدُومُ

لَعِبَ الرِّيَاحُ بِرَسْمِهِ فَأَجَدَّهُ ... جُونٌ عَوَاكِفُ فِي الرَّمَادِ جُثُومُ

سُفْعُ الخُدُودِ كَأَنَّهُنَّ وَقَدْ مَضَتْ ... حِجَجٌ عَوَائِدُ بَيْنَهُنَّ سَقِيمُ

وقيل في قوله ـ فأجدّه جون عواكف ـ يعني الاثافي لأن الريح لما كنفت عنها وظهرت صارت كأنها هي أجدت الرسم ٠٠ ويحتمل وجه آخر وهو أن يكون معنى أجدّت انها حملت الرماد الذي أحاطت به من لعب الرّياح فبقي بحالة يستدل بها المترسم فكأن الرياح درست الربع ومحته إلاّ ما أجدّته هذه الاثافي من الرماد ومنعت الريح عنه ويجرى ذلك مجرى قول المخبل * إلاّ رماداً هامداً * البيت ٠٠ وقال مزار الفقعسي في الاثافي

أَثَرُ الوَقُودِ على جَوَانِبِهَا ... بِخُدُودِهِنَّ كَأَنَّهُ لَطْمُ

ويقال ان أبا تمام الطائي أخذ ذلك في قوله

قِفُوا نُعْطِ المَنَازِلَ مِنْ عُيُونٍ ... لَهَا فِي الشَّوْقِ أَحْشَاءٌ غِزَارُ

عَفَتْ آيَاتُهُنَّ وَأَيُّ رَبْعٍ ... يَكُونُ لَهُ عَلَى الزَّمَنِ الخِيَارُ

اثَافٍ كَالخُدُودِ لُطِمْنَ حُزْنًا ... وَنُؤْيٌ مِثْلُ مَا انْفَصَمَ السِّوَارُ

وقد عاب عليه قوله لطمن حزناً بعض من لا معرفة له وقال لا فائدة في قوله حزنا ولذلك فائدة وذلك ان لطم الحزن أوجع فتأثيره أبلغ وأظهر وأبين وقد يكون اللطم

لغير الحزن فأما قوله * ونؤيٌ مثل ما انفصم السوارُ * فمأخوذ من قول الشاعر

نؤيٌ كما انقضّ الهلالُ مخافةً أو مثلما فصمَ السوارَ المعصمُ

وقد شبه الناس النؤي بالسوار والخلخال كثيراً أو بغير ذلك .. قال كثير

عرفتُ لسُعْدَى بعدَ عشرينَ حجّةً بما درسَ نُؤْيٌ في المَحلّةِ مُنْحَنِ (١)

قديمٌ كوَقفِ العاجِ ثَبْتٌ حواؤهُ مغادِرُ أوتادٍ برَضمٍ مُوَضّنِ

ـ الوقف ـ السوار من الذبل ومن العاج ـ والرضم ـ صخور عظام ـ والموضن ـ الذي بعضه فوق بعض .. وقال بشار

ونؤيٌ كخلخالِ الفتاةِ وصائمٌ أشجُّ على رَيْبِ الزمانِ رَقوبُ

ـ الصائم الأشج ـ يعني الوتد وانما وصفه بانه صائم لقيامه وثباته وجعله رقوباً لانفراده والمرأة الرقوب والشيخ الرقوب الذي لا يعيش له ولد .. ومن مستحسن ما وصف به النؤي قول أبي تمام

والنُّؤيُ أهمدَ شطرُهُ فكأنّهُ تحتَ الحوادثِ حاجبٌ مُقرونُ (٢)

---

(١) ـ درس ـ بسكون الراء أصله درس بفتحها وسكنت وكل ذلك جائز في كل فعل ثلاثي فان كانت عينه حلقية فهو مقيس وإلاّ فحكمه الضرورة يقال درس الرسم عفا ودرسته الريح محته لازم متعد ـ ومنحن ـ دارس

(٢) البيت من قصيدة يمدح بها الواثق بالله أولها

وأبى المنازل إنها لشجون وعلى المعجومة انها لتبين

فاعقل بنضوالدار نضوك يقتسم فرط الصبابة مسعد وحزين

لا تمنعني وقفة أشفي بها داء الفؤاد فانها ماعون

واسق الأثافي من شؤونك ربها ان الضنين بدمعه لضنين

والنؤي أهمد شطره فكأنه تحت الحوادث حاجب مقرون

حزن غداة الحزن هاج غليله في أبرق الحنان منك حنين

وقال المتنبي في ذلك

قِفْ على الدِّمْنَتَيْنِ بالدَّوِّ من رَيْـ ... ـا كَخَالٍ في وَجْنَةٍ جَنْبَ خالِ
بِطُلُولٍ كأَنَّهُنَّ نُجُومٌ ... في عِرَاصٍ كأَنَّهُنَّ لَيَالِي
وَنُؤِيٍّ كأَنَّهُنَّ عليهِ ... نَّ خِدَامٌ خُرْسٌ بِسُوقِ خِدَالِ(١)

ـالخدام ـ جمع خدمة وهي الخلخال وجعلها خرس لانها غير قلقة وشبه ما أحدق به النؤى من الأرض وامتلائها بامتلاء الخلخال من الساق الخدلة وهي الممتلئة

سمة الصبابة زفرة أو عبرة ... متكفل بهما حشا وشؤون
لولا التفجع لادعى هضب الحمى ... وصفي المشقر انه محزون

(١) الأبيات من قصيدة يمدح بها عبد الرحمن بن المبارك الانطاكي ومطلعها

صلة الهجر لي وهجر الوصال ... تكسباني في السقم نُكْسَ الهلال
فغدا الجسم ناقصاً والذي ينـ ... ـقص منه يزيد في بلبال
قف على الدمنتين .. الأبيات الثلاثة .. ومنها
ما تريد الذوي من الحية الذوّاق حر الفلا وبرد الظلال
فهو أمضى في الروع من ملك الموت وأسرى في ظلمة من خيال
ولحتف في العز يدنو محب ... ولعمر يطول في الذل قال
نحن ركب ملجمون في زي ناس ... فوق طير لها شخوص الجمال
من بنات الجديل تحتي بناقي الـ ... ـبيد مثنى الايام في الآجال
كل هوجاء للدياميم فيها ... أثر النار في سليط الذبال
عامدات للبدر والبحر والضـ ... ـرغامة ابن المبارك المفضال
من يزره يزر سليمان في المل ... ـك جلالا ويوسفاً في الجمال
وربيع يضاحك الغيث فيه ... زهر الشكر من رياض المعالي
نفحتنا منه الصبا بنسيم ... ورواحاً في ميت الآمال
همُّ عبد الرحمن نفع الموالي ... وبوار الأعداء والأموال

مجلس آخر ٥٢

[تأويل آية] .. إن سأل سائل عن قوله تعالى (وإذ قال موسى لقومه ان الله يأمركم أن تذبحوا بقرة) الى قوله (الآن جئت بالحق فذبحوها وما كادوا يفعلون) .. فقال ما تأويل هذه الآيات وهل البقرة التي نعتت بهذه النعوت هي البقرة المرادة باللفظ الأول والتكليف واحد والمراد مختلف أو التكليف متغاير .. الجواب قلنا أهل العلم في تأويل هذه الآية مختلفون بحسب اختلاف أصولهم فمن جوّز تأخير البيان عن وقت الخطاب يذهب الى أن التكليف واحد وان الأوصاف المتأخرة هي البقرة المتقدّمة وانما تأخر البيان عن وقت الخطاب ولما سئل عن الصفات ورد البيان شيئاً بعد شيء ومن لم يجوّز تأخير البيان يقول ان التكليف متغاير وانهم لما قيل لهم اذبحوا بقرة لم يكن المراد منهم إلاّ ذبح أي بقرة شاؤا من غير تعيين بصفة ولو انهم ذبحوا أي بقرة اتفقت كانوا قد امتثلوا الأمر فلما لم يفعلوا كلفوا ذبح بقرة لا فارض ولا بكر ولو ذبحوا ما اختص بهذه الصفة من أي لون كان لأجزأ عنهم فلما لم يفعلوا كلفوا ذبح بقرة صفراء فلما لم يفعلوا كلفوا ذبح ما اختص بالصفات الأخيرة .. ثم اختلف هؤلاء من وجه آخر فمنهم من قال في التكليف الأخير انه يجب أن يكون مستوفياً لكل صفة تقدّمت حتى تكون البقرة مع انها غير ذلول تثير الأرض ولا تسقي الحرث مسلمة لا شية فيها سفراء فاقع لونها ولا فارض ولا بكر فمنهم من قال انما يجب أن يكون بالصفة الأخيرة فقط دون ما تقدّم فظاهرها ما تقدم الكتاب بالقول الأول أشبه وهو المبني على جواز تأخير البيان وذلك انه تعالى لما كلفهم ذبح بقرة قالوا للرسول عليه الصلاة والسلام (ادع لنا ربك يبين لنا ما هي) فلا يخلو قولهم ما هي من أن يكون كناية عن البقرة المتقدم ذكرها أو عن التي أمروا بها ثانياً على قول من يدعي ذلك وليس يجوز أن يكونوا سألوا عن الصفة التي تقدم ذكرها لان الظاهر من قولهم ما هي بعد قوله لهم اذبحوا بقرة يقتضي أن يكون السؤال عن صفة البقرة المأمور بذبحها لانهم لا علم لهم بتكليف ذبح بقرة أخرى فيستفهموا عنها واذا صح أن السؤال انما كان عن صفة البقرة المتكرّرة التي أمروا في الابتداء بذبحها فليس يخلو قوله انها بقرة

لافارض ولا بكرٌ من أن يكون كناية عن البقرة الأولى أو عن غيرها وليس يجوز أن يكون ذلك عن بقرة ثانية لان ظاهر قوله تعالى (انها بقرة لا فارضٌ ولا بكرٌ) من أن يكون كناية عن البقرة الأولى أو عن غيرها وليس يجوز أن يكون ذلك كناية عن بقرة ثانية لان ظاهر قوله تعالى (إنها بقرة) من صفتها كذا وكذا بعد قولهم ماهي يقتضي أن يكون كناية متعلقة بما تضمنه سؤالهم وان الأمر لو لم يكن على ماذكرناه لم يكن ذلك جواباً لهم بل كان يجب أن يكونوا سألوه عن شيء فأجابهم عن غيره وهذا لايليق بالنبي عليه الصلاة والسلام على انه تعالى لما أراد أن يكلفهم تكليفاً ثانياً عند تفريطهم في الأول على مايدعيه من يذهب الى هذا المذهب قد كان يجب أن يجيبهم عن سؤالهم وينكر عليهم الاستفهام في غير موضعه وتفريطهم فيما أمروا به مما لا حاجة بهم الى الاستفهام عنه فيقول في جواب قولهم ماهي انما كلفهم أي بقرة شئتم وما يستحق اسم بقرة وقد فرطتم في ترك الامتثال وأخطأتم في الاستفهام مع وضوح الكلام إلا انكم قد كلفتم ثانياً كذا وكذا لان هذا مما يجب عليه بيانه لازالة الشك والايهام واللبس فلما لم يفعل ذلك وأجاب بالجواب الذي ظاهره يقتضي التعلق بالسؤال علم ان الأمر على ماذكرناه وهب انه لم يفعل ذلك في أول سؤال كيف لم يفعله مع تكرار الأسئلة والاستفهامات التي لم تقع على هذا المذهب بموقعها ومع تكرر المعصية والتفريط كيف يستحسن أن يكون جميع أجوبته غير متعلقة بسؤالاتهم لانهم يسألونه عن صفة شيء فيجيبهم بصفة غيره من غير بيان بل على أقوى الوجوه الموجبة لتعلق الجواب بالسؤال لان قول القائل في جواب من سأله ما كذا وكذا انه بالصفة الفلانية صريح في ان الهاء كناية عن ماوقع السؤال عنه هذا مع قولهم ان البقر تشابه علينا لانهم لم يقولوا ذلك إلا وقد اعتقدوا ان خطابهم مجمل غير مبين فلم لم يقل أي تشابه عليكم وانما أمرهم في الابتداء بأي بقرة كانت وفي الثاني انما اختص باللون المخصوص من أي البقر كان .. فان قيل كيف يجوز أن يأمرهم بذبح بقرة لها جميع الصفات المذكورة الى آخر الكلام ولا يبين ذلك لهم وهذا تكليف مالا يطاق .. قلنا لم يرد منهم أن يذبحوا البقرة في الثاني من حال الخطاب ولو كانت حال الحاجة الى الفعل حاضرة لما

جاز أن يتأخر البيان لان تأخيره عن وقت الحاجة هو القبيح الذي لا شبهة في قبحه وانما أراد أن يذبحوها في المستقبل فلو لم يستفهموا ويطلبوا البيان لكان قد ورد عليهم عند الحاجة اليه .. فان قيل اذا كان الخطاب غير متضمن لصفة ما أمروا بذبحه فوجوده كعدمه وهـذا يخرجه من باب الفائدة ويوجب كونه عبثاً .. قلنا ليس يجب ماظننتم لان القول وان كان لم يفد صفة البقرة بعينها فقد أفاد تكليف ذبح بقرة على سبيل الجملة ولم يكن ذلك معلوماً قبل هذا الخطاب فصار مفيداً من حيث ذكرناه وخرج من أن يكون وجوده كعدمه وفوائد الكلام لا يجب أن يدخلها الاقتراح وليس يخرج الخطاب من تعلقه ببعض الفوائد كونه غير متعلق بغيرها وبما هو زيادة عليها .. فان قيل ظاهر قوله تعالى (فذبحوها وما كادوا يفعلون) يدل على استبطائهم وذمهم على التقصير في امتثال الأمر .. قلنا ليس ذلك صريح ذم لأن كادوا للمقاربة وقد يجوز أن يكون التكليف صعب عليهم لغلاء ثمن البقرة التي تكاملت لها تلك الصفة فقد روي انهم ابتاعوها بملء جلدها ذهباً على ان الذم يقتضي ظاهره أن يصرف الى تقصيرهم أو تأخيرهم امتثال الأمر بعد البيان التام لان قوله تعالى (وما كادوا يفعلون) انما ورد بعد تقدم البيان التام المتكرر ولا يقتضي ذمهم على ترك المبادرة في الأول الى ذبح بقرة فليس فيه دلالة على مايخالف ما ذكرناه .. فان قيل لو ثبت تقديراً أن التكليف في البقرة متغاير أي القولين اللذين حكيتموها عن أهل هذا المذهب أصح وأشبه .. قلنا قول من ذهب الى أن البقرة انما يجب أن تكون بالصفة الأخيرة فقط لان الظاهر يقتضي ذلك وهو أشبه من حيث انه اذا ثبت تغاير التكليف وليس في قوله إنها بقرة لا ذلول تثير الأرض الى آخر الأوصاف ذكر لما تقدم من الصفات وهذا التكليف غير الأول فالواجب اعتبار ما تضمنه لفظه والاقتصار عليه .. فأما ـ الفارض ـ فهي المسنة وقيل هي العظيمة الضخمة يقال ضرب فارض أي ضخم والفرب الدلو ويقال أيضاً لحية فارضة اذا كانت عظيمة والأشبه بالكلام أن يكون المراد المسنة .. فأما ـ البكر ـ فهي الصغيرة التي لم تلد فكأنه تعالى قال غير مسنة ولا صغيرة ـ والعوان ـ دون المسنة وفوق الصغيرة وهي النصف التي قد ولدت بطناً أو بطنين يقال حرب عوان اذا لم تكن أول حرب وكانت ثانية وانما

جاز أن يقول بين ذلك وبين لا يكون إلاّ بين اثنين أو أكثر لان لفظة ذلك تنوب عن الجمل تقول ظننت زيداً قائماً فيقول القائل قد ظننت ذاك وقد ظننت ذلك وقد ظن ذاك .. ومعنى ـ فاقع لونها ـ أي خالصة الصفرة وقيل ان كل ناصع اللون بياضاً كان أو غيره فهو فاقع وقيل انه أراد بصفراء ههنا ـ سوداء .. ومعنى قوله تعالى (لا ذلول تثير الأرض) أي تكون صعبة لا يذللها العمل في إثارتها الأرض وسقي الزرع .. ومعنى ـ مسلمة ـ مفعلة من السلامة من العيوب .. وقال قوم مسلمة من الشية أي لا شية فيها تخالف لونها .. وقوله ـ لا شية فيها ـ أي لا عيب فيها وقيل لا وضح وقيل لا لون يخالف لون جلدها والله أعلم بما أراد وإياه نسأل التوفيق .. [قال الشريف المرتضى] رضي الله عنه .. كنت أظن ان المتنبي قد سبق الى معنى قوله في مرثية أخت سيف الدولة

طَوى الجَزيرَةَ حتّى جاءني خبرٌ ... فزِعْتُ فيهِ بآمالي إلى الكَذِبِ

حتّى إذا لمْ يَدَعْ لي صِدْقُهُ أملا ... شرِقْتُ بالدّمعِ حتى كادَ يَشْرَقُ بي

حتى رأيت هذا المعنى لمسلم بن الوليد الأنصاري وللبحتري .. أما الذي لمسلم فقوله في قصيدة يرثي بها سهل بن الصباح

وَقَفَتِ العُفاةُ عليكَ منْ مُتَحيِّرٍ ... ولهُ الرّجاءُ وذو غِنىً يَتَزَحزَحُ

وَمُخادِعُ السَّمعِ النَّعِيَّ وَدُونَهُ ... خَطْبٌ أَلَمَّ بصادِقٍ لمْ يَخْدَعِ

وقال البحتري يرثي وصيفا التركي

إذا جَدَّ ناعيهِ توهَّمْتُ أنَّهُ ... يُكَرِّرُ منْ أخبارِهِ قَوْلَ مازِحِ

وكنت أظن ان المتنبي سبق الى قوله

تَحُلُّ القَنَا يَوْمَ الطِّعانِ بعَقْوَتي ... فأَحْرِمُهُ عِرْضي وأُطْعِمُهُ جِلْدِي (١)

(١) ـ القنا ـ جمع قناة وهي الرمح ـ وعقوتي ـ ساحتي ـ والعرض ـ موضع الذم والمدح من الانسان .. والمعنى ان الطعن يقع في ساحته فيجعل جلده طعماً له ولا ينهزم خوفاً من الطعن في عرضه وهو من قصيدة يودع بها ابن العميد عند مسيره قاصداً سيف

حتى رأيت هذا المعنى بعينه واللفظ لحميد بن ثور الكلابي من أهل اليمامة في قوله

ثنى قَوْمَهُ عن خِنْدِرجانٍ وقَدْحَنا ... الى المَوْتِ دَامِي الصَّفْحَتَيْنِ كَلِيمُ

أَخُو الحَرْبِ إِمَّا جِلْدُهُ فَمُجَرَّحٌ ... كَلِيمٌ وَإِمَّا عِرْضُهُ فَسَلِيمُ

وكنت أظن ان البحتري سبق الى معنى قوله في الفتح بن خاقان

حَمَلَتْ إِلَيْهِ السَّيْفَ لا عَزْمُكَ انْثَنَى ... وَلاَ يَدُكَ ارْتَدَّتْ وَلاَ حَدُّهُ نَبَا

حتى وجدت لشاعر متقدم

طَعَنْتُ ابْنَ دَهْمَانٍ بِنَجْرَانَ طَعْنَةً ... شَقَقْتُ بِهَا عَنْهُ مُضَاعَفَةَ السَّرْدِ

الدولة ثم قتله فاتك الأسدي ومطلعها

لسيت وما أنسى عتاباً على الصد ... ولا خفراً زادت به حمرة الخد

ولا ليلة قصرتها بقصيرة ... أطالت يدي في جيدها صحبة العقد

ومن لي بيوم مثل يوم كرهته ... قربت به عند الوداع من البعد

وإلاّ يخص الفقد شيئاً لانني ... فقدت فلم أفقد دموعي ولا وجدي

تمنّ يلد المستهام بذكره ... وان كان لا يفنى فتيلا ولا يجدي

وغيظ على الأيام كالنار في الحشى ... ولكنه غيظ الأسير على القيد

فإمّا تريني لا أقيم ببلدة ... فآفة غمدي في دلوقي وفي حدي

يحل القنا يوم الطعان بعقوتي ... فأحرمه عرضي وأطعمه جلدي

تبدل أيامي وعيشي ومنزلي ... نجائب لا يفكرن في النحس والسعد

وأوجه فتيان حياء تلثموا ... عليهنّ لا خوفاً من الحر والبرد

وليس حياء الوجه في الذئب شيمة ... ولكنه من شيمة الأسد الورد

اذا لم تجزهم دار قوم مودة ... أجاز القنا والخوف خير من الود

يحيدون عن هزل الملوك الى الذي ... توفر من بين الملوك على الجد

فَلَا الكَفُّ أَوْهَتْ بِي وَلَا الرُّمْحُ خَانَنِي ... وَلَا الأَذْهَمُ المَنْعُوتُ حَادَ عَنِ القَصْدِ

قال محمد بن يحيى الصولي وصف الناس سفرة اللون في العلل فكل حكى ذلك وقال بلا فضيلة الا البحتري فانه أغرق من أبيات قال امرأة بن أينات[1]

جَعَلْتُ وَمَا عَايَنْتُ عِطْرًا كَأَنَّمَا ... جَرَى بَيْنَ جِلْدِي وَالعِظَامِ خَلُوقُ

وقال أبو تمام

لَمْ يَشِنْ وَجْهَهُ المَلِيحَ وَلَكِنْ ... جَعَلَتْ وَرْدَ وَجْنَتَيْهِ بَهَارَا

وقال غيره

لَمْ تُشَنْ شَيْئًا وَلَكِنَّهَا ... بَدَّلَتِ التُّفَّاحَ بِاليَاسَمِينِ

وقال أبو بكر عيسى الزاهي

عِلَّةٌ زَعْفَرَتْ مُوَرَّدَ خَدِّ ... كَادَ مِنْ رِقَّةٍ وَرِيٍّ يَفِيضُ

ولأحمد بن يزيد المهلبي

وَقَالُوا غَزَتْ غَرَّاءُ حَيَّ شَدِيدَةٌ ... فَوَجَنْتُهَا مِنْهَا شَدِيدٌ صَفَارُهَا

فَقُلْتُ لَهُمْ هَيْهَاتَ هَاتِيكَ رَوْضَةٌ ... مَضَى وَرْدُهَا عَنَّا وَجَاءَ بَهَارُهَا

ولأبي العتاهية

وَكَأَنَّنِي مِمَّا تَطَاوَلَ بِي ... مِنْكَ السَّقَامُ طَلِيتُ بِالوَرْسِ

وقال ابن المعتز

وَصَفَّرَتْ عِلَّتُهُ وَجْهَهُ ... فَصَارَ كَالدِّينَارِ مِنْ حُقِّ

وقال البحتري

بَدَتْ صُفْرَةٌ فِي لَوْنِهِ إِنَّ حَمْدَهُمْ ... مِنَ الدُّرِّ مَا اصْفَرَّتْ نَوَاحِيهِ فِي العِقْدِ

(١) هكذا فيما وقفنا عليه من النسخ على انه لم يظهر لنا استقامة المعنى فليحرر

وَجَرَّتْ عَلَى الأَيْدِي مَجَسَّةُ كَفِّهِ كَذَلِكَ مَوْجُ البَحْرِ مُلْتَهِبُ الوَقْدِ
وَمَا الكَلْبُ مَحْمُوماً وَإِنْ طَالَ عُمْرُهُ أَلاَ إِنَّمَا الحُمَّى عَلَى الأَسَدِ الوَرْدِ[1]

[قال الشريف المرتضى] رضى الله عنه .. أما تشبيه صفرة اللون بصفرة الدر فهو تشبيه مليح موافق لغرضه إلاّ أنه أخطأ في قوله ان حمدهم من الدر ما اصفرّت نواحيه في العقد لان ذلك ليس بمحمود بل مذموم ولو شبه وترك التعليل لكان أجود .. وروى أبو العباس أحمد بن فارس المنيجي قال حدثنا أبو أحمد عبيد الله بن يحيى البحتري قال حدثني أبي قال حدثني جدّي البحتري قال كنت عند أبي العباس المبرد يوماً فتذاكرنا شعر عمارة بن عقيل فقال أبو العباس لقد أحسن عمارة في قوله لخالد بن يزيد لما وجّه اليه بهذين البيتين

لَمْ أَسْتَطِعْ سَيْرًا لِمَدْحَةِ خَالِدٍ فَجَعَلْتُ مَدْحِيهِ إِلَيْهِ رَسُولاَ
فَلَيَرْحَلَنَّ إِلَيَّ نَائِلُ خَالِدٍ وَلَيَكْفِيَنَّ رَوَاحِلِي التَّرْحِيلاَ

قال البحتري فقلت له لمروان بن أبي حفصة في عبد الله بن طاهر وقد أتاه نائله من الجزيرة ماهو أحسن من هذا وأنشدته

لَعَمْرِي لَنِعْمَ الغَيْثُ غَيْثُ أَصَابَنَا بِبَغْدَادَ مِنْ أَرْضِ الجَزِيرَةِ وَابِلُهْ
فَكُنَّا كَحَيٍّ صَبَّحَ الغَيْثُ أَهْلَهُ وَلَمْ يُرْتَحَلْ أَظْعَانُهُ وَرَوَاحِلُهْ

---

[١] هي من أبيات يمدح بها ابراهيم بن المدبر ويذكر علة نالته ومطلعها

بأنفسنا لا بالطوارف والتلد نفيك الذي تخفي من الشكو أو تبدي
بنا معشر العافين ما بك من أذى فان أشفقوا مما أقول فبي وحدي
ظللنا نعود المجد من وعكك الذي وجدت وقلنا العلّ بعضو من المجد
ولم نتصف الليث افتسمنا نواله ولم نقتسم حتّاه إذ أقبلت ترددى

بدت صفرة من لونه الأبيات الثلاثة .. وبعدها

ولست ترى عود القتادة خافقاً سموم الرياح الآخذات من الرند

فقال نعم هذا أحسن فقلت له ان لي في بني السمط وقد أتاني برهم من حمص مالا يقطع عن الجميع وأنشدته

جَزَى اللهُ خَيْرًا والجَزَاءُ بِكَفِّهِ ... بَنِي السِّمْطِ أَخْدَانَ السَّمَاحَةِ وَالمَجْدِ

هُمُ وَصَلُونِي وَالمَهَامِهُ بَيْنَنَا ... كَمَا أَرْفَضَّ غَيْثٌ مِنْ تِهَامَةَ فِي نَجْدِ

فقال هذا والله أرق مما قالا وأحسن .. وروى أحمد بن فارس المتيحي عن عبيد الله ابن يحيى بن البحتري قال حدثنا أبي عن جماعة من أهل العلم والأدب منهم يموت بن المزرع قال قلت لأبي عثمان الجاحظ من أنسب العرب فقال الذي يقول

عَجِلَتْ إِلَى فَضْلِ الخِمَارِ فَأَثَّرَتْ ... عَذَبَاتُهُ بِمَوَاضِعِ التَّقْبِيلِ

وقال هذا للبحتري في القصيدة التي أولها

صَبٌّ يُخَاطِبُ مُفْحَمَاتِ طُلُولِ [١]

---

[١] هو مطلع قصيدة يمدح بها الفضل بن اسماعيل الهاشمي

صب يخاطب مفحمات طلول ... من سائل بالك ومن مسؤول

حملت معالمهن أعباء البلى ... حتى كأنّ نحولهنّ نحولي

ياوهب هب لأخيك وقفة مسعد ... يعطي الأسى من دمعه المبذول

أو ماترى الدّمن الخيلة تشتكي ... غدرات عهد للزمان محيل

إن كنت تنكرها فقد عرف الهوى ... قدماً معارف رسمها المجهول

تلك التي لم يعدها قصد الهوى ... مالت مع الواشين كل ميل

عجلت الى فضل الخمار فأثرت ... عذباته بمواضع التقبيل

وتبسمت عند الوداع فأشرقت ... إشراقه عن عارض مصقول

أأخيب عندك والصبا لي شافع ... وأرد دونك والشباب رسولي

ولقد تأملت الفراق فلم أجد ... يوم الفراق على امرء بطويل

قصرت مسافته على منزوّد ... منه لدهر صبابة وعويل

[وقال الشريف المرتضى] رضى الله عنه ... وفي نسيب هذه القصيدة بيت ليس يقصر في الملاحة والرشاقة وأخذه بمجامع القلوب عن البيت الذي فضله به الجاحظ وهو

أأُخيبُ عندكِ والصِّبا لي شافعٌ ... وأُرَدُّ دُونَكِ والشبابُ رَسُولي

وفي مديح هذه القصيدة بيت معروف بغرط الحسن وهو

لاَ تَطْلُبَنَّ لَهُ الشَّبِيهَ فَإِنَّهُ ... قَمَرُ التَّأَمُّلِ مُزْنَةُ التَّأْمِيلِ

وبهذا الاسناد عن يحيى بن البحتري قال انصرفت يوماً من مجلس أبي العباس محمد بن يزيد المبرد فقال لي أبي البحتري ما الذي أفدت يومك هذا من أبي العباس قلت أملى علىَّ أخباراً حسنة وأنشدني أبياتاً للحسين بن الضحاك فقال أبي أنشدني الأبيات فأنشدته

كأَنِّي إِذَا فارَقْتُ شَخْصَكَ ساعَةً ... لِفَقْدِكَ بَيْنَ العالَمِينَ غَرِيبُ

وَقَدْ رُمْتُ أَسْبابَ السُّلُوِّ فَخانَنِي ... ضَمِيرٌ عَلَيْهِ في هَوَاكَ رَقِيبُ

أَغَرَّكَ صَفْحِي عَنْ ذُنُوبٍ كَثِيرَةٍ ... وَغَضِّي على أَشْيَاءَ مِنْكَ تَرِيبُ

كأَنْ لَمْ يَكُنْ في النَّاسِ قَبْلِي مُتَيَّمٌ ... وَلَمْ يَكُ في الدُّنْيا سِوَاكَ حَبِيبُ

إِلى اللهِ أَشْكُو إِنْ شَكَوْتُ فَلَمْ يَكُنْ

لِشَكْوَايَ مِنْ عَطْفِ الحَبِيبِ نَصِيبُ

وإذا الكرام تنازعوا أكرومة ... فالفضل للفضل بن اسماعيل

قسموا على أخلاقهم فتفاوتوا ... فلهنَّ قسمة غرَّة وحجول

في كل مكرمة يد مبسوطة ... من فاضل منهم به مفضول

لا تطلبنَّ له الشبيه فانه ... قمر التأمل مزنة التأميل

جاز المدى فرمي بغير مناضل ... في سُؤدد وجرى بغير رسيل

فمتى سمت عين الحسود لفخره ... طرفت بطرف من علاه كليل

فقال ما أحسن هذا الكلام وأنشدني لنفسه

حبيبي حبيبٌ يكتمُ الناسَ إنهُ ... لنا حينَ تلقانا العيونُ حبيبُ
يباعدُني في الملتقى وفؤادُهُ ... وإنْ هوَ أبدى لي البعادَ قريبُ
ويُعرضُ عني والهوى منهُ مقبلٌ ... إذا خافَ عيناً أو أشارَ رقيبُ
فتنطقُ مِنّا أعيُنٌ حينَ نلتقي ... وتحرسُ مِنّا ألسنٌ وقلوبُ

ثم قال يا بني اروِ هذين فانهما من أحسن الشعر وطريفه .. روى أحمد بن فارس المنيجي عن أبي نصر محمد بن اسحق النحوي قال سمعت بعض أهل الأدب يقول للزجاج قد كنت تعرف أبا العباس المبرد وكبره وانه ما كان يقوم لأحدٍ ولا يتطاول له وينشد اذا أشرف عليه الرجل

نَهْلانُ ذُو الهِضَباتِ لا يَتَحلحَلُ [1]

ولقد رأيته يوماً وقد دخل عليه رجل متدرع فقام اليه أبو العباس فاعتنقه وتنحى عن موضعه وأجلسه فجعل الرجل يكفه ويستعفيه من ذلك فلما أكثر من ذلك عليه أنشده أبو العباس

أتنكرُ أنْ أقومَ وقد بدا لي ... لأكرمَهُ وأعظمَهُ هشامُ
فلا تنكرْ مبادرتي اليه ... فإنّ لمثلهِ خُلقَ القيامُ

فلما انصرف الرجل سألت عنه فقيل لي هذا البحتري

مجلس آخر ٥٣

[تأويل آية أخرى] .. إن سأل سائل عن قوله تعالى في قصة قابيل وهابيل حاكياً عن هابيل (لئن بسطت اليّ يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي اليك لأقتلك إني أخاف

(١) صدر البيت ● فارفع بكفك ان أردت بقاءنا ●

الله رب العالمين إني أريد أن تبوء بإثمي وإثمك الآية) .. فقال كيف يجوز أن يخبر تعالى عن هابيل وقد وصفه بالتقوى والطاعة بأنه يريد أن يبوء أخوه بالإثم وذلك ارادة القبيح وارادة القبيح قبيحة عندكم على كل حال ووجه قبحها كونها ارادة لقبيح وليس قبحها مما يتغير وكيف يصح أن يبوء القاتل بإثمه وإثم غيره وهل هذا الا ما يأبونه من أخذ البريء بجرم السقيم .. الجواب قلنا جواب أهل الحق عن هذه الآية معروف وهو ان هابيل لم يرد من أخيه قبيحاً ولا أراد أن يقتله وانما أراد ما خبر الله تعالى به عنه من قوله (إني أريد أن تبوء بإثمي وإثمك) أي تبوء بجزاء ماقدمت عليه من القبيح وعقابه وليس بقبيح أن يريد نزول العقاب المستحق بمستحقه ولنظير قوله إثمي مع أن المراد به عقوبة إثمي الذي هو قتلي قول القائل عمن يعاقب على ذنب جناه هذا ما كسبت يداك والمعني هذا جزاء ما كسبته يداك وكذلك قولهم لمن يدعون عليه لفاك الله عملك وسيلقى عملك يوم القيامة معناه ما ذكرناه .. فان قيل كيف يجوز أن يحسن ارادة عقاب غير مستحق لم يقع سببه لان القتل على هذا القول لم يكن واقعاً .. قلنا ذلك جائز بشرط وقوع الأمر الذي يستحق به العقاب فهابيل لما رأى من أخيه التصميم على قتله والاصرار والعزم على إمضاء القبيح فيه وغلب على ظنه وقوع ذلك جاز أن يريد عقابه بشرط أن يفعل ما هم به وعزم عليه .. فأما قوله إثمي وإثمك فالمعنى فيه واضح لانه أراد بإثمي عقاب قتلك لي وبإثمك أي عقاب المعصية التي أقدمت عليها من قبلي فلم يتقبل قربانك لسببها لان الله تعالى أخبر عنهما بانهما قرّبا قرباناً فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر وان العلة في ان قربان أحدهما لم يتقبل انه غير متق وليس يمتنع أن يريد بإثمي ما ذكرناه لأن الاثم مصدر والمصادر قد تضاف الى الفاعل والمفعول جميعاً وذلك مستعمل مطرد في القرآن والشعر والكلام فمثال ماأضيف الى الفاعل .. قوله تعالى (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض) ومن اضافته الى المفعول .. قوله تعالى (لا يسأم الانسان من دعاء الخير وان مسه الشر) .. وقوله تعالى (لقد ظلمك بسؤال نعجتك

الى لعاجه) ٠٠ ومما جاء في الشعر من اضافته الى المفعول ومعه الفاعل قول الشاعر

أَمِنْ رَسْمِ دَارٍ مَرْبَعٌ وَمَصِيفُ لِعَيْنَيْكَ مَنْ مَاءِ الشُّؤُونِ وَكِيفُ[1]

---

(١) قوله * أمن رسم دار الخ * هو مطلع قصيدة للحطيئة عدتها ثمانية عشر بيتاً مدح بها سعيد بن العاص الأموي لما كان والياً بالكوفة لعثمان بن عفان رضي الله عنه قوله * أمن رسم دار الخ * الهمزة للاستفهام التقريري ومن تعليلية متعلقة بوكيف وهو مصدر وكف وكوفاً ووكيفاً سال شيئاً فشيئاً وتأويله أمن رسم داراً مربع أي أثر فيها آثاراً والرسم الأثر بلا شخص ـ والشؤون ـ مجاري الدمع من الرأس الى العين واحدها شأن ٠٠ وقوله ـ لعينيك ـ جار ومجرور متعلق بمحذوف خبر مقدم على المبتدا وهو وكيف يروى بالتنية ويروى بالافراد ـ ومربع ـ فاعل المصدر وهو رسم وهو على حذف مضاف والتقدير مطره ونحوه وهو وما بعده اسمان لزمن الربيع والصيف ويأتيان اسمي مكان ومصدرين أيضاً وهذه الصيغة تشترك فيها هذه المعاني وهي صيغة قياسية يذكرها الصرفيون والمذكور في كتب اللغة انما هو المربع بمعنى منزل القوم في الربيع خاصة وبعد البيت

رشاش كغربي هاجري كلاهما له داجن بالكسرتين عليف
اذا كرّ غرباً بعد غرب أعاده على رغمه وافي السبال عنيف
تذكرت فيها الجهل حتى تبادرت دموعي وأصحابي عليّ وقوف
يقولون هل يبكي من الشوق مسلم تخلى الى وجه الإله حنيف
فلا يأ أزاحت علتي ذات ملمم نكيب تعالى في الزمام خنوف
مقذفة باللحم وجناء عدوها على الأين إرقال معاً ووجيف
اليك سعيد الخير جبت مهامها يقابلني آل بها وشنوف
ولولا الذي العاصي أبوه تعلقت بحوران بجذام العنى عصوف
ولولا أصيل اللب غضّ شبابه كريم لأيام المنون عروف
اذا همّ بالأعداء لم يثن همه كعاب عليها لؤلؤ وشنوف
خصان لها في البيت زي وبهجة ومشي كما تمشي القطاة قطوف

في الكلام يقول القائل أعجبني ضرب عمرو خالداً اذا كان عمرو فاعلا وضرب عمرو خالدٌ اذا كان عمرو مفعولا ٠٠وقد ذكر قومٌ في الآية وجهاً آخر وهو أن يكون المراد إني أريد زوال أن تبوء بإثمي وإثمك لانهم يرد له إلاّ الخير والرشد فحذف الزوال وأقام ان وما اتصل بها مقامه كما قال تعالى (وأشربوا في قلوبهم العجل) أراد حب العجل فحذف الحب وأقام العجل مقامه وكما قال تعالى (واسأل القرية) وهذا قول بعيد لانه لادلالة في الكلام على محذوف وانما تستحسن العرب الحذف في بعض المواضع لاقتضاء الكلام المحذوف ودلالته عليه ٠٠وذكر أيضاً وجه آخر وهو أن يكون المعنى إني أريد أن لاتبوء بإثمي وإثمك أي أريد أن لاتقتلني ولا أقتلك فحذف لا واكتفى بما في الكلام كما قال تعالى (يبين الله لكم أن تضلوا) معناه أن لاتضلوا وكقوله تعالى (وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم) معناه أن لاتميد بكم وكقول الخنساء

فأقسمتُ آسي على هالك ... وأسألُ نائحةً ماليا

أرادت لاآسى ولا أسأل ٠٠وقال امرؤ القيس

فقالتْ يمينَ اللهِ أبرَحُ قاعدًا ... ولوقطعُوارأسي لَدَيْكِ وأوصالي

أراد لاأبرح ٠٠ وقال عمرو بن كلثوم

نزلتمْ منزلَ الأضيافِ منا ... فعجّلنا القِرَى أنْ تشتمُونَا

أراد أن لاتشتمونا والشواهد في هذا كثيرة جدًا وهذا الجواب يضعفه كثير من أهل

ولوشاءواري الشمس من دون وجهه ... حجاب ومطوي السراة منيف

ولكنّ إدلاجاً بشهباء نخمة ... لها لُقَحٌ في الأعجمين كثوف

اذا قادها للموت يوماً تتابعت ... ألوف على آثارهن ألوف

فصفوا وما ذي الحديد عليهم ... وبيض كأولاد النعام كثيف

أتابت الى جنات عدن نفوسهم ... وما بعدها للصالحين حتوف

خفيف المشي لا يملأ الهم صدره ... اذا سمته الزاد الخبيث عيوف

العربية لانهم لا يستحسنون اضمار لافى مثل هـذا الموضع .. فأما قوله تعالى حاكياً عنه (لئن بسطت الىّ يدك لتقتلني ماأنا بباسط يدى اليك لأقتلك) .. فقال قوم من المفسرين ان القتل على سبيل الانتصار والمدافعة لم يكن مباحاً فى ذلك الوقت وان الله تعالى أمره بالصبر عليه وامتحنه بذلك ليكون هو المتولي للانتصاف .. وقال آخرون بل المعنى انك ان بسطت الىّ يدك مبتدئاً ظالماً لتقتلني ماأنا بباسط يدي اليك على وجه الظلم والابتداء فكأنه نفى عن نفسه القتل القبيح وهو الواقع على سبيل الظلم .. والظاهر من الكلام يغير ما ذكر من الوجهين أشبه لانه تعالى خبر عنه انه وان بسط أخوه اليه يده ليقتله لا يبسط يده ليقتله أي وهو مريد لقتله ومجرٍ اليه لان هـذا اللام يعنى كى وهي منبئة عن الارادة والغرض ولا شبهة فى حظر ذلك وقبحه لان المدافع انما تحسن منه المدافعة للظالم أو طلب التخاص منه من غير أن يقصد الى قتله والاضرار به ومتى قصد ذلك كان فى حكم المبتدى بالقتل في انه فاعل القبيح والعقل شاهد بوجوب التخاص من المضرة بأي وجه تمكن منه بعد ان يكن غير قبيح .. فان قيل فكأنكم تمنعون من حسن امتحان الله تعالى بالصبر على ترك الانتصار والمدافعة ووجوبهما على كل حال .. قلنا لايمتنع من ذلك وانما بينا ان الآية غير مقتضية لتحريم المدافعة والانتصاف على ما ذهب اليه قوم لان قوله لأقتلنك يقتضى أن يكون البسط لهذا الغرض والمدافعة لا يقتضى ذلك ولا يحسن من المدافع أن يجري بها الى الضرب فلا دلالة فى الآية على تحريم المدافعة ووجب أن يكون ما ذكرناه أولى بشهادة الظاهر

[تأويل خبر] .. إن سأل سائل عن معنى الخبر الذى رواه أبو هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم من انه قال لا يموت لمؤمن ثلاثة من الأولاد فتمسه النار الا تحلة القسم .. الجواب قلنا أما أبو عبيد القاسم بن سلام فانه قال يعنى بتحلة القسم قوله تعالى (وان منكم إلاّ واردها كان على ربك حتماً مقضيا) فكأنه عليه الصلاة والسلام قال لا يرد النار إلاّ بقدر مايبر الله قسمه .. وأما ابن قتيبة فانه قال فى تأويل أبى عبيد هـذا مذهب حسن من الاستخراج ان كان هذا قسماً .. قال وفيه مذهب آخر أشبه بكلام العرب ومعانيهم وهو ان العرب اذا أرادوا تقليل مكث الشئ وتقصير مدته شبهوه بتحلة

القسم وذلك أن يقول الرجل بعد حلفه ان شاء الله فيقولون ما يتم فلان عندنا الا تحلة القسم وما يتام العليل إلاّ كتحليل الألية وهو كثير مشهور .. قال مزاحم بن أحمر وذكر الريح

إذا عصفت رسماً فليس بدائم ... به وتد إلاّ تحلة مقسم

يقول لا يثبت الوتد الا قليل كتحلة القسم لان هبوب الريح يقلعه .. وقال آخر يذكر ثوراً

يخفي التراب بأظلاف ثمانية ... في أربع مسهن الأرض تحليل (١)

يقول هو سريع خفيف فقوائمه لا تثبت في الأرض إلاّ كتحليل اليمين .. وقال ذو الرمة كأنه يصف صاحب سفر أغفى غفاة ثم انتبه سريعاً

---

(١) ـ يخفي التراب ـ يستخرجها لشدة عدوه ويقال خفيت الشيء اذا استخرجته وقرأ بعضهم (ان الساعة آتية أكاد أخفيها) أي أظهرها ومن قرأ أخفيها أراد أسرها ومنه الحديث ليس على مختف قطع ومنه قول امرئ القيس

خفاهن من أنفاقهن كأنما ... خفاهن ودق من عشي مجلب

ويروي مجلب أي يجلب الماء ومجلبة من الجلبة جلبة الريح والرعد .. وقوله ـ باظلاف ثمانية في أربع ـ يريد ثمانية اظلاف في أربع قوائم في كل قائمة ظلفان .. وقوله ـ مسهن الأرض تحليل ـ أي كتحلة اليمين وأهل الحجاز يسمون النباش المختفي وقال مسهن الأرض تحليل قدر تحلة اليمين كأنه أقسم ليمسن الأرض كما قال الراعي

حدت السراب وألحقت أعجازها ... روح يكون وقوعها تحليلا

والبيت من قصيدة لعبدة بن الطبيب وهي مفضلية ومطلعها

هل حبل خولة بعد الهجر موصول ... أم أنت عنها بعيد الدار مشغول

حلت خويلة في دار مجاورة ... أهل المدائن فيها الديك والفيل

يقارعون رؤوس العجم ضاحية ... منهم فوارس لا عزل ولا ميل

تخامر القلب من ترجيع ذكرتها ... رسن لعابث ورهن منك مكبول

طَوَى طَيَّهُ فَوْقَ الكَرَا جَفْنُ عَيْنِهِ ... على رَهَبَاتٍ مِنْ جَنَانِ المَخَادِرِ

قَلِيلاً كَتَحْلِيلِ الأَلَى ثُمَّ قَلَّصَتْ ... بِهِ شِيمَةٌ رَوْعَاءُ تَقْلِيصَ طَائِرِ

ـ والألى ـ جمع ألوة وهي اليمين قال ومعنى الخبر على هذا التأويل ان النار لا تمسه إلاّ قليلا كتحليل اليمين ثم يجيبه الله منها ٠٠ وقال أبو بكر محمد بن القاسم الانباري الصواب قول أبي عبيد لحجج ثلاث ٠٠ منها ان جماعة من كبار أهل العلم فسروه على تفسير أبي عبيد ٠٠ ومنها انه ادعى ان النار تمس الذي وقعت منزلته عند الله جليلة لكن مسّا قليلا والقليل من النار لا يقع به الألم العظيم وليس صفة الأبرار في الآخرة صفة من تمسه النار لا قليلا ولا كثيراً ٠٠ ومنها ان أبا عبيد لم يحكم على هذا المصاب يولده بمس وانما حكم عليه بالورود والورود لا يوجب أن يكون من الأبرار لان إلاّ معناه الاستثناء المنقطع فكأنه قال فتمسه النار لاكن تحلة اليمين أي لاكن ورود النار لا بد منه فجرى مجرى قول العرب سار الناس الا الأثقال وارتحل العسكر الا الخباء وأنشد الفرّاء

وَسَمْحَةِ المَشْيِ شِمْلاَلٍ قَطَعْتُ بِهَا ... أَرْضاً يَحَارُ بِهَا الهَادُونَ دَيْمُومَا[1]

مَهْمَاهَهَا وَحْزُونَاً لاَ أَنِيسَ بِهَا ... إلاَّ الصَّوَائِحَ وَالأَصْدَاءَ والبُومَا[2]

وأنشد الفرّاء

---

(١) ـ الديموم ـ والديمومة الفلاة الواسعة يدوم السير فيها لبعدها وقيل هي المفازة لا ماء بها وأنشد ابن بري لذي الرّمة * اذا انتحّ الديامم * وقيل الديمومة الأرض المستوية التي لا أعلام بها ولا طريق ولا ماء ولا أنيس ٠٠ وقال أبو عمرو الديامم الصحاري الملس المتباعدة الأطراف

(٢) ـ الصوائح ـ جمع صائح وهو ما يصيح أي يصوت والمراد به الأصوات التي تسمع في الخلاء ولا حقيقة لها ـ والأصداء ـ جمع صدى وهو ما يرده الجبل على المصوت فيه ـ والبوم ـ طائر معروف

لَيْسَ عَلَيْكَ عَطَشٌ وَلَا جُوعُ إِلَّا الرُّقَادَ وَالرُّقَادُ مَمْنُوعُ

فمعنى الحديث لا يموت لمسلم ثلاثة من الأولاد فتمسه النار البتة لأن تحلة القسم لا بد منها وتحلة اليمين الورود والورود لا يقع فيه مس .. قال أبو بكر وقد سنح لي فيه قول آخر وهو أن يكون إلا زائدة دخلت للتوكيد وتحلة اليمين منصوب على الوقت والزمان ومعنى الخبر فتمسه النار وقت تحلة القسم وإلا زائدة .. قال الفرزدق شاهداً لهذا

هُمُ الْقَوْمُ إِلَّا حَيْثُ سَلُّوا سُيُوفَهُمْ وَضَحَّوْا بِلَحْمٍ مِنْ مُحِلٍّ وَمُحْرِمِ

معناه هم القوم حيث سلوا سيوفهم وإلا مؤكدة .. وقال الأخطل

وَيَقْطَعْنَ إِلَّا مِنْ فُرُوعٍ يَرُدْنَهَا بِمَدْحَةِ مَحْمُودٍ ثَنَاهُ وَنَائِلُهْ (١)

معناه يقطعون الابل من فروع يردنها والفروع الواسعة من الأرض .. [قال الشريف

---

(١) وفي ديوانه

إليكم من الأغوار حتى يزرنكم بمدحة محمود ثناه ونائله

ـ الأغوار ـ جمع غور بالفتح وهو القعر من كل شئ وهي هنا الأمكنة المطمئنة ـ والنائل ـ بالفتح والقصر الخبر .. والبيت من قصيدة يمدح بها بشر بن مروان ومطلعها

صحا القلب عن أروى وأقصر باطله وعاد له من حب أروى أخابله

أجدك ما نلقاك إلا مريضة تداوين قلباً ما تنام بلابله

عفا واسط منها فالجام خامس فروض القطا صحراؤه وحمائله

.. ومنها

ومستقبل لفح الحرور بحاجة إليكم أبا مروان شدت رواحله

إليكم من الأغوار حتى يزرنكم بمدحة محمود ثناه ونائله

جزاه وشكراً لامرئ لا تهمّني اذا جئته لعماؤه وفواضله

أخو الحرب ما ينفك يدعى لعصبة حرورية أو أعجمي يقاتله

المرتضى] رضى الله عنه والوجوه المذكورة فى تأويل الخبر متقاربة لان الوجه الذى اختص به ابن الانبارى فيه أدنى تعسف وبعد من حيث جعل إلاّ زائدة وذلك كالمستضعف عند جماعة من أهل العلم بالعربية وقد بقى فى الخبر مسئلة التشاغل بالجواب عنها أولى مما تكلفه القوم وهى متوجهة على كل الوجوه التى ذكروها فى تأويله ٠٠ وهو أن يقال كيف يجوز أن يخبر عليه الصلاة والسلام بان من مات له ثلاثة أولاد لا تمسه النار إما جملة أو مقدار تحلة القسم وهو النهاية فى القلة أو ليس ذلك يوجب أن يكون إغراء بالذنوب لمن هذه حاله واذا كان من يموت له بهذا العدد من الأولاد غير خارج عن التكليف فكيف يصح أن يؤمن من العقاب ٠٠ والجواب عن ذلك اذا قد علمت أولا خروج هذا الخبر مخرج المدحة لمن كانت هذه صفته للتمييز ولا مدحة فى مجرد موت الأولاد لان ذلك لا يرجع الى فعله ولا بد من أن يكون تقدير الكلام ان النار لا تمس المسلم الذى يموت له ثلاثة من الأولاد اذا حسن صبره واحتسابه وعزاؤه ورضاه بما جرى به القضاء عليه لانه بذلك يستحق الثواب والمدح واذا كان اضمار الصبر والاحتساب لا بد منه لم يكن فى القول اغراء لان كيفية وقوع الصبر والوجه الذى اذا وقع عليه تفضل الله تعالى بغفران ما لعله أن يستحقه من العقاب فى المستقبل غير معلوم واذا لم يكن معلوماً متميزاً فلا وجه للاغراء وأكثر ما فى هذا الكلام أن يكون القول مرغباً فى حسن الصبر وحاثاً عليه رغبة فى الثواب ورجاء الغفران ما لعله أن يستحق فى المستقبل من العقاب وهذا واضح لمن تأمله

مجلس آخر ٥٤

[تأويل آية] ٠٠ إن سأل سائل عن قوله تعالى (ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهى كالحجارة أو أشد قسوة) ٠٠ فقال ما معنى أو هنا وظاهرها يفيد الشك الذى لا يجوز عليه تعالى ٠٠ الجواب قلنا فى هذه الآية وجوه ٠٠ أولها أن تكون أو هنا للاباحة كقولهم جالس الحسن أو ابن سيرين والق الفقهاء أو المحدثين ولم يريدوا الشك بل

كأنهم قالوا هذان الرجلان أهل للمجالسة وهذان القبيلان من العلماء أهل للقاء فان جالست الحسن فأنت مصيبٌ وان جالست ابن سيرين فأنت مصيبٌ وان جمعت بينهما فكذلك فيكون معنى الآية على هذا ان قلوب هؤلاء قاسية متجافية عن الرشد والخير فان شبهتم قسوتها بالحجارة أصبتم وان شبهتموها بما هو أشد أصبتم وان شبهتموها بالجميع فكذلك وعلى هذا يتأول قوله تعالى (أو كصيّب من السماء) لان أو لم يرد بها الشك بل على نحو الذي ذكرناه من انكم إن شبهتموهم بالذي استوقد ناراً فجائز وان شبهتموهم بأصحاب الصيّب فجائز وان شبهتموهم بالجميع فكذلك .. وثانيها أن تكون أو دخلت للتفصيل والتمييز ويكون معنى الآية ان قلوبهم قست فبعضها ما هو كالحجارة في القسوة وبعضها ما هو أشد قسوة منها ويجرى ذلك مجرى قوله تعالى (وقالوا كونوا هوداً أو نصارى تهتدوا) ومعناه قال بعضهم كونوا هوداً وهم اليهود وقال بعضهم كونوا نصارى وهم النصارى فدخلت أو للتفصيل وكذلك قوله تعالى (وكم من قرية أهلكناها فجاءها بأسنا بياتاً أو هم قائلون) معناه فجاء بعض أهلها بأسنا بياتاً وجاء بعض أهلها بأسنا في وقت القيلولة وقد يحتمل قوله تعالى (أو كصيّب من السماء) هذا الوجه أيضاً ويكون المعنى ان بعضهم يشبه الذى استوقد ناراً وبعضهم يشبه أصحاب الصيّب .. وثالثها أن يكون أو دخلت على سبيل الابهام فيما يرجع الى المخاطب وان كان الله تعالى عالماً بذلك غير شاك فيه لانه تعالى لم يقصد في إخبارهم عن ذلك إلاّ التفصيل بل علم عز وجل ان خطابهم بالاجمال أبلغ فى مصلحتهم فأخبر تعالى ان قسوة قلوب هؤلاء الذين ذمهم كالحجارة أو أشد قسوة والمعنى انها كانت كأحد هذين لايخرج عنهما ويجري ذلك مجرى قولهم ما أطعمتك إلاّ حلواً أو حامضاً فيهمون على المخاطب مايعلمون انه لافائدة فى تفصيله والمعنى ما أطعمتك إلاّ أحد هذين الضربين وكذلك يقول أحدهم أكلت بسرة أو تمرة وهو قد علم ما أكل على التفصيل الا انه أبهمه على المخاطب .. قال لبيد

تَمَنَّى ابْنَتَايَ أَنْ يَعِيشَ أَبُوهُمَا ... وَهَلْ أَنَا إِلَّا مِنْ رَبِيعَةَ أَوْ مُضَرَ[1]

أراد هل أنا إلا من أحد هذين الحيين فسبيلي ان أفنى كما فنيا وانما حسن ذلك لان قصده الذى أجرى اليه وغرضه الذي نحاه وهو أن يخبر بكونه ممن يموت ويفنى ولا يخل به اجمال ما أجمل من كلامه فاضرب عن التفصيل لانه لافائدة فيه ولانه سواء كان من ربيعة أو مضر قوته واجب وكذلك الآية لان الغرض فيها أن يخبر تعالى عن شدة قسوة قلوبهم وانها مما لا تلين لوعظ ولا تصغي الى حق فسواء كانت في القسوة كالحجارة أو أشد منها فقد تم ما أجرى اليه من الغرض فى وصفها وذمها وصار تفصيل تشبيهها بالحجارة وبما هو أشد قسوة منها كتفصيل كونه من ربيعة أو مضر فى انه غير محتاج اليه ولا يقتضيه الغرض فى الكلام .. ورابعها أن تكون أو بمعنى بل كقوله تعالى (وأرسلناه الى مائة ألف أو يزيدون) معناه بل يزيدون وروى عن ابن عباس في قوله تعالى (وأرسلناه الى مائة ألف أو يزيدون) قال كانوا مائة ألف وبضعاً وأربعين

---

(١) وبعده

فقسوما وقولا بالذى تعلمانه ... ولاتخمشا وجهاً ولا تحلقا شعر
وقولا هو المرء الذي لاصديقه ... أضاع ولا خان الصديق ولاغدر
الى الحول ثم اسم السلام عليكما ... ومن يبك حولا كاملا فقداعتذر

والبيت الأخير يورده بعض النحاة على ان لفظ اسم مقحم .. قال ابن جنى هذا قول أبي عبيدة وكذلك قال في بسم الله ونحن نحمل الكلام على ان فيه محذوفاً قال أبو علي وانما هو حد حذف المضاف أي ثم اسم معنى السلام عليكما واسم معنى السلام هو السلام وكأنه قال ثم السلام عليكما فالمعنى لعمري ماقاله أبو عبيدة لكنه من غير الطريق التي أتاه هو منها ألا تراه هو اعتقد زيادة شيء واعتقدنا نحن نقصان شيء اه .. روى ان لبيد رضى الله عنه لما حضرته الوفاة قال لابنتيه هذه الأبيات فكانتا بعد وفاته تلبسان ثيابهما فى كل يوم وتأتيان مجلس جعفر بن كلاب قبيلته فترثيانه ولا تحولان فأقامتا على ذلك حولا كاملا ثم انصرفتا

ألفاً .. وأنشد الفرّاء

بَدَتْ مِثْلَ قَرْنِ الشَّمْسِ فِي رَوْنَقِ الضُّحَى وَصُورَتِهَا أَوْ أَنْتِ فِي العَيْنِ أَمْلَحُ

وقد تكون أم في الاستفهام أيضاً بمعنى بل كقول القائل أضربت عبد الله أم أنت رجلي متعنت معناه بل أنت رجلي متعنت .. وقال الشاعر

فَوَاللهِ مَا أَدْرِي أَسَلْمَى تَغَوَّلَتْ أَمِ النَّوْمُ أَمْ كُلٌّ إِلَيَّ حَبِيبُ

معناه بل كلٌّ .. وقد طعن بعضهم على هذا الجواب فقال وكيف يجوز أن يخاطبنا تعالى بلفظة بل وهي تقتضي الاستدراك والنقض للكلام الماضي والاضراب عنه وليس ذلك بشيء إما الاستدراك فان أريد به الاستفادة أو التذكر لما لم يكن معلوماً فليس بصحيح لان أحدنا يقول اعطيته ألفاً بل ألفين وقصد به دفعة بل دفعتين وهو عالم في ابتداء كلامه بما أخبر به في الثاني ولم يجدد به علم وان أراد به الأخذ في كلام غير الماضي واستئناف زيادة عليه فهو صحيح ومثله جائز عليه تعالى فأما النقض للكلام الماضي فليس بواجب في كل موضع يستعمل فيه لفظ بل لان القائل اذا قال اعطيته ألفاً بل ألفين لم ينقض الأول وكيف ينقضه والأول داخل في الثاني وانما زاد عليه وانما يكون ناقضاً للماضي اذا قال لقيت رجلا بل حماراً واعطيته درهماً بل ثوباً لان الأول لم يدخل في الثاني على وجه وقوله تعالى (أو أشد قسوة) غير ناقض للأول لانها لا تزيد في القسوة على الحجارة إلاّ بعد أن تساويها وانما تزيد عليها بعد المساواة .. وخامسها أن تكون أو بمعنى الواو كقوله (أن تأكلوا من بيوتكم أو بيوت آبائكم) معناه وبيوت آبائكم .. قال جرير

نَالَ الخِلَافَةَ أَوْ كَانَتْ لَهُ قَدَرًا كَمَا أَتَى رَبَّهُ مُوسَى عَلَى قَدَرِ [1]

---

(١) قوله نال الخلافة الخ .. هو من قصيدة يمدح بها عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى .. ويروى جاء الخلافة وأتى الخلافة وفي ديوانه نال الخلافة .. والبيت من شواهد النحاة في باب الفاعل على توسط المفعول بين الفعل والفاعل جوازاً ومطلع القصيدة

وقال توبة بن الحمير

وَقَدْ زَعَمَتْ لَيْلَى بِأَنِّيَ فَاجِرٌ ... لِنَفْسِي تُقَاهَا أَوْ عَلَيْهَا فُجُورُهَا[1]

لجت امامة في لومي وما علمت ... عرض السماوة روحاني ولا بكري

وقال العيني وأولها قوله

كم بالحمامة من شعثاء أرملة ... ومن يتيم ضعيف الصوت والنظر

وهذا غلط لان البيت قبله أثنا عشر بيتاً ومنها

إنا لنرجو اذا ما الغيث أخلفنا ... من الخليفة ما نرجو من المطر

•• ومنها

أصبحت للمنبر المعمور مجلسه ... زيناً وزين قباب الملك والحجر

(١) هو من قصيدة أولها

حمامة بطن الواديين ترنمي ... سقاك من الغر الغوادي مطيرها

أبيني لنا لا زال ريشك ناعماً ... ولا زلت في خضراء غض نضيرها

وكنت اذا مازرت ليلى تبرقعت ... وقد رابني منها الغداة سفورها

وقد رابني منها صدود رأيته ... واعراضها عن حاجتي وبسورها

وأشرف بالقور اليفاع لعلني ... أرى نار ليلى أو يراني بصيرها

يقول رجال لايضيرك نأيها ... بلى كل ماشف النفوس يضيرها

بلى قد يضير العين أن تكثر البكى ... ويمنع منها نومها وسرورها

وقد زعمت ليلى بأني فاجر ... لنفسي تقاها أو عليها فجورها

يروي ان ليلى الأخيلية لما أنشدت الحجاج هذه الأبيات قال لها ما الذي رابه من سفورك فقالت أيها الأمير كان بلي بي كثيراً فأرسل الي يوماً إني آتيك وقطن الحي فأرسدوا له فلما أتاني سفرت عن وجهي فعلم ان ذلك لشر فلم يزد على التسليم والرجوع فقال قد درك فهل رأيت منه شيئاً تكرهينه فقالت لا والذي أسأله أن يصلحك غير انه قال مرة قولا ظننت انه قد خضع لبعض الأمر فأنشأت أقول

وقال جرير أيضاً

أثَعْلَبَةَ الفَوَارِسَ أمْ رِيَاحاً ... عَدَلْتَ بِهِمْ طُهَيَّةَ وَالخِشَابا[1]

أراد أو رياحاً .. وقال آخر

فَلَوْ أنَّ البُكَاءَ يَرُدُّ مَيْتاً ... بَكَيْتُ على بُجَيْرٍ أوْ عَفَاقِ

على المَرْأيْنِ إذْ هَلَكَا جَمِيعاً ... لشأنِهما بِشَجْوٍ واشْتِيَاقِ

أراد على بُجير وعفاق .. وحكى المفضل بن سلمة هذا الوجه عن قطرب وطعن عليه بان قال ليس شئ يعلم أشد قسوة عند الخاطبين من الحجارة فيشبه قلوبهم الزيادة عليها وانما يصح ذلك في قولهم أطعمتك تمراً أو أحلا منه لان أحلا منه معلوم واختار

وذي حاجة قلنا له لاتبح بها ... فليس إليها ما حييت سبيل

لنا صاحب لاينبغي أن نخونه ... وأنت لأخرى فارغ وخليل

فلا والله الذي أسأله أن يصلحك مارأيت منه شيئاً حتى فرق الموت بيني وبينه

(١) قوله ـ أثعلبة ـ أراد بها القبيلة وهي ثعلبة بن سعد بن ذبيان بن بغيض بن ريث ابن غطفان .. وفي أسد بن خزيمة ثعلبة أيضاً وهي ثعلبة بن دودان بن أسد بن خزيمة .. وقوله ـ أم رياحاً ـ بكسر الراء وبالياء آخر الحروف وهي أيضاً قبيلة وهي رياح بن يربوع ابن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم .. وفي قضاعة أيضاً رياح بطن وهو ابن عوف ابن عميرة بن الهون بن أعجب بن قسدامة بن حزم بن أبان بن الحلوان بن عمرو بن الحاف بن قضاعة .. وفي سليم أيضاً وهي رياح بن يقظة بن عصية بن خفاف ابن امرئ القيس بن بهثة بن سليم .. وقوله ـ طهية ـ بضم الطاء وفتح الهاء وتشديد الياء آخر الحروف وفي آخره هاء وهي حي من بني تميم يقال لهم بنو طهية بنت عبد شمس بن سعد بن زيد مناة بن تميم .. وقوله ـ والخشاب ـ بكسر الخاء المعجمة وبالشين المعجمة وبعد الألف باء موحدة وهي أيضاً قبيلة .. قال الجوهري وبنو رزام بن مالك بن حنظلة يقال لهم الخشاب ثم أنشد البيت المذكور

المفضل الوجه الذى يتضمن أنّ أو بمعنى بل وهـذا الذى طعن به المفضل ليس بشيء لانهم وان لم يشاهدوا أو يعرفوا ما هو أشد قسوة من الحجارة فصورة قسوة الحجارة معلومة لهم ويصح أن يتصوروا ما هو أشد قسوة منها وما له عليها فضل لان قدراً ما اذا عرف جاز أن يعرف ما هو أزيد منه أو أنقص لان الزيادة والنقصان انما يضافان الى معلوم معروف على ان الآية خرجت مخرج المثل وأراد تعالى بوصف قلوبهم بالزيادة فى القسوة على الحجارة انها قد انتهت الى حد لا تلين معه للخير على وجه من الوجوه وان كانت الحجارة ربما لانت وانتفع بها فصارت من هذا الوجه كأنها أشد قسوة منها تمثيلا وتشبيهاً وقول المفضل ليس يعرفون ما هو أقسى من الحجارة لامعنى له اذا كان القول على طريق المثل .. وبعد فان الذي طعن به على هذا الجواب يعرض على الوجه الذى اختاره لانه اذا اختار أن أو فى الآية بمعنى بل فكيف جاز بان يخبرهم بان قلوبهم أشد قسوة من الحجارة وهم لا يعرفون ما هو أقسى من الحجارة واذا جاز أن يقول لهم بل قلوبهم أقسى مما يعرفون من الحجارة جاز أن يخبر عن مثل ذلك بالواو فيقول قلوبهم كالحجارة التي يعرفون فى القوة وهى مع ذلك تزيد عليها .. فان قيل كيف يكون أو فى الآية بمعنى الواو والواو للجمع وليس يجوز أن تكون قلوبهم كالحجارة أو أشد من الحجارة فى حالة واحدة لان الشيء اذا كان على صفة لم يجز أن يكون على خلافها .. قلنا قد أجاب بعضهم عن هذا الاعتراض بان قال ليس يمتنع أن تكون قلوبهم كالحجارة فى حال وأشد من الحجارة فى حال أخرى فيصح المعنى ولا يتنافى وهذا قريب ويكون فائدة هذا الجواب ان قلوب هؤلاء في بعض الأحوال مع القسوة والعدول عن تصور الحق والفكرة فيه ربما لانت بعض اللين وفى حال أخرى تكون في نهاية البعد عن الحق وكادت تصغى الى الحق فتكون فى هذا الحال كالحجارة التى ربما لانت وفى حال أخرى ربما تكون في نهاية البعد عن الحق والنفور منه فتكون فى هذا الحال أشد قسوة من الحجارة على انه يمكن في الجواب عن هذا الاعتراض وجه آخر وقد تقدم معناه فى بعض كلامنا وهو ان قلوبهم لاتكون أشد من الحجارة إلاّ بعد أن يكون فيها قسوة الحجارة لأن القائل اذا قال فلان أعلم من فلان فقد أخبر انه زائد عليه فى العلم

الذي اشتركا فيه فلا بد من الاشتراك ثم الزيادة فليس ههنا تناف على ما ظن المعترض ولا اثبات لصفة ونفيها فكل هذا بيّن بحمد الله تعالى.. [قال المرتضي] رضي الله عنه وإني لأستحسن من الشعر قول الأحوص بن محمد الأنصاري

ومَوْلى سَخِيفِ الرَّأيِ رَخْوٍ تَزِيدُهُ ... أَنَاتِي وعَفْوِي جَهْلَهُ عِنْدَهُ ذَمّا[1]

وَصَلْتُ وَلَوْ عَيَّرْتُهُ لأَصَبْتُهُ ... بِشَنْعَاءَ باقٍ عارُهَا يَفْرَأُ العَظْمَا

طَوَى حَسَدًا ضِغْنًا عليَّ كأَنَّما ... ادَاوِي بِهِ فِي كُلِّ مَجْمَعَةٍ كَلْمَا

وَيَجْهَلُ أَحْيَانًا فَلَا يَسْتَخِفُّنِي ... ولاَ أَجْهَلُ الشَّيْبَ إِذَا رَاجَعَ الحِلْمَا

يَصِدُّ وَيَنْأَى فِي الرَّخَاءِ بِوُدِّهِ ... وَيَدْعُو وَيَدْعُونِي إِذَا خَشِيَ الهَضْمَا

فَيُفْرِجُ عَنْهُ إِزْبَةَ الخَصْمِ مَشْهَدِي ... وَأَدْفَعُ عَنْهُ عِنْدَ عَثْرَتِهِ الظُّلْمَا

ـ الازبة ـ الدهاء والازبة العقدة وكلا المعنيين يحتمل لفظ البيت

وكُنْتُ امْرَأً عَوَّدَ الفِعَالُ تَهَزُّنِي ... مَآثِرُ مَجْدٍ تَالِدٍ لَمْ يَكُنْ زَعْمَا

وكُنْتُ وشَتْمِي فِي ارُومَةِ مَالِكٍ ... بِسَبِّي لَهُ كَالكَلْبِ إِذْ يَنْبَحُ النَّجْمَا

ولَسْتَ بِلَاقٍ سَيِّدًا سَادَ مَالِكًا ... فَتَنْسِبَهُ إِلَّا أَبًا لِي أَوْ عَمَّا

سَتَعْلَمُ إِنْ عَادَيْتَنِي فَقَعَ قَرْقَرٍ ... امالاً أَفَدْتَ لَا أَبَالَكَ أَوْ عُدْمَا[2]

---

(١) ـ المولي ـ القريب كابن العم ونحوه والواو فيه واو رب أي رب مولى سخيف الرأي أي ضعيفه ـ والاناة ـ الحلم والوقار .. المعنى أن اناتي وعفوي يزيد انه من ذمي عنده

(٢) ـ الفقع ـ البيضاء من الكمأة وهي منصوبة على الذم ـ والقرقر ـ الأرض المطمئنة .. وهذا مأخوذ من قولهم أذل من فقع بقرقر لانه لا يمتنع على من اجتناه ويقال بل لانه

لقدْ أبقتِ الأيّامُ منها وجرّسَتْ ... لأعدائنا ثُكلاً وحُسّادِنا رَغْما
وكانتْ عُروقُ السُّوءِ أودتْ وقصّرتْ ... بهِ أنْ ينالَ الحمدَ فالتمسَ الذّما

ومن مختار شعره

إنّي إذا خفيَ الرّجالُ رأيتني ... كالشّمسِ لا تخفى بكلِّ مكانِ
ما منْ مُصيبةِ نكبةٍ أمْنى بها ... إلاّ تشرّفني وتُعظمُ شاني
وتزولُ حينَ تزولُ عنْ متخمّطٍ ... تُخشى بوادرُهُ لدى الأقرانِ

ومن جيد شعره

خليلانِ باحا بالهوى فتشاحنتْ ... أقاربُها في وصلِها وأقاربُهْ
ألا إنّ أهوى النّاسِ قُرْباً ورُؤيةً ... وريحاً إذا ما اللّيلُ غارتْ كواكبُهْ
ضجيعُ دَنا منّي جذلتُ بقُربِهِ ... فباتَ يُمنّيني وبتُّ أُعاتبُهْ
وأُخبرُهُ بالسِّرِّ بيني وبينَهُ ... بأنْ ليسَ شيءٌ عندَ نفسي يقاربُهْ

وقد غبّر في وجه كل من وصف المضاجعة امرؤ القيس حيث يقول

يوطأ بالأرجل والجمع فقمة مثل جبء وجبأة ويقال حمام فقيع اذا كان أبيض ويشبه الرجل الذليل بالفقع فيقال هو فقع قرقر لان الدواب تجله بأرجلها .. قال النابغة يهجو النعمان بن المنذر

حدثوني بني الشقيقة ما يـ ... ـصنع فقعا بقرقر أن يزولا

لان الفقمة لا أصول لهـا ولا أغصان ويقال فلان فقمة لقاع كما يقال في مولد الأمثال لمن كان كذلك هو كشوث الشجر لان الكشوث نبت يتعلق بأغصان الشجر من غير أن يضرب بعرق في الأرض قال الشاعر

هو الكشوث فلا أصل ولا ورق ... ولا نسيم ولا ظل ولا ثمر

تَقُولُ وَقَدْ جَرَّدْتُهَا من ثِيابِها ... كما رُعْتَ مَسْحُولاً من العِينِ أَتْلَما
وَجَدِّكَ لو شَيْءٌ أَتانَا رَسُولُهُ ... سِوَاكَ ولكنْ لم نَجِدْ عنكَ مَدْفَعا
فَبِتْنا نَذُودُ الوَحْشَ عَنَّا كأَنَّنا ... قَتِيلانِ لم تَعْلَمْ لَنا النَّاسُ مَصْرَعا
إِذَا أَخَذَتْها هِزَّةُ الرَّوْعِ أَمْسَكَتْ ... بِمَنْكِبِ مِقْدَامٍ على الهَوْلِ أَرْوَعا

وقال علىّ بن الجهم فى وصفه شدة الالتزام

سَقَى اللهُ لَيْلاً ضَمَّنَا بعدَ هَجْعَةٍ ... وَأَدْنَى فُؤَادًا من فُؤَادٍ مُعَذَّبِ
فَبِتْنا جَمِيعا لو تُرَاقُ زُجاجَةٌ ... من الرَّاحِ فِيما بَيْنَنَا لم تُسَرَّبِ

ولعبد الصمد بن المعذل فى هذا المعنى

كأَنَّنِي عانَقْتُ رَيْحانَةً ... تَنَفَّسَتْ فِي لَيْلِها البَارِدِ
فلَوْ تَرَانا فِي قَمِيصِ الدُّجا ... حَسِبْتَنَا فِي جَسَدٍ واحِدِ

ولبشار

إِنَّنِي اشْتَهِي لِقاءَكَ واللـــــهِ فماذَا عليْكَ أَنْ تلْقَانِي
قَدْ تَلُفُّ الرِّياحُ غُصْنًا من البَـــــانِ الى مِثْلِهِ فَيلْتَقِيَانِ

ومثله لابحترى

وَلَم أَنْسَ لَيْلَتَنا فِي العِنـــــاقِ لَفَّ الصَّبا بِقَضِيبٍ قَضِيبا
كما أَقْبَلَتِ الرِّيحُ فِي مَرِّها ... فَطَوْرًا خُفُوتًا وَطَوْرًا هُبُوبا

ولآخر فى مثل هذا بعينه ولسنا ندرى هل سبق البحترى أو تأخر عنه

وضَمٌّ لاَ يُنْهِنِهُهُ اعْتِناقٌ ... كما لَفَّ القَضِيبُ على القَضِيبِ

ولعلى بن الجهم

وبِتْنا على رَغْمِ الحَسُودِ كأَنَّنا ... خَلِيطانِ من ماءِ الغَمامَةِ والخَمْرِ

وهذا وان جعله فى العناق فهو مأخوذ من قول بشار

وإنْ نلتقي خلفَ العيُونِ كأنّنا ... سلافُ عُقارٍ بالنقاخِ مَشُوبُ

والأصل فى هذا قول الأخطل والناس من بعده على أثره -

منَ الجاريات الحُورِ مطلَبُ سرِّها ... كبيضِ الأنُوقِ المُستكنةِ في الوَكْرِ

وإنّي وإيّاها إذا ما لقيتُها ... لكالماءِ منْ صَوْبِ الغَمامةِ والخَمْرِ

وقد أخذه أيضاً ابن أبى عيينة فقال

ما أنسَ لا أنسَ مُناها مُعطِفةً ... على فؤادِي ويُسْرَاها على رَاسِي

وقَوْلَها ليتَهُ ثوبا على جسَدِي ... أوليتني كُنتُ سِربالاً لِعبّاسِ

أوليتهُ كانَ لي خمرًا وكُنتُ لهُ ... منْ ماءِ مزنٍ فكنّا الدّهرَ في كاسِ

ومثل هذا للبحترى

وَجدتُ نفسَكَ منْ نفسي بمنزلةٍ ... هي المُصافاةُ بينَ الماءِ والرّاحِ

ولقد أحسن بشار فى قوله

لقد كانَ ما بيني زمانا وبينَها ... كما كانَ بينَ المسكِ والعنبرِ الوَرْدِ

أخبرنا أبو عبيدالله المرزبانى قال حدثنا أحمد بن محمد المكي قال حدثنا أبوالعيناء قال حدثنى القنبي عن أبيه قال سير الوليد بن عبد الملك (١) الأحوص الى دهلك فكتب

---

(١) قوله سير الوليد بن عبد الملك الأحوص الخ ٠٠ المشهور ان الذي نفاه سليمان ابن عبد الملك وسبب ذلك ان الأحوص كان ينسب بنساء ذوات أخطار من أهل المدينة ويتغنى فى شعره بعبد ومالك ويشيع ذلك فى الناس فنهي فلم ينته فشكي الى عامل سليمان بن عبد الملك على المدينة وسألوه الكتاب فيه اليه ففعل ذلك فكتب سليمان الى عامله يأمره أن يضربه مائة سوط ويقيمه على البلس للناس ثم يصيره الى دهلك ففعل ذلك به فثوى هناك سلطان سليمان بن عبد الملك ثم ولي عمر بن عبد العزيز فكتب

الأحوص الى عمر بن عبد العزيز حين استخلف

وكيف ترى للنوم طعما ولذة ... وخالك أمسى موثقا في الحبائل
فمن لك أمسى سائلا عن ثمانة ... ليشمت بي أو شامتا غير سائل
فقد عجمت مني الحوادث ماجدا ... صبورا على غماء تلك البلابل
إذا سر لم يفرح وليس لنكبة ... ألمت به بالخاشع المتضائل

فبعث عمر بن عبد العزيز الى عراك بن مالك الذي كان شهد عليه فقال ما ترى في هذا

اليه يستأذنه في القدوم ويمدحه فأبى أن يأذن له وكتب فيما كتب اليه به

أيارا كبا إما عرضت فبلغن ... هديت أمير المؤمنين رسائلي
وقل لأبي حفص اذا ما لقيته ... لقد كنت نفاعا قليل الغوائل
وكيف ترى للعيش طيبا ولذة ... وخالك أمسى موثقا في الحبائل

ثم ان رجالا من الأنصار كلموا فيه عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه فقال لهم فمن الذي يقول

فما هو إلا أن رآها فجاءة ... فأبهت حتى ما أكاد أجيب

قالوا الأحوص والصحيح ان هذا البيت لعروة بن حزام .. قال فمن الذي يقول

أدور ولولا ان أرى أم جعفر ... بأبياتكم ما دورت حيث أدور
وما كنت زوارا ولكن ذا الهوى ... اذا لم يزر لا بد أن سيزور

قالوا الأحوص .. قال فمن الذي يقول

كأن لبني صبير غادية ... أو دمية زينت بها البيع
الله بيني وبين قيمها ... يفر مني بها وأتبع

قال بل الله بين قيمها وبينه .. فمن الذي يقول

ستبقى لها في مضمر القلب والحشى ... سريرة حب يوم تبلى السرائر

قالوا الأحوص قال ان الفاسق عنها يومئذ لمشغول والله لا أرده ما كان لي سلطان

البائس فقال عراك مكانه خير له فتركه فى موضعه فلما وُلى يزيد بن عبد الملك جلب الأحوص وسيره هناكا .. [قال المرتضى] رضى الله عنه وانما كان الأحوص خال عمر بن عبد العزيز من جهة ان أم عمر هى أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب وأمها أنصارية .. فأما قوله — اذا سر لم يفرح — فمأخوذ من قول لقيط بن زرارة

لَامُتْرَفًا إِنْ رَخاءُ العَيْشِ ساعَدَهُ ... وَلَيْسَ إِنْ عَضَّ مَكْرُوهٌ بِهِ خَشَعَا (١)

.. وللأحوص

وَبِبَطْنِ مَكَّةَ لَاأَبُوحُ بِهِ ... قُرَشِيَّةٌ غَلَبَتْ عَلَى قَلْبِي
لَوْ أَنَّهَا إِذْ مَرَّ مَرْكَبُهَا ... يَوْمَ الكَدِيدِ أَطاعَنِي صَحْبِي
قُلْنَا لَهَا حُيِّيتِ مِنْ شَجَنٍ ... وَلِرَكْبِهَا حُيِّيتَ مِنْ رَكْبِ

---

(١) البيت من قصيدته المشهورة التى أنذر بها قومه غزو كسرى إياهم وكان لقيط كاتباً فى ديوان كسرى فلما رآه مجمعاً على غزو إياد كتب اليهم بهذا الشعر فوقع الكتاب فى يد كسرى فقطع لسان لقيط وغزا إياداً ومطلعها

يادار عمرة من محتلها الجرعا ... هاجت لى الهم والاحزان والوجعا
ثامت فؤادى بذات الجزع خرعبة ... مرّت تريد بذات العذبة البيعا
بمقلتى خاذل أدماء طاع لها ... نبت الرياض تزجى وسطه ذُرَعا

.. ومنها

وقدوا أمركم لله دركم ... ورهب الذراع بأمر الحرب مضطلعا
لامترفاً ان رخاء العيش ساعده ... ولا اذا عض مكروه به خشعا
لا يطعم النوم إلاّ ريث يبعثه ... هم يكاد سناه يقصم الضلعا
مسهد النوم تعنيه أموركم ... يروم منها الى الأعداء مطلعا
ماانفك يحلب هذا الدهر أشطره ... يكون متبعاً طوراً ومتبعا
حتى استمرت على شزر مريرته ... مستحكم الرأى لاهماً ولاضرعا

وَالشَّوْقُ أَقْتُلُهُ بِرُؤْيَتِهَا ... قَبْلَ الظَّمَا بِالْبَارِدِ الْعَذْبِ
وَالنَّاسُ إِنْ حَلُّوا جَمِيعُهُمُ ... شِعْبًا سَلَامٌ وَكُنْتِ فِي شِعْبِ
لَحَلَلْتُ شِعْبَكِ دُونَ شِعْبِهِمُ ... وَلَكَانَ قُرْبُكِ مِنْهُمُ حَسْبِي

قوله ــ والشوق أقتله ــ نظير قول جرير

فَلَمَا التَقَى الحَيَّانِ القَيْتِ العَصَا ... ومَاتَ الهَوَى لَمَّا أُصِيبَتْ مَقَاتِلُهْ

مجلس آخر ٥٥

[تأويل آية] ٠٠ إن سأل سائل عن قوله تعالى (وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبؤوني بأسماء هؤلاء ان كنتم صادقين) ٠٠ فقال كيف يأمرهم تعالى بان يخبروا بما لا يعلمون وليس أقبح من تكليف ما لا يطاق الذي تأبونه والذي لا يجوز أن يكلف تعالى مع ارتفاع القدرة لا يجوزه ٠٠ الجواب قلنا قد ذكر في هذه الآية وجهان ٠٠ أولهما ان ظاهر هذه الآية إن كان أمراً يقتضي التعلق بشرط وهو كونهم صادقين عالمين بانهم اذا أخبروا عن ذلك صدقوا فكأنه قال تعالى خبروا بذلك ان علمتموه ومتى رجعوا الى نفوسهم لم يعلموا فلا تكليف عليهم وهذا بمنزلة أن يقول القائل لغيره خبرني بكذا وكذا ان كنت تعلمه وان كنت تعلم أنك صادق فيما تخبر به عنه ٠٠ فان قيل أو ليس قد قال المفسرون في قوله تعالى (ان كنتم صادقين) ان المراد به ان كنتم تعلمون بالعلة التي من أجلها جعلت في الأرض خليفة أو ان كنتم صادقين في اعتقادكم انكم تقومون بما أنصب الخليفة له وتضطلعون به وتصلحون به ٠٠ قلنا قد قيل كل ذلك وقيل أيضاً ما ذكرناه واذا كان القول محتملا للأمرين جاز أن يبقى الكلام على كل واحد منهما وهذا الجواب لم يتم لمن يذهب الى ان الله تعالى لا يصح أن يأمر العبد بشرط قد علم انه لا يحصل ولا يحسن أن يريد منه الفعل على هذا الوجه ومن ذهب الى جواز ذلك صح منه أن يعتمد على هذا الجواب ٠٠ فان

قيل فأى فائدة فى أن يأمرهم بان يخبروا عن ذلك بشرط أن يكونوا صادقين وهو عالم انهم لا يتمكنون من ذلك لفقد علمهم به .. قلنا لمن ذهب الى الأصل الذى ذكرناه أن يقول لا يمتنع أن يكون الغرض فى ذلك هو أن يكشف باقرارهم وامتناعهم من الإخبار بالأسماء ما أراد تعالى بيانه من استئثاره بعلم الغيب وانفراده بالاطلاع على وجوه المصالح فى الدين .. فان قيل فهذا يرجع الى الجواب الذي تذكرونه من بعد .. قلنا هو وان رجع الى هذا المعنى فبينهما فرق من حيث كان هـذا الجواب على تسليم ان الآية تضمنت الأمر والتكليف الحقيقيين والجواب الثانى لانسلم فيه ان القول أمر على الحقيقة فمن ههنا افترقا .. والوجه الثاني أن يكون الأمر وان كان ظاهره أمر فغير أمر على الحقيقة بل المراد به التقرير والتنبيه على مكان الحجة وقد يرد بصورة الأمر ماليس بأمر والقرآن والشعر وكلام العرب مملوء بذلك وتلخيص هذا الجواب ان الله تعالى قال للملائكة (إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك فقال لهم إنى أعلم ما لا تعلمون) أي إنى مطلع من مصالحكم وما هو أنفع لكم من دينكم على مالا تطلعون عليه ثم أراد التنبيه على انه لا يمتنع أن يكون غير الملائكة مع انها تسبح وتقدس وتطيع ولا تعصى أولى بالاستخلاف فى الأرض وان كان في ذريته من يفسد ويسفك الدماء فعلم تعالى آدم عليه الصلاة والسلام أسماء جميع الأجناس أو أكثرها وقيل أسماء النبي محمد صلى الله عليه وآله والأئمة من ولده وسلم وفيه أحاديث مروية ثم قال تعالى للملائكة أنبؤونى بأسماء هؤلاء مقرراً لهم ومنبهاً على ما ذكرناه ودالا على اختصاص آدم عليه الصلاة والسلام بما لم يخصوا به فلما أجابوا بالاعتراف والتسليم اليه علم الغيب الذي لا يعلمونه فقال تعالى (ألم أقل لكم إنى أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون) منبهاً على انه تعالى هو المتفرد بعلم المصالح في الدين وان الواجب على غير مكلف أن يسلم لأمره تعالى ويعلم انه لا يختار لعباده إلاّ ما هو أصلح لهم فى دينهم علموا وجه ذلك أم جهلوه وعلى هذا الجواب يكون قوله تعالى (ان كنتم صادقين) محمولا على كونهم صادقين فى العلم بوجه المصلحة في نصب الخليفة أو فى ظنهم انهم يقومون بما يقوم به هذا

الخليفة ويكملون له ولولا ان الأمر على ما ذكرناه وان القول لا يقتضي التكليف لم يكن لقوله تعالى بعد اعترافهم واقرارهم (ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون) معنى لان التكليف الأوّل يتغير حاله بان يخبرهم آدم عليه الصلاة والسلام بالأسماء ولا يكون قوله تعالى (إني أعلم غيب السموات) الى آخر الآية الا مطابقاً لما ذكرناه من المعنى دون معنى التكليف فكأنه تعالى قال اذا كنتم لا تعلمون هذه الأسماء فأنتم عن علم الغيب أعجز وبان تسلّموا الأمر لمن يعلمه ويدبر أمركم بحسبه أولى .. فان قيل كيف علمت الملائكة بأن في ذرية آدم من يفسد في الأرض ويسفك الدماء وما طريق علمها بذلك وان كانت غير عالمة فكيف يجوز أن تخبر عنه بغير علم .. قلنا قد قيل انها لم تخبر وانما استفهمت فكأنها قالت متعرفة أتجعل فيها من يفعل كذا وكذا وقيل أيضاً ان الله تعالى أخبرها بانه سيكون من ذرية هذا المستخلف من يعصي ويفسد في الأرض فقالت على وجه التعرف لما في هذا التدبير من المصلحة والاستفادة لوجه الحكمة فيه أتجعل فيها من يفعل كذا وكذا وهذا الجواب الأخير يقتضي أن يكون في أول الكلام حذف ويكون التقدير (وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة) وإني عالم أن سيكون من ذريته من يفسد فيها ويسفك الدماء فاكتفى عن إيراد هذا المحذوف بقوله تعالى (قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها) لان ذلك دلالة على الأول وانما حذفه اختصاراً وفي جملة جميع الكلام اختصار شديد لانه تعالى لما حكى عنهم قولهم (أتجعل فيها من يفسد فيها) الآية كان في ضمن هذا الكلام فنحن على ما نظنه وما يظهر لنا من الأمر أولى بذلك لانا نطيع وغيرنا يعصي وقوله تعالى (إني أعلم مالا تعلمون) يتضمن إني أعلم من مصالح المكلفين مالا تعلمونه وما يكون مخالفاً لما تظنونه على ظواهر الأمور وفي القرآن من المحذوف العجيبة والاختصارات الفصيحة مالا يوجد في شيء من الكلام فمن ذلك قوله تعالى في قصة يوسف عليه الصلاة والسلام والناجي من صاحبيه في السجن رؤيا الملك البقر السمان والعجاف أنا أنبئكم بتأويله فارسلون يوسف أيها الصديق افتنا ولو بسط الكلام فأورد محذوفه لقال أنا أنبئكم بتأويله فارسلون ففعلوا فأتى يوسف فقال له

يايوسف أيها الصديق ومثله قوله في الأنعام (قل إني أُمرت أن أكون أوّل من أسلم ولا تكونن من المشركين) أي وقيل لي ولا تكونن من المشركين وكذلك قوله تعالى في قصة سليمان عليه الصلاة والسلام (ولسليمان الرّيح غدوُّها شهر ورواحها شهر) الى قوله تعالى (اعملوا آل داود شكراً) أي وقيل لهم (اعملوا آل داود شكراً) .. وقال جرير

وَرَدْتُمْ عَلى قَيْسٍ بِجُورِ مُجَاشِعٍ فَنُؤْتُمُ على ساقٍ بَطِيءٍ جُبُورُها

أراد فنؤتم على ساق مكسورة بطيء جبورها كأنه لما كان في قوله بطيء جبورها دليل على الكسر اقتصر عليه .. وقال عنترة

هَلْ تُبْلِغَنِّي دَارَهَا شَدَنِيَّةٌ لُعِنَتْ بِمَخْرُومِ الشَّرَابِ مُصَرَّمِ

يعني ناقته .. ومعنى ــ لعنت ــ دعاء عليها بانقطاع لبنها وجفاف ضرعها فصارت كذلك والناقة اذا كانت لا تنتج كان أقوى لها على السير .. قال تأبط شراً ويروي للشنفرى

فَلَا تَدْفِنُونِي إِنَّ دَفْنِي مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ وَلَكِنْ خَامِرِي أُمَّ عَامِرِ (١)

---

(١) ــ خامري أم عامر ــ مثل وأم عامر وأم عمرو وأم عوير الضبع يشبه بها الأحمق ويروي عن عليّ رضي الله عنه انه قال لا أكون مثل الضبع تسمع اللدم فتبرز طمعاً في الحية حتى تصاد وهي كما زعموا من أحمق الدواب لانهم اذا أرادوا صيدها رموا في جحرها بحجر فتحسبه شيئاً تصيده فتخرج لتأخذه فتصاد عند ذلك ويقال لها ابشري بجراد عظال وكمر رجال فلا يزال يقال لها حتى يدخل عليها رجل فيربط يديها ورجليها ثم يجرها والجراد العظال الذي ركب بعضها بعضاً كثرة وأصل العظال سفاد السباع .. وقوله وكمر رجال يزعمون ان الضبع اذا وجدت قتيلا قد انتفخ جردانه ألقته على قفاه ثم ركبته .. قال العباس بن مرداس

ولومات منهم من جرحنا لأصبحت ضباع بأعلى الرقتين عرائسا

وبعد البيت

لانه أراد فلا تدفنوني بل دعوني تأكلني التي يقال لها خامري أم عامر وهي الضبع .. وقال أوس بن حجر

حتّى إذا الكلابُ قال لها كاليوم مطلوبٌ ولا طلبا

أراد لم أراك اليوم فحذف .. وقال أبو دواد الايادي

إنّ من شيمتي لبذل تلادي دون عرضي فإن رضيت فكوني

أراد فكوني مني على ما أنا عليه وان سخطت فبيني فحذف هذا كله .. ولآخر

إذا قيل سيروا إنّ ليلى لعلّنا جرى دون ليلى ماثل القرن أعضب

أراد لعلها قربت وهذا باب يتسع وهو أكثر من أن يحيط به قول .. والحذف غير الاختصار وقوم يظنون انهما واحد وليس كذلك لان الحذف يتعلق بالألفاظ وهو أن يأتي بلفظ يقتضي غيره ويتعلق به ولا يستقل بنفسه ويكون في الموجود دلالة على المحذوف فيقتصر عليه طلباً للاختصار والاختصار يرجع الى المعاني وهو أن يأتي بلفظ مفيد لمعان كثيرة لو عبر عنها بغيره لاحتيج الى أكثر من ذلك اللفظ فلا حذف الا وهو اختصار وليس كل اختصار حذفاً .. فمثال الحذف قوله ـ ولكن خامري أم عامر ـ ولظائره مما أنشدناه لان القول غير مستغن بنفسه بل يقتضي كلاماً آخر غير انه لما كان فيه دلالة على ماحذف حسن استعماله .. ومثال الاختصار الذي ليس بحذف قول الشاعر

أولاد جفنة حول قبر أبيهم قبر ابن مارية الكريم المفضل (١)

اذا احتملت رأسي وفي الرأس أكثري وغودر عند الملتقى ثمّ سائري

هنالك لا أرجو حياة تسرني سجيس الليالي مبسلا بالجرائر

(١) قوله ـ قبر ابن مارية ـ الخ .. قال أبو عبيدة هي مارية بنت أرقم بن ثعلبة بن عمرو بن جفنة وقال ابن الكلبي مثل قول أبي عبيدة ثم قال وقالت كندة جميعاً هي مارية بنت ظالم بن وهب بن الحارث بن معاوية بن ثور بن كندة وقال القعنبي بنت ظالم ابن وهب بن الحارث وقال ابن السكيت هي مارية بنت أرقم بن ثعلبة .. والبيت من قصيدة

أراد أنهم أعزّاء مقيمون بدار ملكتهم لاينتجعون كالاعراب فاختصر هذا المبسوط كله في قوله حول قبر أبيهم ٠٠ ومثله قول عدي بن زيد

عالِمٌ بالّذِي يُرِيدُ لَقِي الصّـــــذرِ عَفٌ على حَتَاهُ نحُورُ (١)

وفي معنى الاختصار قول أوس بن حجر

وَفِتيانِ صِدْقٍ لاَ تَحِمُّ لِحَامِهُمْ إِذَا شُبِّهَ النَّجْمُ الصَّوَارَ النَّوَافِرا

فقوله ــ لاتحم لحامهم ــ لفظ مختصر لو بسط لقال انهم لا يدخرون اللحم ولايستبقونه فيخم بل يطعمونه الأضياف والطراق ٠٠ ومعنى قوله ــ اذا شبه النجم الصوار النوافر ــ يعني في شدة البرد وكلب الشتاء لان الثريا تطلع في هذا الزمان عشاء كأنها صوار متفرق وهذا أيضاً أكثر من أن يحصى وانما فضل الكلام الفصيح بعضه على بعض لقوة حظه من افادة المعاني الكثيرة بالألفاظ المختصرة ٠٠ فأما قوله تعالى (ثم عرضهم على الملائكة) بعد ذكر الأسماء التي لا تليق بها هذه الكناية فالمراد به عرض المسميات لان الكناية لا تليق بالأسماء ولا بد من أن تكون تلك المسميات أو فيها ما يجوز أن يكنى عنه بهذه

حسان رضي الله عنه المشهورة التي مدح بها آل جفنة ومطلعها

أسألت رسم الدار أم لم تسأل بين الجوابي فالبضيع فحومل

ومنها لله در عصابة نادمتهم يوماً بجلّقَ في الزمان الأول

ومنها يغشون حتى ماتهر كلابهم لا يسألون عن السواد المقبل

يسقون من وَرَدَ البريص عليهم بردى يصفق بالرحيق السلسل

بيض الوجوه كريمة أحسابهم شم الأنوف من الطراز الأول

ومنها ولقد شربت الخمر في حانوتها صهباء صافية كطعم الفلفل

يسعى علىّ بكأسها متنطف فيعاني منها ولو لم أنهل

إن التي ناولتني فرددتها قتلت قتلت فهاتها لم تقتل

كلتاهما حلب العصير فعاطني بزجاجة أرخاهما للمفصل

(١) ــ هكذا في الاصول التي بايدينا ولم نقف عليه

الكناية لانها لاتستعمل إلاّ في العقلاء وما يجري مجراهم .. وقيل ان في قراءة أُبيّ ثم عرضها وفي قراءة عبد الله بن مسعود ثم عرضهن وعلى هاتين القراءتين يصلح أن تكون عبارة عن الأسماء .. وقد بقي في هذه الآية سؤال لم نجد أحداً ممن تكلم في تفسير القرآن ولا في متشابهه ومشكله تعرض له وهو من مهم مايسأل عنه .. وذلك أن يقال من أين علمت الملائكة عليها السلام لما أخبرها آدم عليه الصلاة والسلام بتلك الأسماء صحة قوله ومطابقة الأسماء للمسميات وهي لم تكن عالمة بذلك من قبل اذ لو كانت عالمة لأخبرت بالأسماء ولم تعترف بفقد العلم والكلام يقتضيه لانهم لما أنبأهم آدم عليه الصلاة والسلام علموا صحتها ومطابقتها للمسميات ولولا ذلك لم يكن لقوله تعالى (ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض) معنىً ولا كانوا مستفيدين بذلك نبوته وتمييزه واختصاصه بما ليس لهم لان كل ذلك انما يتم مع العلم دون غيره .. الجواب انه غير ممتنع أن تكون الملائكة عليها السلام في الأول غير عارفين بتلك الأسماء فلما أنبأهم آدم عليه السلام بها فعل الله لهم في الحال العلم الضروري بصحتها ومطابقتها للمسميات لها أما عن طريق أو ابتداء بلا طريق فعلموا بذلك تمييزه واختصاصه وليس لأحد أن يقول ان ذلك يؤدي الى انهم علموا نبوته اضطراراً وفي هذا منافاة لطريق التكليف وذلك انه ليس في علمهم بصحة ماأخبر به ضرورة مايقتضي العلم بالنبوة ضرورة بل بعده درجات ومراتب لابد من الاستدلال عليها ويجري هذا مجرى أن يخبر أحدنا نبيٌ بما فعل على سبيل التفصيل على وجه نجري به العادة وهو وان كان عالماً بصدق خبره ضرورة لا بد له من الاستدلال فيما بعد على نبوته لان علمه بصدق خبره ليس هو العلم بنبوته لكنه طريق يوصل اليها على ترتيب .. ووجه آخر وهو انه لايمتنع أن يكون للملائكة لغات مختلفة فكل قبيل منهم يعرف أسماء الأجناس في لغته دون لغة غيره إلاّ أن يكون احاطة عالم واحد بأسماء الأجناس في جميع لغاتهم خارقة للعادة فلما أراد تعالى التنبيه على نبوة آدم عليه السلام علمه جميع تلك الأسماء فلما أخبرهم بها علم كل فريق مطابقة ماخبر به من الأسماء للغته وهذا لا يحتاج فيه الى الرجوع الى غيره وعلم مطابقته ذلك لباقي اللغات يخبر كل قبيل ولا شك في ان كل قبيل اذا كانوا كثيرة وخبروا بشيء

يجرى هذا المجرى علم صحة مخبرهم واذا أخبر كل قبيل صاحبه علم من ذلك فى لغة غيره ما علمته من لغته وهذا الجواب يقتضى أن يكون قوله تعالى (أنبؤنى بأسماء هؤلاء) أي ليخبرنى كل قبيل منكم جميع الأسماء وهذان الجوابان جميعاً مبنيان على ان آدم عليه السلام لم يتقدم لهم العلم بنبوته وأن إخباره بالأسماء كان افتتاح معجزاته لانه لو كان نبياً قبل ذلك وكانوا قد علموا بتقدم ظهور معجزات على يده لم يحتج الى هذين الجوابين معاً لانهم يعلمون اذا كان الحال هذه مطابقة الأسماء للمسميات بعد ان لم يعلموا ذلك بقوله الذى قد آمنوا به فيه غير الصدق وهذا لمن تأمله بيّن بحمد الله ٠٠[قال الشريف المرتضى] رضى الله عنه رأيت قوماً ممن تكلم على معانى الشعر يذكرون فى بيت حسان بن ثابت

لَمْ تَغْتَهَا شَمْسُ النَّهارِ بِشَيءٍ غَيْرَ أَنَّ الشَّبَابَ لَيْسَ يَدُومُ (١)

ان المراد به الاعتذار من كبرها وعلو سنها فكأنه قال ــ لم تغتها شمس النهار بشيء ــ انها كبيرة طاعنة فى السن وعذرها فى ذلك ان الشباب ليس يدوم لأمثالها وهذا الذى

---

(١) البيت من قصيدته التى قالها بعد وقعة أحد يروي انه دعا قومه ليلا فقال لهم خشيت أن يدركنى أجلى قبل ان أصبح فلا ترووها عنى ومطلعها

منع النوم بالعشاء الهموم وخيال اذا تغور النجوم
من حبيب أصاب قلبك منه سقم فهو داخل مكتوم
يال قومي هل يقتل المرء مثلي واهن البطش والعظام سؤوم
همها العطر والفراش وبيـ ـضاء لجين وحالك منظوم
لو يدب الحولي من ولد الذ ر عليها لأندبتها الكلوم
لم تغتها شمس النهار بشيء غير أن الشباب ليس يدوم
ان خالي خطيب جابية الجو لان عند النعمان حين يقوم
وأبي في سميحة القائل الفا صل يوم التفت عليه الخصوم
وأنا الصقر عند باب ابن سلمي يوم نعمان في الكبول مقيم

ذكروه ليس بشيء والأشبه والأولى أن يكون مراد حسان ان شمس النهار لم تغنها بشيء غير ان شبابها مما لا يدوم ولا بد من أن يلحقها الهرم الذي لا يلحق الشمس ولم يدر انها في الحال كذلك وكيف يريد ما توهموه مع قوله

يالقومي هَلْ يَقتُلُ المَرْءَ مِثْلي ... واهِنُ البَطْشِ والعِظَامِ سَؤُومُ
شأنُها العِطْرُ والفِرَاشُ وَيَغْـ ... ـلُوها لُجَيْنٌ وَلُؤْلُؤٌ مَنْظُومُ
لوْ يَدِبُّ الحَوْلِيُّ مِنْ وَلَدِ الذَّ ... رِّ عَلَيْها لأَنْدَبَتْها الكُلُومُ (١)

وهذه الأوصاف لا تليق لمن طعن في السن من النساء ولا يوصف بمثلها إلاّ الصبيان والاحداث ٠٠ ومن العجائب ان هذا الاستخراج على ركاكته مسند الى الأصمعي وما أولى من يكون نتيجة تغلغله وثمرة توصله مثل هذه الثمرة بالاضراب عن استخراج المعاني والبحث عنها ٠٠ ومما قسره أصحاب المعاني على وجهه وهو بغيره أشبه وأقل الأحوال أن يكون محتملا للأمرين ولا يقتصر على أحدهما قول الخنساء

يا صخرُ وَرّاد ماء قد تناذَرَهُ ... أهْلُ المَوَارِدِ ما في وِرْدِهِ عارُ

وأبي وواقد أطلقا لي ... حين رحنا وكبلهم محطوم
ورهنت اليدين عنهم جميعاً ... كل كف فيها جزٌ مقسوم
وسطت نسبتي الذوائب منهم ... كل دار فيها أب لي عظيم
رب حلم أضاعه عدم المال ... وجهل غطا عليه النعيم
ما أبالي أنبّ بالحزن تيس ... أم لحاني بظهر غيب لئيم
تلك أفعالنا وفعل الزّبرقا ... ن خامل في صديقه مذموم
ولي البأس منهم إذ حضرتم ... أسرة من ذرى قصي صميم
تسعة تحمل اللواء وطارت ... في رعاع من القنا مخزوم

(١) يقول لو يدب الصغير من ولد الذر على جلدها لأثّر فيه وجرحه ولم يرد بالحولي ما أتى عليه حول ولكن جعله في صغره كالحولي من ولد الحافر والخف

لانهم يقولون مرادها بالبيت ما فى ترك ورده عار ويظنون انه متى لم يحمل على ذلك لم يكن له فائدة ولا فيه مدح ويجرونه مجرى قول المرقش

لَيْسَ على طولِ الحَيَاةِ نَدَمْ وَمِنْ وَرَاءِ المَرْءِ مَايَعْلَمْ (١)

وليس الأمر كما ظنوه لانه يحتمل أن يريد انه لاعار في ورده على ظاهر الكلام والفائدة فيه ظاهرة لان البيت وان تضمن ذكر ورود الماء فهو كناية عن ركوب الأمور العظيمة الصعاب التي من جملتها إيراد الماء غلبة وقهراً فكأنها قالت انك تورد ماء قد تناذره الناس وتركب أمراً صعباً قد نكل عنه الخلق ولك بذلك حظ الشجاعة والبسالة ومع ذلك فلا عار عليك فى ركوبه لانه ربما فعل الانسان فعلاً يحوز به أكثر الحظ من الشجاعة وان لحقه بعض العار من قطيعة رحم أو نكث عهد أو ماجرى ذلك المجرى

---

(١) قوله ــ ليس على طول الحياة ــ الخ .. قال الأصمعي أراد ليس على فوت طول الحياة ندم .. وقوله ــ ومن وراء المرء ما يعلم ــ يقول من عمل شيئاً وجده ووراه هنا امام من الاضداد قال الله جل ذكره (ومن وراءه عذاب غليظ) وقال الشاعر

أيرجو بنو مروان سمعي وطاعتي وقومي تميم والفلاة ورائيا

أي امامي .. قال أبو عبيدة ومنه قول الله عز وجل (وكان وراءهم ملك) أي امامهم هذا قول أبي عكرمة .. وقال غيره ومن وراء المرء ما يعلم أى الهرم والكبر والضعف وكثرة العلل .. والبيت للمرقش الأكبر واسمه عوف بن سعد وهو عم الأصغر والأصغر عم طرفة بن العبد وهو من قصيدة مطلعها

هل بالديار أن تجيب صمم لو كان رسم ناطقاً كلّم
الدار قفر والرسوم كما رقش في ظهر الأديم قلم
ديار أسماء التي تبلت قلبي فعيني ماؤها يسجم
أضحت خلاء بيتها نثد نؤّر فيها زهوها فاعثم
بل هل شجتك الظعن باكرة كأنهنّ النخل من علهم
النشر مسك والوجوه دنا نير وأطراف البنان عنم

فكأنها نفت عن فعله وجوه العار وليس يجري هذا مجري قول المرقش ـ ليس على طول الحياة ندم ـ لان البيت متى لم يحمل على ان المراد به ليس على فوت طول الحياة ندم لم يفد شيئاً وقد بينا فائدة قول الخنساء اذا كان المراد ماذكرناه

مجلس آخر ٥٦

[تأويل آية] ٠٠ إن سأل سائل عن قوله تعالى (واسأل من أرسلنا قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن) الآية ٠٠ الجواب قد ذكر في هذه الآية وجوه ٠٠ أولها أن يكون المعنى واسأل أتباع من أرسلنا قبلك من رسلنا ويجرى ذلك مجرى قولهم السخاء حاتم والشعر زهير يريدون السخاء سخاء حاتم والشعر شعر زهير وأقاموا حاتماً مقام السخاء المضاف اليه وقوله تعالى (ولكن البر من آمن بالله) ومثله قول الشاعر

لَهُمْ مَجْلِسٌ صُهْبُ السِّبَالِ أَذِلَّةٌ سَوَاسِيَةٌ أَحْرَارُهَا وَعَبِيدُهَا[1]

والمأمور بالسؤال في ظاهر الكلام النبي عليه الصلاة والسلام وهو في المعنى لا منه لانه عليه الصلاة والسلام لا يحتاج الى السؤال لكنه خوطب خطاب أمته كما قال تعالى (لمص كتاب أنزل اليك فلا يكن في صدرك حرج منه) فأفرده الله تعالى بالمخاطبة ثم رجع الى خطاب أمته فقال (اتبعوا ما أنزل اليكم) (فلا يكن في صدرك حرج) وفي موضع آخر (يأيها النبي اتق الله) الآية فخاطبه عليه الصلاة والسلام والمعنى لأمته لانه بين بقوله تعالى (ان الله كان بما تعملون خبيراً) ٠٠ وقال تعالى (يا أيها النبي اذا طلقتم النساء) فوحد وجمع في موضع واحد وذلك للمعنى الذى ذكرناه

---

(١) أى لهم أهل مجلس ـ وصهب ـ جمع أصهب أى فى سبالهم صهبة وهى حمرة أو شقرة فى الشعر ـ والسبال ـ بالكسر جمع سبلة بالتحريك وهى الدائرة فى وسط الشفة العليا أو ماعلى الشارب من الشعر أو طرفه أو مجتمع الشاربين أو ماعلى الذقن الى طرف اللحية كلها أو مقدمها خاصة ويقال للأعداء صهب السبال ـ وأذلة ـ جمع ذليل ـ وسواسية ـ مستوون

•• وقال الكميت

إلى السِّرَاجِ المُنِيرِ أحْمَـدَ لاَ تَعْدِلْنِي رَغْبَـةٌ وَلاَ رَهَبُ
عَنْـهُ إلى غيْرِهِ وَلو رَفَعَ النَّـــاسُ إليَّ العيُونَ وارْتَقبُوا
لَوْقيلَ أفرَطتَ بلْ قصدْتَ ولوْ عَنَّفَنِي القَائلُونَ أوْ ثَلبُوا
لَجَّ بتَفْضيلكَ اللِّسَانُ وَلوْ أكْثرَ فيكَ الضَّجاجُ واللَّجَبُ
أنْتَ المُصَفَّى المَحْضُ المُهَذَّبُ في التَّشْبيهِ إنْ نَصَّ قَوْمُكَ النَّسَبُ

فظاهر الخطاب للنبي عليه الصلاة والسلام والمقصود به أهل بيته عليهم الصلاة والسلام لان أحداً من المسلمين لايمتنع من تفضيله عليه الصلاة والسلام والاطناب فى وصف فضائله ومناقبه ولا يعنف فى ذلك أحد وانما أراد الكميت وان أكثر فى أهل بيته وذريته عليهم الصلاة والسلام الضجاج واللجب والتقريع والتعنيف فوجه القول اليه عليه الصلاة والسلام والمراد غيره وبه لذلك وجه صحيح وهو ان المراد بموالاتهم الانحياز اليهم والانقطاع الى حبهم لما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو المقصود بجميع ذلك جاز أن يخرج الكميت الكلام هذا المخرج ويضمه هذا الموضع •• وقد قيل ان المراد باتباع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام الذين أمر بمسألتهم أهل الكتاب كعبد الله ابن سلام ونظرائه ولا يمتنع على هذا الجواب أن يكون هو عليه الصلاة والسلام المأمور بالمسئلة على الحقيقة كما يقتضيه ظاهر الخطاب وان لم يكن شاكا فى ذلك ولا مرتاباً به ويكون الوجه فيه تقرير أهل الكتاب به وإقامة الحجة عليهم باعترافهم أو لان بعض مشركى العرب أنكر أن تكون كتب الله المتقدمة وأنبياؤه الآتون بها دعوا الى التوحيد فأمر عليه الصلاة والسلام بتقرير أهل الكتاب بذلك لتزول الشبهة عمن اعترضته الشبهة •• والجواب الثاني أن يكون السؤال متوجهاً اليه عليه الصلاة والسلام خاصة دون أمته والمعنى اذا لقيت النبيين فى السماء فسألهم عن ذلك لان الرواية قد وردت بانه عليه الصلاة والسلام لقى النبيين في السماء فسلم عليهم وأمّهم ولا يكون أمره تعالى بالسؤال لانه كان

شاكا لان مثل ذلك لا يجوز عليه الشك فيه لكن لبعض المصالح الراجعة الى الدين إنما لشئ يخصه عليه الصلاة والسلام أو يتعلق ببعض الملائكة الذين يستمعون ما يجري بينه وبين النبيين من سؤال وجواب .. والجواب الثالث ما أجاب به ابن قتيبة وهو ان المعنى واسأل من أرسلنا اليه قبلك رسلا من رسلنا يعني أهل الكتاب وهذا الجواب وان كان يوافق في المعنى الجواب الأول فبينهما خلاف في تقدير الكلام وكيفية تأويله فلهذا صارا مفترقين وقد رد على ابن قتيبة هذا الجواب وقيل انه خطأ في الاعراب لان لفظة اليه لا يصح اضمارها في مثل هذا الموضع لانهم لا يجوزون الذي جلست عبد الله على معنى الذي جلست اليه عبد الله لان اليه حرف منفصل عن الفعل والمنفصل لا يضمر فلما كان القائل اذا قال الذي أكرمت إياه عبد الله لم يجز أن يضمر إياه لانفصاله من الفعل كانت لفظة اليه بمنزلته وكذلك لا يجوز الذي رغبت محمد بمعنى الذي رغبت فيه محمد لان الاضمار انما يحسن في الهاء المتعلقة بالفعل كقولهم الذي أكلت طعامك والذي لقيت صديقك معناهما الذي أكلته ولقيته [1] وقال الفراء انما حذفت الهاء لدلالة الذي عليها

---

(١) هذا الكلام يحتاج الى تبيين لعدم إيضاح ما تضمنه والحاصل أن العائد المنصوب يجوز حذفه ان كان متصلا وناصبه فعل أو وصف غير صلة الألف واللام فالفعل نحو يعلم ما يسرون وما يعلنون ويجوز في ما هنا أن تكون موصولا حرفياً قيل وشرط جواز حذف العائد المنصوب أن يكون متعيناً للربط كما مثل فلو كان غير متعين لم يجز حذفه نحو جاء الذي أكرمته في داره فان العائد أحدهما لا بعينه وفيه نظر عند صاحب التوضيح وشرط الفعل أن يكون تاماً فلا يجوز جاء الذي كانه زيد على الأصح ومثال الوصف قوله

ما الله موليك فضل فاحمدنه به فما لدى غيره نفع ولا ضرر

بخلاف جاء الذي إياه أكرمت لانه منفصل وحذفه يوقع في إلباسه بالمتصل ومفوت لما قصد به من التخصيص وانما حذف منفصلا من قوله سبحانه وتعالى (ومما رزقناهم ينفقون) والأصل رزقناهم إياه لان تقديره متصلا يلزم منه اتحاد الضميرين المتحدي

وقال غيره في حذفها غير ذلك وكل هذا ليس مما تقدم في شيء فصح ان جواب ابن قتيبة مستضعف والمعتمد ما تقدم

آخر الجزء الثالث من كتاب أمالي السيد المرتضى .. ويليه
الجزء الرابع وأوله تأويل خبر .. والحمد لله أولا وآخراً
وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الرتبة في ضميري الغيبة وهو قليل وبخلاف جاء الذي انه فاضل أو كأنه أسد لان اسم ان وكأن المشددتين لايحذف الا شذوذاً وبخلاف جاءني الضاربه زيد لان الوصف صلة الألف واللام واسمية أل خفية والضمير اذا كان مذكوراً يدل على اسميتها نصاً فاذا حذف فات هذا المعنى وهم بصدد التنصيص على اسميتها

﴿ فهرس الجزء الثالث من أمالي السيد المرتضى ﴾

صحيفه
(المجلس الواحد والاربعون)
٧ تأويل قوله تعالى فأين يذهبون ان هو الا ذكر للعالمين الآية
٣ ردقول المعتزلة فى مسئلة ارادته تعالي القبائح
٤ عود الي ذكر بعض محاسن شعر مروان بن أبي حفصة وغيره
٨ مفاكهة أدبية
(المجلس الثاني والأربعون الثالث)
١٤ تأويل قوله تعالى:أولئك لم يكونوا معجزين في الأرض الآية
١٤ تأويل قوله تعالي : ما كانوا يستطيعون السمع الآية
١٦ استرواح بذكر شئ من شعر مروان بن أبي حفصة وغيره
(المجلس الثالث والاربعون)
٢٥ تأويل قوله تعالى:ما منعك ان لا تسجد اذ أمرتك الآية
٢٦ عود الي ذكر طرف من شعر مروان بن أبي حفصة أيضاً
(المجلس الرابع والاربعون)
٣٥ تأويل قوله تعالى:نحن أعلم بما يستمعون به الآية
٣٦ تأويل قوله تعالي:ان تتبعون الا رجلا مسحورا
٣٨ استرواح بذكر بعض من المحاسن الشعرية
(المجلس الخامس والاربعون)
٤١ تأويل قوله تعالي: كل شئ هالك الا وجهه الآية
٥٠ تأويل قوله تعالى:انما نطعمكم لوجه الله الآية ونحوها
٥٠ استرواح بذكر حكاية أدبية لمحمد بن يحيي الصولى وشئ من كلام البحتري
٥٢ مفاكهة المكتفى بالله مع الصولى فى محاسن الشيب ومدحه
٥٣ واقعة امرئ القيس مع قيصر الروم
(المجلس السادس والاربعون)
٥٩ تأويل قوله تعالى:واذا سألك عبادى عنى فانى قريب الآية
٦١ عود الى ذكر الشيب وما تقوله العرب فى ذمه

صحيفه
٦٣ قصة البيدق مع الرشيد
٦٣ قصة العتابي معه أيضاً
(المجلس السابع والاربعون)
٧٠ تأويل قوله تعالى: هوالذي أنزل من السماء ماء لكم منه شراب الآية
٧٢ عود الى ذم الشيب والتألم من فقد الشباب
٧٧ رد على الآمدي في انتقاده كلام البحتري
٧٩ ذكر بعض مبتكرات من شعر ابن الرومي
(المجلس الثامن والاربعون)
٨٠ تأويل قوله تعالى :ليس لك من الامر شيء الآية
٨٢ تأويل خبر لاتناجشوا ولا تداروا الحديث
٨٤ ذكر ماورد في اللغة العربية من معاني العرض
٨٨ استرواح بذكر شيء من شعر قطري بن الفجاءة
(المجلس التاسع والاربعون)
٩١ تأويل قوله تعالى: وقالت اليهود يد الله مغلولة الآية
٩٣ تأويل خبر لعن الله السارق يسرق البيضة الحديث
٩٥ ذكر معاني البيضة في كلام العرب والاستشهاد عليها
٩٩ استرواح بذكر حكاية لطيفة للاصمعي مع الرشيد
(المجلس الخمسون)
١٠٠ تأويل قوله تعالى: الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور
١٠١ منادمة الشعبي والاخطل في مجلس عبد الملك بن مروان
١٥ استطراد لذكر مربية أعشي باهلة وبلاغتها
١١٣ ذكر بعض كلام للاخطل في امتداحه لمعاوية
(المجلس الواحد والخمسون)
١٢٤ تأويل قوله تعالى: ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا الآية
١١٦ استرواح بذكر قول الراعي في وصف الاثافي والرماد
(المجلس الثاني والخمسون)

صحيفة

١٢٥ تأويل قوله تعالى: وإذ قال موسى لقومه ان الله يأمركم أن تذبحوا بقرة الآية
١٢٨ استرواح بذكر بعض كلام المثلبي وغيره
١٣١ ذكر طرف من محاسن شعر عمارة بن عقيل وغيره
(المجلس الثالث والخمسون)
١٣٤ تأويل قوله تعالى: لئن بسطت الي يدك لتقتلني الآية
١٣٥ شواهد اضافة المصدر الى فاعله ومفعوله
١٣٨ تأويل خبر لا يموت لمؤمن ثلاث من الاولاد الحديث
١٣٨ تشبيه العرب قلة مكث الشيء بخلة العين والاستشهاد عليه بكلامهم
(المجلس الرابع والخمسون)
١٤٢ تأويل قوله تعالى: ثم قست قلوبكم من بعد ذلك الآية
١٤٩ استرواح بذكر ما يختار من شعر الأحوص الانصاري
(المجلس الخامس والخمسون)
١٥٥ تأويل قوله تعالى: وعلم آدم الاسماء كلها الآية
١٥٦ تلخيص الجواب في هذا الموضوع
١٦١ اشكال غريب في الآية المذكورة والجواب عنه
١٦٢ استرواح بذكر شيء من محاسن شعر حسان وغيره
(المجلس السادس والخمسون)
١٦٥ تأويل قوله تعالى: واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا الآية
١٦٥ استطراد لذكر ما خوطب به صلى الله عليه وسلم والمقصود به أمته

﴿ تم الفهرس ﴾